اللامبالاة

في حياة الفرد والأسرة والمجتمع

"المظاهر - الأسباب - الآثار - العلاج"

تأليف أبي همام

السيد مراد سلامة



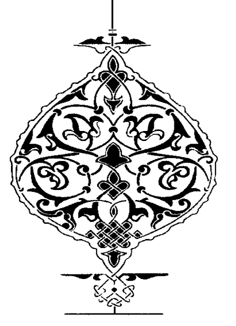




رَبَّنا تقبَّلْ منّا
إنَّك أنتَ السَّميعُ العليمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٨٦١٤

الترقيم الدولي
977-331-421-9



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرُورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

اعلم - علمني الله وإياك - إن من المظاهر الحَرِيَّة بالدراسة والمعالجة تلك الظاهرة التي عمت وسادت في المجتمع الإسلامي، إنها ظاهرة: اللامبالاة التي نبتت وترعرعت في وسط تبلد الأحاسيس والسلبية وغياب الوازع الديني لدى كثير من المسلمين، فعظم خطرها واستفحل ضررها، حتى أصابت الأفراد والأسر والمجتمعات، بل الأمة كلها، فكان لزامًا وأجل مسمى أن يتصدى لها الدعاة قادة سفينة الحياة البشرية إلى ساحة الروضة الإيمانية، ليقفوا على أسبابها، ويبينوا

خطرها، ولسان حالهم: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨)، وحال قادة سفينة البشرية، حال نوح عليه السلام: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ﴾ (هود:٤٢).

وها هي مظاهر اللامبالاة - أعني بعضها -، وآثارها على الفرد والمجتمع بين يدي كل مسلم ومسلمة، يرجو النجاة لنفسه ولأمته، ويرجو لها العز والانتصار على أعدائها .. أقدمها للدعاة خاصة لأنهم أطباء الأمة، وهم حملة الرسالة ومشاعل الإيمان والهداية .. ثم إلى كل مسلم ومسلمة غيور على دينه وعلى أمته أن يعمل ويدعو للقضاء على مظاهرها، حالهم كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر:٣٨-٤٠).

وقد اشتمل هذا السِّفْرُ على الأبواب الآتية:

الباب الأول - اللامبالاة في ترك السنة، وعدم العمل بها.

الباب الثاني - اللامبالاة بالكلمة وأثرها.

الباب الثالث - اللامبالاة بالذنوب والمعاصي.

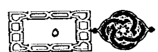
الباب الرابع - اللامبالاة بالصلاة وأحكامها وآدابها.

الباب الخامس - اللامبالاة بالموعظة.

الباب السادس - اللامبالاة بأكل الحرام.

الباب السابع - اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد اشتمل كل باب على عدة فصول ذكرت فيها صورًا من اللامبالاة، ثم آثارها .. ثم علاج تلك الصور .. ثم ذكرت صورًا مشرقة من حياة الصحابة



والتابعين، ومدى اعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم ذكرت المراجع في نهاية البحث .. ثم وضعت فهرسًا عامًا في نهاية الكتاب..

وأخيرًا .. فإنني قد بذلت غاية ما عندي من جهد في تتبع مظاهر اللامبالاة في المجتمع الذي أعيش فيه، فالله - سبحانه وتعالى - بعد ذلك وقبل ذلك هو المسؤول أن ينفع بها المسلمين والمسلمات في الدارين، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وما كان في ذلك السِّفْرِ من صواب، فمن الله العزيز الوهاب، وما كان من خطأ أو نقصان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

وما ذاك مني بل من الله وحده ... بعفو وإمداد وفضل وأنعم
فإن أكُ فيها مخطئًا أو مغالطًا ... فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي
أتوب إلى الرحمن من كل غلطة ... وأستغفر الرحمن لي ولإخوتي
وأسأله جل اسمه بصفاته ... وأسمائه الحسنى قبول رسالتي

تأليف

ابو همام/ السيد مراد سلامة

الباب الأول

اللامبالاة في ترك السنة وعدم العمل بها

عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنّي أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحَرِّمُوه**»[1].

وفي رواية: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسولُ اللهِ مثل ما حرَّم اللهُ**»[2].

اللامبالاة
وأثرها على
الفرد والمجتمع

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.
(٢) رواه أحمد وابن ماجه.

مظاهر اللامبالاة بترك السنة وعدم العمل بها

ومن مظاهر اللامبالاة الخطيرة اللامبالاة بالسنة النبوية وعدم العمل بها، والناس فيها على قسمين:

القسم الأول - سمى نفسه القرآنيين.

القسم الثاني - قسم أقرَّ بها، ولكنه لا يبالي في تركها.

فمن حين لآخر، يظهر في المجتمع الإسلامي أناس حاقدون على هذا الدين وكثير منهم ينتمون إليه، ولكنهم يجهلون حقيقته، فيعمدون إلى ترويج آرائهم الجائرة بالطعن في السنة النبوية!، والحال أنها المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية قائلين: «يكفينا كتاب الله، نعمل بما جاء فيه، بحجة أن السنة دُونت بعد وفاة النبي ﷺ بزمن يسير، وقد شابها ودخل فيها الكثير من الزيف مما حملهم على أن يتناولوا الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما بالنقد والهدم، وغالبًا ما تكون وراءهم أيدٍ خفية من أعداء الإسلام تحركهم، وتدفعهم إلى هذا الافتراء الذي يقصدون من ورائه التشكيك والبلبلة»، ثم هدم الدين لبنة بعد لبنة، حتى يتسنى لأولئك الأعداء أن يشبعوا نهمهم، ويشفوا غليلهم بالقضاء عليه، ولكنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وسيرد كيدهم إلى نحورهم، وهذا القسم هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: **«ألا إنِّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»**، وفي رواية: **«ألا وإنَّ ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»**[1].

---

(١) سبق تخريجه.

وهذا عمران بن حصين ﷺ: عندما دعا رجل إلى الاكتفاء بكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وترك سنة رسوله ﷺ، فقد سأله ذلك الرجل عن شيء؟، فأجاب بحديث رسول الله ﷺ، فقال له ذلك الرجل: «حدثوا عن كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولا تحدثوا عن غيره»، فقال عمران: «إنك امرؤ أحمق! أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعًا لا يُجهر فيها؟، وعدَّ الصلوات، وعدَّ الزكاة ونحوها، ثم قال: أتجد هذا مفسرًا في كتاب الله؟ كتاب أحكم ذلك والسنة تفسر ذلك».

وفي رواية عن الحسن ﷺ قال: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ، إذ قال له رجل: يا أبا نجيد: «حدثنا بالقرآن»، فقال له عمران: «أنت وأصحابك تقرأون، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟، أكنت محدثني عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟، ولكن قد شهتُ وغبت أنت»، ثم قال: «فرض علينا ﷺ في الزكاة كذا وكذا»، فقال الرجل: «أحييتني أحياك الله»، قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين[1]، وقال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله ابن الشخير: «لا تحدثونا بالقرآن»، فقال له مطرف: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا» - يريد رسول الله ﷺ -.

أدلة حجية السنة النبوية

إلى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ، وجعلوها وراء ظهورهم، وادعوا أنه لا حاجة لنا في تلك السنة، وأنها من تأليف التابعين، إلى هؤلاء أدلة حجية سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

الدليل الأول - القرآن الكريم:

آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بحجية السنة النبوية بينت أمورًا:

(أ) وجوب الإيمان والتصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ سواء أكان بالقرآن أو بغيره من أقواله وأفعاله وتقريراته، فمن ذلك يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦)، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

(ب) أن رسول الله ﷺ مبيِّنٌ للكتاب الكريم شارحٌ له شرحًا مقبولاً عند الله تعالى، مطابقًا لما حكم به على عباده، فمن ذلك: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣)، فالحكمة كما قرر الشافعي ﷺ هي السنة؛ لأن الله تعالى في هذه الآية وما ماثلها قد عطفها على القرآن الكريم، وذلك يقتضي المغايرة، فهي ليست إياه ولا يصلح أن تكون شيئًا آخر - غير القرآن والسنة -، لأن الله قد منَّ علينا بتعليمها، والمن لا يكون إلا بما هو صواب وحق عنده - جَلَّ شأنه - فتكون الحكمة هي السنة النبوية واجبة الاتباع كالقرآن الكريم، لاسيما وقد قرنها الله - جَلَّ شأنه به -.

(جـ) وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، فمن ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: ٥٩)، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة: ٩٢)، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣).

(د) وجوب اتباع رسول الله ﷺ في جميع ما يصدر عنه، والتأسي به، وأن اتباعه لازم لمحبة الله تعالى، فمن ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، إذن عُلم مما سبق أن الدليل الأول على حجية السنة النبوية، إنما هو القرآن الكريم، كما سبق بيانه.

١- وجوب الإيمان والتصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ.

٢- أن نبي الله ﷺ مبيِّن للقرآن الكريم شارح له.

٣- وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، ووجوب اتباع رسول الله ﷺ في جميع ما يصدر عنه.

الدليل الثاني ـ تعذر العمل بالقرآن الكريم وحده:

من المعروف أن بعض نصوص القرآن الكريم مجملة وأخرى مشكلة، ولابد لفهمها والعمل بها من شرح وتوضيح وتأويل وتفسير، إما بصورة قولية أو فعلية من ذات معصومة مؤيدة بالوحي، والأمثلة كثيرة منها:

في العبادات: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، يتساءل المكلف عن ماهية هذه الصلاة التي أوجبها الله؟ وما كيفيتها؟ وما وقتها؟ وما عددها؟ وعلى من تجب؟ وكم مرة تجب في العمر أو في اليوم؟

وما هي الزكاة؟ وعلى من تجب؟ وفي أي مال تجب، وما مقدارها؟ وما شروط وجوبها؟

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، ما المراد بها؟ وما حقيقتها إسلاميًا؟.

وفي المعاملات المالية: هل يقتصر التعامل المالي على البيع والرهن فقط؟، وما مشروعية غيرهما إذن كالسَّلَم - مثلاً -؟، ثم ما هو البيع الجائز شرعًا؟ وما شروطه؟ .. إلخ.

وفي نظام الأسرة (الأحوال الشخصية): ما هي الشروط التفصيلية لصحة عقد النكاح؟ ومتى وبم يقع الطلاق؟ ومتى يحرم الرضاع؟ وكيف يكون الخلع؟

وقس على ذلك الأطعمة والأشربة، والأعمال الطبية، والأيْمان والنذور، والجهاد والحدود .. إلخ.

الدليل الثالث - تقرير الله تعالى لتمسك الصحابة بالسنة النبوية في حياته ﷺ:

ما روي أن النبي ﷺ كان يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم، فلما قضى صلاته، قال: **«ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟»** قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك»، فقال: **«إن جبريل أخبرني أن فيهما قذرًا»**[1].

وما روي أن عليًا رضي الله عنه قال: كنت رجلاً مذّاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت رجلاً فسأله فقال: **«فيه الوضوء»**.

الدليل الرابع - السنة النبوية:

ومنها: خبر: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي،**

---

(١) رواه الحاكم.

ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، وله أن يعقبهم بمثل ما أقروه»[١].

الدليل الخامس - أن السنة نوعان:

وحي، وما هو بمنزلة الوحي؛ فأما ما كان وحيًا فهو ما صدر عنه ﷺ لتبليغ الأحكام عن الله تعالى، كأقواله وأفعاله ﷺ، وأما ما كان بمنزلة الوحي، فهو ما صدر عنه ﷺ، غير قاصد به تبليغ أحكام عن الله تعالى، وقد أقره الله تعالى، فيكون بمنزلة الوحي، كتقريره ﷺ مثلاً، والنوعان يدل عليهما قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤).

الدليل السادس - الإجماع:

ويتضح هذا في أن أئمة المجتهدين سلفًا وخلفًا قد تمسكوا بالسنة النبوية محتجين بها، عاملين بمقتضاها، ومما قالوه: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط»، فحجية السنة النبوية انعقد إجماعهم عليها واتفقت كلمتهم عليها، وتواطأت أفئدتهم ولم يتخلفوا في ذلك من حيث الجملة[٢].

واعلم - علمني الله وإياك - أن القرآن مع السنة ثلاثة أوجه كما أوضح العلامة ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) يقول: إن السنة مع القرآن لها ثلاثة أوجه:

الأول - أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، وهذا من باب «توارد الأدلة وتضافرها»، بمعنى: أن القرآن يأمر بالتوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج، فتأتي السنة هي الأخرى لتؤكد على هذه الأركان، فيقول النبي ﷺ

---

(١) رواه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) «السنة النبوية الشريفة» د/ أحمد كريمة (ص٨: ١٥)، بتصرف يسير.

كما في الصحيحين من حديث ابن عمر: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**»

الثاني - أن تكون السنة بيانًا وتفسيرًا لما جاء في القرآن على سبيل الإجمال، فالله - تبارك وتعالى - أمر في القرآن بالصلاة وأمر في القرآن بالصيام، ولكن كيف نصلي وما أوقات الصلاة وما عددها، وما أركانها، وما واجباتها، وما مبطلاتها، كل هذا ليس في القرآن، وإنما يوضح هذا كله سنة سيد ولد عدنان، فيأتي صاحب السنة ليقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، وهكذا في باقي العبادات.

الثالث - أن تكون السنة موجبة لما سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت القرآن عن تحريمه، وهذا من أخطر أوجه السنة مع القرآن[1].

بيان فرض الله في كتابه اتباع سنة نبيه ﷺ

وهيا لنقف مع الإمام الشافعي وهو يوضح لنا تلك الحقيقة في كتابه أصل الأصول، ألا وهو (الرسالة)، يقول - رحمه الله -: وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه، أنه جعله علمًا لدينه لما افترض من طاعته وحرم من معصيته، وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (النساء: ١٧١)، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ (النور: ٦٢)، فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله، ثم برسوله معه، فلو آمن عبده به، ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم

---

(١) «مجلة التوحيد» عدد ربيع الآخر (١٤٢٠) (ص٥٧).

كمال الإيمان أبدًا، حتى يؤمن برسوله معه، وهكذا سن رسول الله ﷺ في كل من امتحنه للإيمان؛ أخبرنا مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال: أتيت رسول الله ﷺ بجارية، فقلت: «يا رسول الله، عليَّ رقبة أفأعتقها؟»، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أين الله؟»**، فقالت: «في السماء»، فقال: **«من أنا؟»**، قالت: «رسول الله»، فقال: **«أعتقها»**.

قال الشافعي: وهو معاوية بن الحكم كذلك رواه غير مالك وأظن مالكًا لم يحفظ اسمه.

قال الشافعي: ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (البقرة: ١٢٩)، وقال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ (آل عمران: ١٦٤)، وقال ـ جلَّ ثناؤه ـ: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ**﴾ (البقرة: ١٥١)، وقال ـ جلَّ ثناؤه ـ ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾ (الجمعة: ٢)، وقال: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ**﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ**﴾ (النساء: ١١٣)، وقال: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ (الأحزاب: ٣٤).

فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة: سنة رسول الله، وهذا يُشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذُكر واتبعته الحكمة، وذكر الله منَّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ـ والله أعلم ـ، أن يُقال: الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وإن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره»[1].

(١) «الرسالة» (ص٢٥).

علماء الأمة يردون على منكري السنة

إلى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ وجحدوا بهـا، واستيقنتها أنفسـهم ظلمًا وعلوًّا، إلى هؤلاء الذيـن باعوا دينهم من أجل عـرض من الدنيا حقير، إلى هـؤلاء العابثين الذين لم يقرؤوا كتاب الله تعالى، ولم يفـهموا آياته وأحكامه، إلى هؤلاء جـميعًا ذلك الرد المفـحم من علماء الأمة الإسلامـية وهم يظهرون عور هؤلاء الجاحدين.

وقد نشر هذا الرد في مجلة التوحيد عدد ربيع الآخر ١٤٢٠هـ (ص٤٠-٤٧)، وإليك نصه:

الذي حفظ القرآن هو الذي حفظ السنة:

ويعلق الأستاذ نصر فريد واصل، مفتي جـمهورية مصر العربية، قائلاً: إنه لا يصح إلا الصحيح، ودائمًا نحن ندافع عن الإسلام ونبين أن السنة هي الوحي الثابت الذي لا غنى عن القـرآن في بيانه وفي فهـمه وفي تفسـيره للناس، وفي تطبيقه في كل زمان وفي كل مكان، لأن السنة هي القرآن غير المتلو، فالقرآن هو كتاب الله الخالد الذي تعبدنا الله بتلاوته وقراءته، والذي لا تبديل ولا تغيير، أما السنة: فهي الوحي غـير المتلو التي جاءت متـممة ومكملة لكل ما جـاء بالقرآن الكريم؛ نوضح للجهلاء بالحكمة والموعظة الحسنة!!.

ويواصـل الدكتـور واصـل مفتي الجمـهورية حديثه قائلاً: إن قـضيـة إنكار السنة لا تقلق المسلمين بحـال؛ لأن الله ـ سبحـانه وتعـالى ـ تولى حفظها، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

والذكـر: هو القـرآن الكريم، والسنة: هي مكملة للقـرآن الكريم، فـالذي حفظ القرآن هو الذي حفظ السنة، وهو الذي حقق لها التدوين، وحقق لها هذا الحفظ في هذه الكتب، التي أصـبحـت كالقـرآن الكريم في التـراث الذي تحتويه

هذه السنة، وما يأتي من أقوال بين الحين والآخر، هذا أمر كمن ينكر طلوع الشمس، وهي ساطعة، فإن الأعمى إذا أنكر طلوع الشمس وهي طالعة، فماذا يضرها؟، فهذا لا يضر السنة ولا يضر الإسلام، ولله الحمد، فنحن نوضح الأمور للجهلاء والمعاندين والمشككين ونرد عليهم كيدهم، نوضح ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى لا يضل الجهلاء والعامة، والذين لا يعرفون هذه الحقيقة، ولكن هناك بين هذا وذاك من يشتبه عليهم الأمر في بعض الأمور، أو قد يكون ذلك من باب الحرص على أمرها في نظره من خلال الحرص على الشريعة والدفاع عنها، ولكن بفهم غير شرعي، فهو إن كان حسن النية، فنقول: إنك أخطأت الاجتهاد، لأن ذلك يتعارض تعارضًا كاملاً مع ما هو مقطوع به في الكتاب والسنة، وإن كان غير ذلك، فأمره إلى الله سبحانه، ولكن لنا الظاهر.

.. يفعلون كما فعلت الدابة بصاحبها ..

ويشدد فضيلة المفتي في كلماته إلى العابثين بأمر السنة، قائلاً: إنني أقول لهؤلاء إنكم عندما تنكرون السنة في أمر معين، وتدعون إلى الحرص على الإسلام، والتمسك بالإسلام من خلال دفع مفهوم معين، وهو تمسك غير العاملين وغير المؤمنين، أو العصاه بهذه الشفاعة والكسالى الذين لا يعملون، هذا الفهم بإطلاقه هكذا غير مستقيم في النظام الإسلامي، ونقول لمثل هؤلاء، إنهم يفعلون كما تفعل الدابة التي قتلت صاحبها لحرصها عليه، فإنها عندما جاءت هذه الذبابة التي وقعت وجاءت بحجر كبير، وألقتها تدفع هذه الذبابة، فقد قتلت صاحبها . . ولذلك نحن نقول لمثل هؤلاء: على رسلكم وأرجعوا الأمور إلى نصابها، واذهبوا إلى المتخصصين في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية، وإلى علماء الحديث لتعلموا ما تجهلونه، وذلك عملاً بقوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣)، فنحن إذا ذهبنا إلى من يداوي في المرض فلا نذهب إلا إلى الطبيب، وكذلك كل متخصص له اختصاصه، والعقل يأمرنا بذلك، فلماذا نغفل القاعدة مع أمور الدين ونتبعها في أمور الدنيا، نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الذود عن كل الشبهات التي تدور حول كتاب الله وسنة رسوله.

فما أشبه اليوم بالبارحة

يقول فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ـ وكيل الأزهر ـ: إن تعرض السنة النبوية أو تعرض مصادر التشريع للإنكار، ومحاولة النيل منها ليست جديدة فقد ألفنا ذلك من أزمان بعيدة، والحمد لله الإسلام فيه رجال يستطيعون أن يفندوا هذه المزاعم بالحجة والبرهان، فهذه الحملة الشرسة على الإسلام، أو على السنة ما هي إلا مؤامرة تحاك أطرافها من عدة جهات تريد القضاء على الإسلام، باعتبار أنهم يستفيدون من تشتت المسلمين ومن التفرقة، فالهجوم على السنة ليس هجومًا جديدًا، وإنما هو امتداد لمعارك قديمة، قامت بين الحق والباطل، فالحمد لله عندنا من الحجج والأدلة ما يدحض أقوال هؤلاء، لأنهم في الواقع لا يقصدون الإسلام، فهم يدخلون إلى السنة أولاً باعتبار أنها مدخل، ثم بعد ذلك سينتقلون إلى القرآن، وحاشى لله أن يصلوا إلى هدفهم، فإن شاء الله وبعون الله تعالى نحن قادرون على تفنيد ما يدعون وسوف ينتصر الإسلام وينتصر القرآن والسنة على هؤلاء العابثين.

والغريب أنك لو نظرت إلى أطراف هذه المؤامرة في كل قطر في الشرق والغرب، وفي كل بلد إسلامي تجد أن هناك خيوطًا تدل على التواصل بين هؤلاء المتآمرين، وفي النهاية سينتصر الإسلام بإذن الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٦٤)، ولن ينال هؤلاء إلا أن يرد كيدهم في نحرهم ـ بإذن الله ـ.

الهجوم على السنة من الحمقى والجهلاء

ويقول الدكتور عبد الرشيد سالم ـ وكيل أول وزارة الأوقاف لشئون الدعوة: إن الذين يهاجمون السنة هم قوم جهلاء لا يعرفون السنة، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما أرسل سيدنا محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، واختاره من بين خلقه أمره بالتبليغ، وأن يعلم الناس أمور دينهم، وأن يوجه الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ١-٢)، إذًا فكلام الرسول ﷺ ونومه وحركاته وسكناته ومشيه في الطريق وجلوسه مع الناس وخروجه وحروبه وسلمه وتوجيهاته، كل ذلك سنة، فمن يستطيع مهاجمتها إلا إذا كان أحمقَ أو جاهلاً لا يعرف السنة.

وأضاف الدكتور/ عبد الرشيد سالم قائلاً: إننا إذا نظرنا إلى السنة سنجد أنها تنقسم إلى سنة عملية، وسنة تطبيقية، وسنة قولية، وهناك الصحيح الذي أصبح عليه إجماع الأمة لا يستطيع أحد أن يتكلم فيها لا بالحق ولا بالباطل، فكيف يمكن التشكيك في ما استقر في وجدان الناس، وفي وجدان الأمة على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان، منهم مئات الآلاف من العلماء، والعلماء نقلوها إلى الآخرين، وأصبحت شيئًا ثابتًا في وجدان الناس وفي وجدان الأمة، فإن ذلك له يقينه بالدراسات التي قال عنها علماء الغرب: إن من أعظم ما تم دراسته وحفظه والعناية به في تاريخ البشرية كلها هو سنة رسول الله ﷺ.

وأكد الدكتور/ عبد الرشيد: على أنه يجب على الجهلاء الذين لا يعرفون السنة ألا يتكلموا فيها، وأنه ليس هناك شيءٌ في الكون تمت دراسته، كأحاديث الرسول ﷺ، من حيث الجرح والتعديل، والرجال، والسند، والتواتر، والتصحيح، والرفض.

يريدون أن يسيئوا إلى الإسلام

ويؤكد الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي ـ العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، والرئيس الأسبق للمركز الإسلامي بلندن، والأستاذ بجامعة الأزهر ـ في رده على ما تتعرض له السنة الآن من هجوم شرس من أعداء الإسلام: إن ما يحدث الآن ليس بجديد، وإنما هي حملة ممتدة على السنة الخارجين على القيم منذ البداية، وحتى اليوم والسنة قد حفظها الله، ومادام الله قد حفظها، فلن تنال منها هذه الأشياء التي يقول بها الذين ليس لهم ضمير ديني، ولا ثقافة دينية واعية، وقد كتبت عدة مقالات حول هذا الموضوع كمصدر ثاني للتشريع، فإذا أنكرت السنة، فكيف تعرف كيف تصلي، وكيف تزكي، وكيف تحج؟ كل هذا أخذناه من السنة، فالذين ينكرون السنة، إنما ينكرون أمراً هامًا من أمور الدين، وإنما يريدون أن يبلبلوا أفكار المسلمين، أو يسيئوا إلى الإسلام كدين، أو أنهم ـ كما أرى ويرى الكثيرون ـ عملاء لجهات مختلفة، وعلينا أن نفتح أعيننا لهؤلاء ونقف لهم بالمرصاد، وأن ننبه الناس إلى ما يكتبونه ويذيعونه من أشياء لا أصل لها ولا حقيقة، حتى لا يقع الناس في فخاخهم، وبخاصة الشباب الذين ليس عندهم الرصيد الكافي من الثقافة الإسلامية، والذين ينخدعون بشيء يُقال هنا وهناك.

كيف ينكرون السنة ـ وعلامات الاستفهام تبدو واضحة على وجهه، وهو يقول ـ، كيف ينكرون السنة، والقرآن الكريم يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)، ويقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤)؟، فالذي ينكر السنة إنما هو ينكر ما قاله القرآن، وهذه قضية مطروحة منذ البداية، حتى أن النبي ﷺ نبَّه إلى هذا وقال: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»**

فهذا أمر واضح على أن هؤلاء الذين ينادون بهذه الأشياء، إنما ينادون بأشياء مشبوهة، تلقى ظلال الشك على عقائدهم، وعلى سلوكهم، وعلى أخلاقهم، ونحذر الناس منهم، وعلماؤنا ـ رحمهم الله ـ، قد وضعوا قواعد لا حدَّ لها لحماية السنة، فهناك كتب تتحدث عن الرجال والسند والجرح والتعديل، وقواعد لم تعرف الأمم لها مثيلاً إلا في الأمة الإسلامية، لأنها حرصت على نقاء تراث نبيها ﷺ، وهؤلاء ندعو الله أن يهديهم.

وهؤلاء المارقون يكيدون للإسلام!!

يقول الدكتور/ طه خضير ـ رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ: إن هؤلاء الذين يعتدون على حديث واحد من أحاديث السنة، هؤلاء هم المارقون، الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ، بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من القوس، فجرأتهم ليست بجديدة، لكنه الكيد للإسلام، فالكيد للإسلام يبدو في ألوان متعددة مختلفة، فالبعض ينكر السنة، والبعض يتحدث عن توزيع أعمال الحج، بمعنى: أنه ليس هناك يوم عرفة معين، بل ينتقل من شهر لآخر، والبعض يتحدث عن إنكار الشفاعة، وكل هذه افتراءات على الإسلام.

ويؤكد الدكتور/ طه خضير: على أن الإسلام له رجال كثيرون يؤدون رسالتهم على خير وجه، ولكننا كثيراً ما نجد من حين لآخر من يتطاول عن جهل وحماقة على هذا الدين، ولذلك فإنني هنا أطالب بتشكيل لجنة عليا مكونة من كبار العلماء تكون مهمتها مناقشة من يدعي هذا، وإنزال العقاب إذا كان هذا ما يدعيه من باب الافتراء على الإسلام، لأنه لا يجب أن يكون هناك نجار يتحدث في الطب، أو داعية يتحدث في الهندسة، فكل مهنة لها خواصها، والإسلام له اختصاص وله علماء متخصصون في دراسة الدين من كل نواحيه.

أطالب بوجـود رقابة ..

ويواصل الدكتـور/ طه خضير، قـائلا: إن الذي أريده أن تكون هناك رقابة عليا، هذه الرقابة تقـف كل إنسان عند حده ممن يفترون على الإسـلام، وتناقشه وتنزل به العـقاب إن كان مـخطئًا، حـتى يكون في هذا الردع لغيـره ممن يأتون بعده، أمـا أن تكون المسألة مـسألة أخـذ ورد ونقاش، فكل هذا يخـشى مردوده على العوام الذين لا يهتمون بالرد والأخـذ، وإنما تكون هناك زلزلة لبعض عقائد العوام؛ ولذلك أردت أن توجد الرقابة التي توقف هؤلاء عند حد معين.

إثبات الروايات هو قمة الجهد البشري

وفي اسـتنكار لما يحـدث من هجـوم على السـنة النبـوية، يقـول الأسـتـاذ الدكـتور/ إسمـاعيل الـدفتـار - الأسـتـاذ بكلية أصـول الدين جامـعـة الأزهـر الشريف -: إن مـوضوع إنكار السنة النبـوية ليس بجديد؛ وإذا كنـا نقول: ليس بجـديد، فمعـناه أنه أثير قـديمًا وحدثت ردود عليـه، وكلما أوقظت الفـتنة من أشخاص نجـد من يئدها في مهدها ولا تجد مـجالاً بين الناس، لأن هذا الإنكار وهذا الادعاء، إنما يقوم على أساس الوهم، وفي غـالب الأحيان يكون الجهل لما بذله علماؤنا الأولون من جهود، وهو سبب ذلـك ويكفي أن يعلم الناس جميعًا أن الجهد الذي بذله علماء الحديث النبوي الشريف لا يدانيه جهد للعلماء في أي مجال من المجـالات، وبخاصة في مجـال البحث التـاريخي، وهذا باعترف من كانوا على غيـر الإسلام ودرسوا الإسلام فهـداهم الله إليه، مثل الأستاذ مـحمد أسد - عليه رحمة الله - فقد قرر في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) ما يتصل بموضوع السنة والرد على المخالفين في كلمات وجيزه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الأستاذ الدكـتور/ أسد رستم، وهو أستاذ تاريخ لبناني، وهـو غير مسلم

يدرس في الجامعة اللبنانية، ومات على غير الإسـلام، فامتدت به الحياة أكثر من تسعين عامًا، وقـرر في كتاب له اسمه (مصطلح التـاريخ): «إن ما قام به علماء الحديث وما قـام به علماء القرآن في إثبـات الروايات هو قمة الجهـد البشري»، فبعد هذه الشهادات ـ وهي شهادات متخصصة ـ لا يبقى هناك مجال لمن لم يقرأ عن هذه الجهود، أو يعلم نفسه بدراسة هذه الجهود.

منكري السنة جهلاء

ويواصل الأستاذ الدكتـور/ إسماعيل الدفتار حديثـه قائلا: إنني أستطيع أن أقـول بكل يقين وبكل تأكـيد إن هؤلاء الذين يـتكلمون في مـجـال إنكار السنة النبوية، إما مغرضون وحسابهم على الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وإما جاهلون وأولى بهم أن يتعلموا أو يسألوا إن لم يعلموا.

لا يستقيم للقرآن فهم إلا بالسنة

يقول فضيلة الشيخ/ محمـد صفوت نـور الدين ـ الرئيس العام لجماعة أنصـار السـنـة، ورئيس لجـنـة الفتـوى بالمركز العـام ـ: إن رب العــزة ـ سبحانه وتعالى ـ لم ينزل إلى الناس كتابًا ليأمرهم أن يعـملوا بما فيه دون بيان، إنما اصطفى نبينا، اختاره وأدبه وأنزل على هذا النبي كتابًا، وأمره أن يعمل بما فيه، وأمرنا أن نعمل بالكتـاب على مقتـضى عمل النبـي ﷺ، بهذا المفهـوم يصبح القـرآن والسنة واحدًا، من هدم أحدهما فقد هدم الآخر، فـلا يمكن أبدًا أن يستقيم للقرآن فهم إلا بالسنة، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيـرة جدًا لا يعمل بالقرآن إلا بإثبات السنة والعمل بـهـا، والقرآن الكريم يأمـر بطاعة الرسـول ﷺ، ويصبح أمـر القرآن بطاعة الرسول ﷺ أمر مهمل غير ذي بال، ولا يصبح أمرًا نافذًا، إذا لم يكن

هناك سنة نعمل بها، ورب العزة - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (المائدة: ٩٢)، فتصبح طاعة الرسول ﷺ بهذا المعنى وبهذا النص لا مفهوم لها!، فالكلام على إنكار السنة تعطيل للدين كله وهدم للقرآن نفسه، والذين يظنون أنهم عندما يطعنون في السنة، إنما يرفعون شأن القرآن، هؤلاء واهمون، فلا يطعن في السنة إلا خبيث أو جاهل إن أُحسن الظن به، وهذه بعض التساؤلات حول آيات القرآن التي بينتها السنة المطهرة، يقول سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١)، فالكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، فإن لم تثبت السنة، فكيف يكون الإسلام الدين الخاتم حجة الله على خلقه، وهو أيضًا في قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء: ١١٣)، وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢).

والواو في العطف تقتضي المغايرة، فمن لم يطع الله أو لم يطع الرسول فهو كافر، وطاعة الرسول ﷺ طاعة سنته، وكذلك في الآية: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩)، فردوه إلى الله يعني: إلى كتابه، وإلى الرسول يعني: إلى سنته، وقوله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢).

السنة بيان للقرآن

هذا ولابد من السنة للبيان، وإلا فأين في كتاب الله حِلُّ السمك في أكله، ولو مات قبل ذبحه؟، مع أن الآية في الميتة عامة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (المائدة:٣)، فأين استثناء ما كان في البحر؟.

القرآن الكريم أمر بإقامة الصلاة، فأين بيانها من القرآن أنها خمس صلوات في اليوم والليلة، ووقت كل صلاة، وأن الصبح ركعتان والمغرب ثلاث، وبقيتها أربع ركعات؟، وأين وصف الركعة أن في كل ركعة سجودين؟ وأن الركوع بين قيامين وبين كل سجدتين جلسة؟ وأين أذكار هذه الصلوات، وما تصح به الصلاة؟ وأين أن الوضوء ينتقض بالأحداث الناقضة، وغير ذلك؟!.

وكذلك جاء القرآن بالأمر بالصلاة والزكاة مقترنين، وحدد وقت زكاة الزرع: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الانعام:١٤١)، ولم يحدد بقية أنواع الزكاة، فهل كلما صلينا زكَّينا؟، وأين بيان النصاب والخارج منها؟.

وكذلك في الصوم، أين تحريم الصوم على الحائض، وأمرها بقضاء الصوم دون الصلاة؟، وما تحديد الليل في قوله: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة:١٨٧)، وكيف يفهم: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة:١٨٧)، بغير السنة الموضحة لذلك؟!.

وأما الحج، فكيف نفهم أن السعي بين الصفا والمروة ركن، مع قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة:١٥٨)، وفي المواريث، كيف نفهم قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء:١٢)، ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦)، فأين لنا أن الأولى في الإخوة لأم؟ والثانية لأب، أو الإخوة والأشقاء إلا من السنة[1]، فهذا هو رد العلماء المعاصرين على من أنكر السنة ولم يبال بها، فهيا لنقف مع الأفذاذ الذين سخرهم الله لحماية الشريعة من التابعين وهم يردون على من لم يبال بالسنة ويوضحون عورهم.

أخرج البيهقي عن أيوب السختياني التابعي الجليل أنه قال: «إذا حدثت الرجل بسنة، فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال».

وقال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ «السنة قاضية على الكتاب ولم يجئ قاضيًا على السنة»، والمعنى: أن السنة جاءت لبيان ما أُجمل من الكتاب، أو تقييد ما أطلقه، أو بأحكام لم تذكر في الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

وأخرج البيهقي عن عامر الشعبي ـ رحمه الله ـ: أنه قال لبعض الناس: «إنما هلكتم في حين تركتم الآثار» يعني: الأحاديث الصحيحة.

(١) «مجلة التوحيد» عدد ربيع الآخر ١٤٢٠ (ص٤٠-٤٧).

القسم الثاني من مظاهر اللامبالاة بترك السُّنة

(أ) قسم أقر بها، ولكنه تهاون بشأنها

وهذا القسم من النـاس إما جاهل بفـضل السنة وفضل الاقتـداء برسول الله ﷺ ، فيحتاج إلى تعليم وإرشاد لما في السنة من فوائد، وإما متكبر ومعاند مع الإقرار بها، فإن ذلك الصنف يحتاج إلى ترهيب وتخويف وبيان لسوء العاقبة.

وهيـا نقف مع القـسم الأول الذي يجـهل الاتبـاع كنه وفـضله وثوابه، ومكانة النوافل في الإسـلام؛ لنكشف له عن ثواب السنة والعمل بهـا، وما يعود عليه من منافع.

أولاً -فضل اتباع النبي ﷺ والاقتداء به:

اعلم علمني الله وإياك .. يا من لا تبـالي بترك الـسنن وهجرة سنة رسـولك ﷺ أنك لن تنال الخير في الدنيا ولا في الآخرة إلا باتباع النبي ﷺ .

يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

قال محمد بن علي الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به، والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة: ٧)، قال: بمتابعـة السنة، فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتـداء باتباعه، لأن الله تعالى أرسـله بالهدى ودين الحق ليـزكيهم ويعـلمهم الكتـاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى، ومغفرته إذا اتبـعوه، وآثروه على أهوائهم ومـا تجنح إليـه نفوسـهم، وأن صحـة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه.

أن الاقتداء به واتباعه ومحبته سبب من أسباب محبة الله تعالى:

روي عن الحسن أن أقوامًا قالوا: «يا رسول الله إنا نحب الله»، فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (آل عمران: ٣١).

أن الاقتداء به والاعتصام بسنته سبب من أسباب الهداية إلى الصراط المستقيم:

يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، فطرق الهداية كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى أثره ﷺ.

واعلم . . أن الله علّق الفلاح وجعله مقصورًا على من اتبع النبي ﷺ، قال سبحانه: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

الجزاء العظيم لمن أحيا سنة النبي ﷺ واعتصم به:

فالاعتصام بالسنة يعدل الشهادة في سبيل الله مائة مرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: عن النبي ﷺ قال: **«المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد»** (١).

وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: **«من أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة»** (٢).

---

(١) صحيح فيه محمد بن صالح العددي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٢): «لم أر له من ترجمة وبقية رجاله ثقات».

(٢) حديث حسن، رواه الترمذي في سننه (حـ ٢٦٧٨)، وقال: حسن غريب.

وقال ﷺ : «**من اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)] ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**العلم ثلاثة، فما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة**»[(٢)] ، وجعل سبحانه الفوز العظيم لمن أطاعه واقتدى به، يقول سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٧١) .

فصل:

في ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته، فعن مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد، أنه سأل عبد الله بن عمر فقال : «أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر»، فقال ابن عمر : «يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ ، ولا نعلم شيئًا، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل» .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي خلفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

وقال الحسن بن أبي الحسن : «**عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة**» .

---

(١) رواه البخاري (حـ ٥٠٦٣)، ومسلم (حـ ١٤٠١) .

(٢) إسناده صحيح، رواه عبد الرزاق في مصنفه (حـ ٢٠٥٦٨) .

وقال ابن شهاب: «بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنة نجاة»، وكتب عمر بن الخطاب إلى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن - أي: اللغة -، وقال: «إنا ناسًا يجادلونكم - يعني: في القرآن - فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»، وفي خبره - حين صلى بذي الحليفة ركعتين -، فقال: «أصنع كما رأيت رسول الله ﷺ يصنع».

وعن علي - حين قرن - فقال له عثمان: «ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله»، فقال: «لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «صلاة السفر ركعتان، ومن خالف السنة كفر».

وقال أُبي بن كعب رضي الله عنه: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله، فيعذبه الله أبدا، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه، فاقشعر جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة، فتحات عنها ورقها إلا حط الله خطاياه كما تَحَاتُّ عن الشجرة ورقها، فإن اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على مناهج الأنبياء وسنتهم.

وقال عمر - وهو ينظر إلى الحجر الأسود -: «إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» ثم قبله[1].

ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان، فسُئل عنه، فقال: «لا أدري إلا أني رأيت رسول الله ﷺ يفعله».

وقال أبو عثمان الحيري: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة».

وقال سهل التستري: «أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق، والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال».

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)، أنه الاقتداء برسول الله ﷺ.

وحُكي عن أحمد بن حنبل قال: كنت يومًا مع جماعة تجردوا ودخلوا في الماء، فاستعملت الحديث: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر»**[1]، ولم أتجرد، فرأيت تلك الليلة قائلاً لي: «يا أحمد أبشر، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة، وجعلك إمامًا يُقتدى به»، قلت: «من أنت؟»، قال: «جبريل»[2].

ثانيًا ـ بيان فوائد السنن والنوافل:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن منزلة السنن في الإسلام منزلة عظيمة وهي إن لم تكن واجبة إلا أن الشارع الحكيم عدد فوائدها في الدنيا والآخرة، وحث أتباعه على اتِّباعها، وهاك بيانها:

أولاً - تعويض النقص في أداء الواجبات: واعلم أن النقص إما أن يكون بالتهاون في الأداء، أو بعدم الإتقان كما يجب، ومن رحمة الله بعباده أن جعله يكمل بعض النقص في الفرائض والواجبات بالأعمال التطوعية، ويدل على ذلك أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة؛ فإن صلحت فقد أفلح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضته شيئًا، قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون عمله على هذا»**[3].

---

(١) رواه أبو داود (حـ١ ٢٨٠) ـ (جـ ٥/ ١١٣)، والنسائي.
(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (جـ ١٢ من ١٨-٢٠).
(٣) رواه الترمذي.

ولاشك ـ يا عبد الله ـ أن المؤمن رغم ما يقوم به من امتثال للأوامر واجتناب للنواهي، فإنه يخاف ألا يقبل منه عمله، فيسارع في الخيرات ويكثر من الطاعات، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٧-٦١).

قالت عائشة: «يا رسول الله، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؟»، قال: **«لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»**[(١)]، وفي رواية: **«ولكنهم الذي يصلون ويصومون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يتقبل منهم»**.

ثانيًا ـ أنها تكفر الذنوب والمعاصي: اعلم يا من لا تبالي بترك السنة أن السنن تكفر عنك الذنوب والمعاصي، وترفع درجتك، يقول رسول الله ﷺ: **«واتبع السيِّئة الحسنة تمحها»**[(٢)]، وروي عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤)، فقال الرجل: «ألي هذا؟»، قال ﷺ: **«لجميع أمتي»**[(٣)].

ثالثًا ـ أنها تحصن العبد من الوقوع في المحظورات وتنجيه من المهالك والكربات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»**[(٤)]، وقال ﷺ: **«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا تطفئ غضب الرب، وصلة**

---

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) رواه أحمد في «مسنده» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٩١).

الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»[(١)].

قال المناوي: «هذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله».

قال عليٌّ رضي الله عنه: «لا يزهدك في المعروف كفر من كفر، فقد يشكره الشاكر وأضعاف جحود الكافر».

وقال الماوردي: «فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يجعله حذرًا من فوته، ويبادر به خيفة عجزه، ويعتقد أنه من فرض زمانه، وغنائم إمكانه، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت، فأعقب ندمًا، ومعول على مكنة زالت، فأورثت خجلاً، ولو فطن بنوائب دهره، وتحفظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ومغانمه محبورة»، وقيل: «من أضاع الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها».

واسمع إلى تلك القصة التي توضح أهمية صنائع المعروف، التي حثنا عليها النبي ﷺ، هذه القصة حدثت منذ مائة سنة تقريبًا، وهي واقعية، وهذه القصة سمعت في الإذاعة في ركن البادية من الإذاعة السعودية، وهي كالآتي:

- يذكر رجل يسمى بن جدعان يقول: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سمان، يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها، وكلما اقترب الحوار - ابن الناقة - من أمه درَّت عليه، وانهال الحليب لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي، وابنها خلفها، وتذكرت جارًا لي له سبع بُنيَّات فقير الحال، فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة لجاري، والله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ

(١) حديث صحيح، رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٩١).

تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، وأحب حلالـي هذه الناقة، فـأخذتها وابـنها وطرقت البـاب على الجـار، وقلت: خذها هدية منـي لك، فرأيت الفـرح في وجـهه، لا يدري مـاذا يقول، فكان يشـرب من لبنهـا ويتحطب على ظهـرها، وينتظر وليدها يكـبر ليبيـعه، وجاءه منهـا خير عظيم، فلمـا انتهى الربيع وجـاء الصيف بجفـافه وقحطـه، تشققت الأرض، وبدأ البـدو يرتحلـون يبـحثون عن الماء والكلأ، يقول: شددنا الرحـال وظعنا من مكاننا نبحث عن الماء في الدحول ـ والدحول: هي حفرٌ في الأرض توصل إلى محابس مائية ـ أقبية تحت الأرض، لها فـتحـات فوق الأرض يعرفـها البدو، يقول: فـدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب ـ وأولاده الثـلاثة خارج الدحل ينتظرون ـ، فتاه تحت الأرض ولم يعرف الخـروج، وانتظر أبناؤه يومًا ويومين وثلاثة حتى يئسـوا، قالوا: لعل ثعبانًا لدغه ومات، لعلـه تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا ـ عياذًا بالله ـ ينتظرون هلاكه طمعًا في تقسيم المال، فذهبـوا إلى البيت، وقسموا وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقةً لجـارهم، فذهبوا إلـيه، وقالوا له: أعـد الناقة خيـرًا لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئًا، قال: أشتكيكم إلى أبيكم، قالوا: اشتكـي إليه، فإنه قد مات، قـال: مات؟! وأين مات؟! ولِمَ لَمْ أعلم بذلك؟!، قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله، اذهبوا بي إلى مكان هذا الدحل ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم ولا أريد جـملكم، فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيـه صاحبه الوفي وأحضر حبلاً وأشـعل شمعة، ثم ربطه خارج الدحل، ونزل يزحف على كفَّيه حتـى وصل إلى مكان فيه يحبو، وأماكن فيهـا يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسـمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يرهف تجاه الأنين في الظلام ويتلمس الأرض، فوقـعت يده على الطين، ثم وقعت يده

على الرجل، فوضع يده على أنفاسه، فإذا هو حي، يتنفس بعد أسبوع، فقام وجره، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد، وأولاده لا يعلمون، فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعًا كاملاً أنت تحت الأرض ولم تمت، قال: سأحدثك حديثًا عجبًا.

لما نزلت ضعت وتشعبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي، يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفاي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي، يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي ثم يذهب، يأتيني ثلاث مرات في اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع عني، ما أدري سبب انقطاعه؟، يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظن أولادك أنك مت، وجاءوا وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)، والجزاء من جنس العمل[1].

هذا جزاء من صنع المعروف، واقتفى أثر النبي ﷺ.

رابعًا - ومن فوائد السنن: حصول القرب من الله تعالى ومحبته وتسديده.

اسمع - يا من لا تبالي بالسنة وتتهاون في أدائها - إلى ثوابها عند الله - عَزَّ وَجَلَّ -، يقول ابن رجب: الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات وكراهة ما يكرهه من دقائق

(١) «الجزاء من جنس العمل» (جـ١) - (ص ٥١٨-٥٢١).

المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب وهذا فضل مستحب مندوب إليه، وفي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1].

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «فمنهم: ظالم لنفسه، هو المفرط في فعل الواجبات المرتكب بعض المحرمات، ومنهم: مقتصد، هو المؤدي للواجبات والتارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ومنهم: سابق بالخيرات، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات».

فانظر ـ يرعاك الله ـ إلى ثوابهم كما هو مفصل في سورة الواقعة، يقول سبحانه: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ .. ﴾ (الواقعة: ٧-٥٦).

وانظر إلى عظيم ثواب السنن والنوافل ـ يا من لا تبالي بها ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب

(١) أخرجه البخاري (جـ١١، ص٣٤٨، رقم ٦٥٠٢).

يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١] .

وذات يوم قال النبي ﷺ : **«من أصبح اليوم صائمًا؟»**، فقال أبو بكر: «أنا»، فقال: **«من عاد اليوم منكم مريضًا؟»**، قال أبو بكر: «أنا»، قال: **«من تبع اليوم جنازة؟»**، قال أبو بكر: «أنا»، قال: **«من أطعم اليوم مسكينًا؟»**، قال أبو بكر: «أنا»، قال رسول الله ﷺ : **«ما اجتمعت هذه الخصال في عبد في يوم إلا دخل الجنة»**[٢] .

خامسًا ـ أن المحافظة على السنن تعين على المحافظة على الفرائض، والتنزه عن المكروهات، يؤدي إلى ترك المحرمات.

(ب) قسم أقر بها، ولكنه تكبر وتهاون بها

فهذا القسم من الناس لا يبالي بالسنة، وهو يردد دائمًا: «يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها»، فجره ذلك إلى اللامبالاة والتنزه عن الاقتداء برسول الله ﷺ ، وهذا القسم يحتاج إلى ترهيب وتخويف وبيان لعاقبة التهاون والتنزه عن سنة رسول الله ﷺ .

في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال

يقول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة، متوعدٌ من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣)، وقال: ﴿ وَمَن

---

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه مسلم.

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، وذكر الحديث في صفة أُمته وفيه: «**فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم .. ألا هلم، فيُقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: فسحقًا فسحقًا فسحقًا**»[١].

وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[٢]، وقال: «**من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[٣].

ورُوي ابن أبي نافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[٤].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن**[٥] **أزيغ**»[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئًا ترخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال: «**ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»[٧].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (ح٣٩) ـ (جـ١) ـ (ص٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٠٦٣) ـ (جـ ٩) ـ (ص٦)، ومسلم (ح ١٤٠١) ـ (جـ ٢) ـ (ص١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٢٦٩٧) ـ (جـ٥، ص٣٠١).

(٤) مرسل صحيح: أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٢٤)، وأبو داود في «المراسيل» (ح ٤٨٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح ٣٠٩٣) ـ (جـ ٦/ ١٩٦).

(٦) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (جـ ٢) ـ (ص٢٢-٢٣).

(٧) أخرجه البخاري ومسلم.

وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله ﷺ، يذهبون إلى رأي سفيان، والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)»، ثم قال: «أتدري ما الفتنة؟»، الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، فكأني بهذا العبد الذي لا يبالي بالسنة يهوي بنفسه في نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش، وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمون فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني، وتقتحمون فيها»**[1].

ثم اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الطاعة والاقتداء سبب من أسباب دخول الجنة، والمخالفة والابتداع سبب من أسباب دخول النار، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى»**، قيل: «يا رسول الله، ومن يأبى؟!»، قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**

نزول البلاء بمن خالف توجيهات سيد الأنبياء[2]

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» ص(١٣٩-١٤٣).

١ ـ الهلاك السريع لمن رد دعاء الشفيع ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده، قال له: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، قال: قلت: «طهور! ، كلا بل هي حمى تفور ـ أو تثور ـ على شيخ كبير تزيره القبور»، فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذًا**»[١].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: قال ابن التين: «يُحتمل أن يكون ذلك دعاء عليه ويُحتمل أن يكون خبرًا عما يؤول إليه أمره»، وقال غيره: «يُحتمل أن يكون النبي ﷺ علم أنه سيموت من ذلك المرض فدعا له بأن تكون الحمى له طهور لذنوبه، ويُحتمل أن يكون علم ذلك لما أجابه الأعرابي بما أجابه».

ورجح محدِّث العصر الألباني ـ رحمه الله ـ: «ويُحتمل أن يكون خبرًا عما يؤول إليه أمره».

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ: «والظاهر أن هذا من باب التفاؤل، يعني: ما دام أنك قلت هذا فهو لك، وليس بدعاء لكن هذا الرجل غير متفائل فجعل له رسول الله ﷺ ما أراد».

وقال ـ رحمه الله ـ: «ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يطلق لسانه في الأمور التي يتشاءم منها، كما قال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتُبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

---

(١) رواه البخاري.

قلت: وظاهر الحديث يدل على أن النبي ﷺ جعل له ما أراد، وذلك حين قال الأعرابي: كلا، في مقابل قول الرسول ﷺ: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، فكأن النبي ﷺ يقول له: «إن أبيت إلا هذا، فنعم إذًا، فأصبح الأعرابي ميتًا كما جاء في طرق أخرى في مصنف عبد الرزّاق، وجاء عند الطبراني في (الكبير) والدولابي في (الكنى) أن النبي ﷺ قال: «**أما إن أبيت، فهي كما تقول، وما قضى الله فهو كائن**»، قال: فما أمسى من الغد إلا ميتًا.

٢ ـ *الخسارة الأليمة بسبب مخالفة الرماة للرسول ﷺ بالنزول:*

خلف الغنيمة: عن البراء رضي الله عنه قال: لقينا المشركين يومئذٍ ـ يوم أحد ـ وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير، وقال: «**لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، فلا تبرحوا، وإن ظهروا علينا، فلا تعينونا**»، فلما التقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة، فقال عبد الله: «عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً .. إلخ[١]».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «من الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأنَّ الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٢)، فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة من أسباب الخذلان. اهـ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣).

قلت ـ أبو عمار ـ: وانظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى الآثار المترتبة على هذه المخالفة الواحدة.

أولاً ـ نزول البلاء الشديد بالمسلمين.

ثانيًا ـ استشهاد سبعين من الصحابة.

ثالثًا ـ جرح النبي ﷺ وكسروا رباعيته اليمنى وسقوطه في الحفرة، ورميه بالحجارة، ومجموع ما حصل كما قال الحافظ ابن حجر: أنه شُج وجهه ﷺ، وكُسرت رباعيته، وجُرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة، وجُحشت ركبته، وهذا كله من شؤم المعصية، وخطر المخالفة للرسول ﷺ.

قال شيخنا مقبل الوادعي ـ رحمه الله ـ: «فيه دليل على أن المعصية من أسباب الهزيمة، ولعل في هذا عبرة لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة التي ترتكب بعض المعاصي كحلق اللحية، وإدخال آلات اللهو والطرب في بيوتهم من أجل مصلحة الدعوة ـ فيما زعموا ـ، وهكذا مجاراة المجتمع في إدخال التلفزيونات والفيديوهات في بيوتهم من أجل مصلحة الدعوة ـ فيما زعموا ـ.

٣ ـ *الريح الشديدة تأخذ رجلاً خالف الرسول ﷺ إلى الجبال البعيدة:*

عن أبي حميد رضي الله عنه قال: انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: **«ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم منكم أحد، فمن كان له بعير فليشد عقاله»** فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طي[1].

---

(١) أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء، فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه، فيلحقه ضرر الريح.

قلت ـ أبو عمار ـ: «وانظر عقوبة هذه المخالفة لرسول الله ﷺ كيف كانت نتيجتها، وعاقبتها وخيمة، حيث أخذت الريح هذا الرجل الذي قام بعد نهي النبي ﷺ من تبوك إلى جبلي طي في مسافات مئات الكيلو مترات».

٤ ـ سرعة النكال لمن أكل بالشمال:

عن إياس بن سلمة بن الأكوع: أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال رسول الله ﷺ: «كل بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، قال: «**لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**»، فما رفعها إلى فيه[1].

قلت: انظر إلى هذا الرجل الصحابي الذي خالف رسول الله ﷺ في مسألة واحدة هي في نظر كثير من الناس هينة، ولكنها في الشريعة عظيمة، فاستحق بمخالفته هذه دعوة الرسول ﷺ، فاستجاب الله دعاء نبيه، فما رفع الرجل يده إلى فيه، فأصبحت كالعصا، وهذا جزاء كل من تكبر وعصى وأعرض عن سنة المصطفى ﷺ.

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ في (شرح رياض الصالحين): وفي هذا دليل على وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأن

---

(١) رواه مسلم.

الأكل باليسار حرام يأثم عليه الإنسان، وكذلك الشرب باليسار حرام يأثم عليه الإنسان، لأنه إذا فعل ذلك، أي: أكل بشماله أو شرب بشماله شابه الشيطان وأولياء الشيطان.

قال النبي ﷺ: **«لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»**[(١)].

٥ - *التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان:*

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قضى رسول الله ﷺ في رجل طعن رجلاً بقرن في رجله، فقال: «يا رسول الله أقدني»، فقال له رسول الله ﷺ: **«لا تعجل حتى يبرأ جرحك»**، قال: فأبى الرجل إلا يستقيد، فأقاده رسول الله ﷺ منه، قال: فعرج المستقيد وبرأ المستقاد منه، فأتى المستقيد إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «يا رسول الله عرجت وبرأ صاحبي»، فقال له رسول الله ﷺ: **«ألم آمرك أن لا تستقيد حتى يبرأ جرحك؟، فعصيتني فأبعدك الله وبطل جرحك»**، ثم أمر رسول الله ﷺ: من كان به جرح ألا يستقيد حتى تبرأ جراحته، فإذا برأت جراحته استقاد[(٢)].

٦ - *سابق الإمام، فحول الله رأسه رأس حمار:*

ذكر ابن حجر عن بعض المحدثين: أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجابًا، ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له ورأى حرصه على الحديث، كشف له الستر،

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) رواه أحمد وغيره.
- «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص١٤٢-١٤٣).

فرأى وجهه وجه حمار، فقال له: «احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإنه لما مر بي الحديث استبعدت وقوعه، فسبقت، فصار وجهي كما ترى».

قلت ـ أبو عمار ـ: انظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى عقوبة مسابقة الإمام في الركوع والسجود، أو في أي فعل من أفعال الصلاة، فإن هذا محرم بل حتى مساواة الإمام في الركوع والسجود وغيرها من أفعال، فإن هذا من الأمور المحرمة أيضًا، وقد حذر النبي ﷺ من مسابقة الإمام، فقال: **«أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار»**[1].

فانظر ـ يرعاك الله ويردك إلى الصواب ـ كيف كانت نهاية هؤلاء الذين لم يبالوا بالسنة، بل استهانوا بها أو تكبروا عليها، **فعاقبهم الله** على صنيعهم هذا بتلك العقوبة العاجلة، وجعلهم عبرة لمن أراد الاعتبار.



(١) «سرعة العقاب» (ص١١٢-١١٣).

الباب الثاني

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جنهم»[١].

وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم.

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

اعلم - علمني الله وإياك - أن الكلمة شأنها خطير، وضررها عظيم، فهي مفتاح كل خير، أو مفتاح كل شر، وبها ينال العبد الرضى والرضوان، أو ينال السخط والخيبة والخسران، فكم من كلمة رفعت صاحبها إلى عنان السماء، ونال بها الرفعة في الدنيا والآخرة، وكم من كلمة أورثت صاحبها الذل والمهانة، ولذا قيل:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وهيا لنقف مع ابن القيم، وهو يوضح لنا خطورة الكلمة، يقول - رحمه الله -: «وأما اللفظة فحفظها بأن لا يخرج لفظة طائعة بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة، أم لا؟، فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر هل تفوت بها كلمة أربح منها؟، فلا يضيعها بهذه وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى».

يقول يحيى بن معاذ: «القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك بما في قلبه، حلو، وحامض، عذب، وأجاج، وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه، أي: كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام، فتدرك العلم بحقيقته، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه من لسانه، كما تذوق ما في القدر بلسانك».

وفي حديث أنس المرفوع: **«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»**[1].

---

(١) ضعيف: أخرجه القضاعي (٢/ ٨٨٧) بلفظه، وأحمد (٣/ ١٩٨). وفيه علتان: العلة الأولى - (علي ابن مسعدة) صدوق وله أوهام، والعلة الثانية - عنعنه قتادة.

وسُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: **«الفم والفرج»**[(١)].

وقد سأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة، ويباعده من النار، فأخبره الرسول ﷺ برأسه وعموده، وذروة سنامه، ثم قال: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»**، قال: «بلى يا رسول الله»، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: **«كف عليك هذا»**، فقال: «وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟!»، فقال: **«ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»**[(٢)].

ومن العجب: أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول[(٣)].

ويقول الإمام النووي - رحمه الله -: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا ما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليقل خيراً أو ليصمت»**[(٤)].

---

(١) «صحيح الترمذي» (١٦٣٠).
(٢) صحيح الترمذي» (١٦٣١).
(٣) «الداء والدواء» (ص٢٠٤-٢٠٥).
(٤) متفق عليه.

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، وقد جعل النبي ﷺ حفظ اللسان مع حفظ الفرج جواز إلى الجنة ونجاة من النار، فمن ضمن اللسان والفرج ضمن له النبي ﷺ الجنة، قال ﷺ: **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**[1].

قال الحافظ: «الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى: من أدى الحق على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام، وقوله: **«لحييه»**، هما العظمان في جانبي الفم، والمراد مما بينهما اللسان وما يتأتى به من النطق، وبما بين الرجلين الفرج».

وفي بيان أن اللسان قائد الأعضاء في الاستقامة والاعوجاج، أخبر النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: **«اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»**[2].

وتكفير الأعضاء للسان كناية عن تنزيل الأعضاء اللسان منزلة الكافر بالنعم، وقد جعل النبي ﷺ اللسان أخوف ما يخاف على سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، فقد قال: قلت: «يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به»، قال: **«قل: ربي الله ثم استقم»**، قلت: «يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي»، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: **«هذا»**[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وابن خزيمة وصححه، وكذا صححه الألباني.

(٣) «شأن الكلمة في الإسلام» (ص١٦-١٨). والحديث رواه الترمذي، قال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، وصححه الألباني.

خطورة اللامبالاة بالكلمة

إذا كان هذا هو خطر الكلمة، وأنها قد تكون سبب من أسباب النجاة أو سبب من أسباب الهلاك، فقد حذرنا النبي ﷺ من خطورة اللامبالاة بالكلمة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم»[1].

وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[2].

وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني عن النبي ﷺ: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه»[3]

وكان علقمة يقول: «كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن حارث».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمة الله عليه ـ: قال ابن عبد البر: «الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار، هي التي يقولها عند السلطان الجائر»، وزاد ابن بطال: «بالبغي والسعي على المسلم، فتكون سببًا لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك، ولكنها ربما أدت إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها، والكلمة التي ترفع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي وابن ماجه، والبغوي في «شرح السنة».

الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بهـا عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلومًا.

وقال غيره في الأولى: «هي الكلمة عند ذي سلطان يرضيـه بها فيما يسخط الله»، قال ابــن التين: «هذا هو الغالب، وربما كـانت عند غيـر ذي سلطان ممن يتأتى منه ذلك، ونقل عــن ابن وهب أن المراد بها: «التلفظ بالسوء والفـحش ما لم يرد بذلك الجحـد لأمر الله في الدين، وقال القـاضي عياض: «يُحـتمل أن تكون الكلمـة من الخنى والرفث، وأن تكـون في التعـريض بالمسلم بـكبيـرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة، وإن لم يعتقد ذلك».

قال الشيخ العـز بن عبد السلام: «هي الكلمة التي لا يعرف القـائل حسنها من قبحها»، قال: «فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه».

قلت: وهذا الذي يجري على قاعدة مقدمة الواجب . .[1].

من أجل ذلك حثنا النبي ﷺ على أمرين فيهما نجاة المسلم في الدنيا والآخرة:

احدهما ـ ترك الكلام فيما لا يعني، فإنه علامـة من علامات إيمان العبد؛ فعن علي بن الحسين، قال رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[2].

قال أبو سليمـان الخطابي ـ رحمه الله ـ قال بعض الحكمـاء: «من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن لم يستغن بما يكفيه، فليس في الدنيا شيء يغنيه».

وإن ابن عباس رضي الله عنهما أوصى رجلاً، فقال: «لا تتكلم بما لا يعنيك؛ فإن ذلك فـضل، فلست آمن عليك الوزر، ودع الكلام في كـثيـر مما يعنيك حتى تجـد له

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١١) ـ (ص٣١٧).
(٢) أخرجه الترمذي والخطابي في كتاب «العزلة».

موضوعًا؛ فرب متكلم في غير موضعه قد عنت، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه، ودعه مما تحب أن يدعك منه؛ فإن ذلك العدل، واعمل عمل امرئ يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام»[1].

الثاني - الصمت، فهو سمت المؤمن، ودليل على رجاحة عقله.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**[2].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ: «أي المسلمين أفضل؟»، قال: **«من سلم الناس من لسانه ويده»**[3].

وهذا ابن مسعود ﷺ على الصفا يلبي ويقول: «يا لساني قل خيرًا تغنم، واسكت عن الشر تسلم، قبل أن تندم»، فقيل: «يا أبا عبد الرحمن، أهذا شيءٌ تقوله أم شيءٌ سمعته»، فقال: بل سمعت رسول الله ﷺ: **«إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»**.

وقال الشافعي - رحمه الله - لصاحبه الربيع: «يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها».

وقال بعضهم: «مثل اللسان مثل السبع، إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره».

احفظ لسانك أيها الإنسان	**لا يلدغنك إنه ثعبان**
كم في المقابر من قتيل لسانه	**كانت تهاب لقاءه الشجعان**

(١) «العزلة» (ص٦١-٦٢).

(٢) (٣) أخرجهما البخاري ومسلم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا تم العقل قل الكلام»

وقال ابن عيينة: «من حُرم الخير فليصمت؛ فإن حرمه فالموت خيرٌ له».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان»**[1].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل».

وقال لقمان لابنه: «يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك».

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

خوف السلف من اللامبالاة بالكلمة

هيا لنقف مع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكيف أنهم كانوا يخافون من خطورة الكلمة، واللامبالاة بها:

١ - **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه؛ روى عمر رضي الله عنه أنه دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: «مه! غفر الله لك»، قال أبو بكر: «هذا الذي أوردني الموارد».

٢ - **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **حبر الأمة، وترجمان القرآن:** قال رجل: رأيت ابن عباس أخذ بثمرة لسانه، وهو يقول: «ويحك قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم»، قال: فقال رجل: «ما لي أراك تأخذ ثمرة لسانك تقول كذا وكذا؟»، قال ابن عباس: «بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه لسانه».

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه، وابن حبان.

٣ ـ عبد الله بن أبي زكريا: قال: «عـالجت الصمت عشـرين سنة، فلم أقدر منه على ما أريد، وكان لا يدع يعاتب في مـجلسه أحد»، يقول: «إن ذكرتم الله أعناكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم».

٤ ـ عبد الله بن وهب: يقول ـ رحمه الله ـ: نذرت أني كلمـا اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًـا، فأجـهدني، فكنت أغـتاب وأصـوم، فنذرت إن اغتبت إنـسانًا أن أتصدق بدرهم، فـمن حبي للدراهم تركت الغـيبة»، قـال الذهبي: «هكذا كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع».

٥ ـ قال الإمام النووي في الأذكار: «بلغنا أن قس بن ساعـدة وأكثم بن صفي اجتمعا، فقال أحدهمـا: «كم وجدت في ابن آدم من العيوب، فقال: «هي أكثر من أن تُحـصى، والذي أحصـيتـه ثمـانية آلاف عـيب، ووجدت خـصلة، إن استعملتها سترت العيوب كلها»، قال: «ما هي؟»، قال: «حفظ اللسان».

٦ ـ قال سفيان الثوري لأصحابه: «أخبروني لو كـان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟»، قالوا: «لا»، قـال: «فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ».

كان رقيبًا منك يرعى خواطري	**وآخـر يرعى ناظري ولسـاني**
فـما نظرت عـيناي بعدك نظرة	**لغـيرك إلا قلت قـد رمـقاني**
ولا بدرت من فيَّ بعـدك لفظة	**لغـيرك إلا قلت قـد سـمعاني**
ولا خطرت في غير ذكرك خطرة	**على القلب إلا عـرجت بعناني**

ما ظنك بمن يحصي جميع كلماتك كـل حركاتك ويشهد عليك بحسناتك، تُرفع الصحائف وهي سود، وعمل المنافق مـردود، يحضره الملكان لدى المعبود، يا شر العبيد ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق:١٧)، يضبطان على العبد ما يجري

من حركاته وما يكون من نظراته، وكلماته، واختلاف أموره وحالاته، لا ينقص ولا يزيد ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨).

يا كثير الكلام حسابك شديد، يا عظيم الإجرام عذابك جديد، يا مؤثرًا ما يضره ما رأيك سديد، يا ناطقًا بما لايجدي ولا يفيد، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت ـ يا هذا ـ مطلوب، ولك ذنوب، ما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب، وقد أتاه ما يصدع الحديد ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١].

صور من اللامبالاة بالكلمة

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن شأن الكلمة خطير، فالإنسان يدخل الإسلام بكلمة، فيعصم بها دمه وعرضه وماله، وبالكلمة يوبق العبد نفسه، فيصبح حلال الدم والعرض والمال، وبالكلمة يتزوج الإنسان، فتُقام الحياة الزوجية، وبالكلمة تُهدم البيوت، ويُفرق بين الزوج وزوجته .. وبالكلمة ينال العبد الأجر والثواب، والرضى والغفران، وبالكلمة يهوي العبد أبعد مما بين المشرق والمغرب في نار جهنم.

وهاك ـ أخي المسلم .. أختي المسلمة ـ صور من اللامبالاة بالكلمة، وتلك الصور نسمعها في كل وقت .. في المنزل .. في الشارع .. في السوق .. في كل مكان نرى ونسمع تلك المواقف التي لا يبالي أصحابها بخطورة الكلمة.

---

(١) «التبصرة» (ص٦١٧).

أولاً - في مجال الاعتقاد:

وهو أخطر المجالات لأن نتيجته إما جنة، وإما نار، إما سعادة، وإما شقاء، فمن ذلك:

١ - سب الدين: في زمن كثرت فيه المعارف وقل فيه العارف، تجد بعض الشباب يخرج هذه الكلمة التي تكاد السموات تنفطر من هولها، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، وهو لا يبالي، بل إنها أصبحت عادة وسمة من سماتهم، فما إن تدخل الأسواق وتركب المواصلات، وتقف على المقاهي إلا سمعت تلك الكلمة الخبيثة التي تصدر عن إنسان لا يبالي بعظمها، فإذا عاتبته وزجرته قال: «قد خرجت عن وعيي»، وهذا كذب لأنه لا يستطيع في حالته تلك أن يطلق أو يسب ذلك الإنسان الذي بينه وبينه مشاحنة، وما علم المسكين أنه بتلك الكلمة التي قالها قد خرج عن الإسلام وأصبح كافرًا - والعياذ بالله -، وما علم أنَّ صلاته قد بطلت، وحجه قد بطل، وزكاته، وسائر أعماله.

إن سب الدين أو سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ، لمن الأسباب الأساسية والأمور الرئيسية للخروج من الدين، وذلك هو الارتداد بعينه، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ولقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال: **«من بدَّل دينه فاقتلوه»**، ولذلك نحذر المسلمين من غضب الله وعقابه، ومن الكفر بعد الإيمان، ولنحافظ على ألسنتنا فلا نتكلم بها إلا بما يرضي الله.

أما بالنسبة للعمل الذي سبق هذا الذنب العظيم والإثم الكبير، فإنه قد حبط، كما قال علماؤنا، حتى وإن تاب، فيجب عليه أن يحج مرة ثانية إن كان قد حج قبل ذلك، ويرجع إلى زوجته بمهر وعقد جديدين . . إلى غير ذلك»[1].

(١) «منار الإسلام» عدد شعبان ١٤٢٠ ص (٣٦)، فتوى الشيخ محمد سليمان حمودة.

حكم من سب الله أو رسوله أو كتابه:

قال ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ: وتحرير القول فيه أن السَّـابَّ إن كان مسلمًا، فإنه يكفر، ويُقتل بغير خلاف، وهو مـذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم من حكى بالإجماع على ذلك إسـحق بن راهويه، وغيره، وإن كان ذميًا فـيُقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث[1].

فالذي يسب أو يشتم الله أو رسوله ﷺ فهـو كافر، وحدُّه في ذلك القتل بالإجماع ولا يستـتاب عند الجمهور، ولا عذر له في ذلك سـواء كان مازحًا أو جادًا أو مـستحلاً أو يعـتقد حرمـة ذلك، وقال ابن تيمـية: «إن من سب الله أو سب رسوله كـفر ظاهرًا وباطنًا سواء كان السـاب يعتقد أن ذلك مـحرم أو كان مستحلاً له أو كان عن اعتقاده»، وقال: «من سب الله كفر، سواء كان مازحًا أو جادًا، لهذه الآية»، يقصد: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[2] (التوبة: ٦٥)، ولكن في زمن اللامبالاة تجـد الإنسان يسب ويكفر ثم يرجع إلى بيته، فـيجامع زوجـته، ويصلي وكـأن أمـرًا لم يكن، لماذا لا يتـقي الإنسان ربه ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ ويعلم أنه بتلك الكلمة الخبيثـة قد خرج عن الإسلام، فيجب على المرء أن يلجم نفسه بلجام ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

ثانيًا ـ سب الدهر وعيب الزمان:

فكثـير من الناس أصـبح يشتكـي من ذلك الزمان، ومـا حل بهم من فقـر وفاقه، وجـهد وبلاء، فيجره ذلك إلى سب الزمـان والدهر، ولا يبالي بذلك، وكأنها كلمة عابرة لا يلقي لها بالاً، ومن أمثال هؤلاء ابن المعتز، حيث يقول:

---

(١) «منار الإسلام» ع شعبان ١٤٢٠ (ص٣٦) فتوى الشيخ محمد سليمان حمودة.

(٢) كتاب «العذر بالجهل» (ص٣١).

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً ... وأنت والد ســوء تأكل الولد

وقول أبي الطبيب:

قبحًا لوجهك يا زمان كأنه ... وجه له من كل قبح برقع

وقول الطرفي:

إن تبتلى بلئام الناس يرفعهم ... عليك دهرٌ لأهل الفضل قد خان

وقول الحريري:

ولا تأمن من الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه[(١)]

ونحو هذا كثير، وكل هؤلاء لم يبالوا بما يقولون؛ لأنهم لم يتدبروا قول النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**»[(٢)]، وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الدهر هو الله**»[(٣)].

قال الشافعي في تأويله - والله أعلم -: «إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر، تسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت، أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو الليل والنهار، ويقولون: أصابتنا قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء، فيذمون الدهر بأنه يفنيهم، ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر**»، على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله - تبارك وتعالى -؛ فإنه فاعل الأشياء» اهـ.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

وقال ابن القيم: وفي هذا ثلاث مفاسد:

أحدها - سبه من ليس أهلاً للسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره، متذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

والثانية - أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتمه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدًا، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة - أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال، التي لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فربُّ الدهر هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم الدهر مسبَّة لله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، فسابُّ الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما: إما مسبَّة الله والشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله، فهو يسب الله تعالى[1] اهـ.

ويقول الإمام ابن الجوزي تحت عنوان (سب الدهر خروج من الإيمان): «ما رأت عيني مصيبة نزلت بالخلق أعظم من سبهم للزمان وعيبهم الدهر، وقد كان هذا في الجاهلية، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: **«لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»**، ومعناه: أنتم تسبون من فرق شملكم وأمات أهلكم وتنسبونه إلى الدهر، والله تعالى هو الفاعل لذلك».

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٤-٥٤٦).

فتعجبت كيف علم أهل الأسقام بهذه الحال، وهم ما كان أهل الجاهلية عليه ما يتغيرون حتى ربما اجتمع الفطناء الأدباء الظرفاء على زعمهم، فلم يكن لهم شغل إلا ذم الدهر، وربما جعلوا الله الدنيا، ويقولون: فعلت وصنعت، حتى رأيت لأبي القاسم الحريري يقول:

ولما تعامى الدهر وهو أبو الردى عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمي ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

وقد رأيت خلقًا يعتقدون أنهم فقهاء وفهماء، ولا يتحاشون من هذا، وهؤلاء إن أرادوا بالدهر مرور الزمان، فذاك لاختيار له ولا مراد، ولا يعرف رشدًا من ضلال، ولا ينبغي أن يلام، فإنه زمان مُدَبَّر، لا مُدَبِّر، فَيُتَصَرَفُ فيه ولا يَتَصَرَفُ بأحد، وما يظن بعاقل أن يشير إلى هذا المذموم المعرض عن الرشد الشيء الحكم هو الزمان، فلم يبق إلا أن القوم خرجوا على ربقة الإسلام، ونسوا هذه القبائح إلى الصانع فاعتقدوا فيه قصور الحمة، وفعل ما لا يصح، كما اعتقده إبليس في تفضيل آدم.

وهؤلاء لا ينفعهم مع هذا الزيغ اعتقاد إسلام ولا فعل صلاة، بل هم شر من الكفار، لا أصلح الله لهم شأنًا ولا هداهم إلى رشاد[1].

وهنا يجب على المسلم أن يبحث عن أسباب تلك الأزمات والمصائب التي أصابته بدلاً من أن ينسبها إلى الدهر، ولا يبالي بذلك.

ثالثًا ـ اللامبالاة بكلمة (لو):

فما إن تجلس في مجلس إلا وسمعت هذه الكلمة تتردد على ألسنة الجالسين وهم لا يبالون بها ولا يرفعون لها رأسًا.

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٣٨٣-٣٨٤).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

فقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية في كلمة (لو)، فأجاب رادًا على ذلك السؤال، وهو فيمن سمع رجلاً يقول: لو كنت فعلت كذا لم يجر عليك شيء من هذا، فقال رجل آخر سمعه: هذه الكلمة قد نهى النبي ﷺ عنها، وهي كلمة تؤدي قائلها إلى الكفر، فقال رجل آخر: قال النبي ﷺ في قصة موسى مع الخضر: «**يرحم الله موسى وددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما**»، واستدل الآخر بقوله ﷺ: «**المؤمن القوي احب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، إلى أن قال: «**فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان**»، فهل هذا ناسخ لهذا، أم لا؟.

* الجواب: الحمد لله .. جميع ما قاله الله ورسوله حق، و (لو) تستعمل على وجهين:

احدهما - على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور، فهذا الذي نهي عنه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٦)، وهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ حيث قال: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»، أي: تفتح عليك الحزن والجزع وذلك يضر ولا ينفع، بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن: ١١)، قالوا: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

---

(١) أخرجه مسلم.

الوجه الثاني - أن يُقال: «لو»، لبيان علم نافع، كقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء:٢٢)، ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل»، ونحوه جائز، وقول النبي ﷺ: **«وددت لو أن موسى صبر، ليقص الله علينا من خبرهما»**.

هو من هذا الباب، كقوله: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (القلم:٩)، فإن نبينا ﷺ أحب أن يقص الله خبرهما، فذكرها بيان محبته للصبر المترتب عليه، فعرفه ما يكون لما في ذلك من المنفعة، ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن، ولا ترك لما يحب من الصبر المقدور عليه، وقوله: **«وددت لو أن موسى صبر»**، قال النحاةُ تقديره: وددت أن موسى صبر، وكذلك قوله: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(القلم:٩)، تقديره: ودوا أن تدهن، وقال بعضهم: بل هي لو شرطية وجوابها محذوف، والمعنى على التقديرين معلوم، وهي محبة ذلك الفعل وإرادته، ومحبة الخير وإرادته محمود، والحزن الجزع، وترك الصبر مذموم - والله أعلم -[1].

فالواجب على العبد عند حلول ما يؤلمه أن يلزم نفسه الرضى بالمقدور، وأن يردد قول النبي ﷺ: **«قدر الله، ما شاء فعل»**، ولا يفتح على نفسه باب (لو)، فإنه باب منهي عنه.

رابعًا - قول: ما شاء الله وشئت:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة: قول الإنسان لأخيه: **«ما شاء الله وشئت»**، أو: **«لولا أنت والله»**، أو: **«نحن بالله وبك»**، وما شاكل ذلك، فهي كلمة تتردد على الألسنة من باب المجاملة وكسب الخاطر، ولكنها تدخل العبد في دوامة الشرك - والعياذ بالله -.

---

(١) «الفتاوى الكبرى» (جـ ١) - (ص٢٧٦-٢٧٧).

عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ، فقال: «إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة»، فأمرهم ﷺ: إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله، ثم شئت[1].

وله أيضًا عن ابن عباس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًا، ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: رأيت كأني على نفر من اليهود، قلت: «إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله»، قالوا: «وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد»، ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: «إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله»، قالوا: «وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد»، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته، قال: «هل أخبرت بها أحدًا»، قلت: «نعم»، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ تحت عنوان «الشرك في اللفظ»: «ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت .. الحديث، مع هذا أن الله قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير:٢٨)، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت في الأرض،

(١) رواه النسائي وصححه.

أو يقول: وحياة فلان، أو يقول: نذر لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانًا، ونحو ذلك؟.

فوازن بين هذه الألفاظ، وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش، يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل لله ندًا بها. هذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء بل لعله أن يكون له من أعدائه ندًا لله رب العالمين، فالسجود والعبادة والتوكل، والإنابة والتقوى والخشية، والحسب والتوبة، والنذر والحلف، والتسبيح والتكبير، والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبدًا والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وفي مسند الإمام أحمد: أن رجلاً أتي به إلى النبي ﷺ قد أذنب ذنبًا، فلما وقف بين يديه قال: «اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب لمحمد»، فقال: «عرف الحق لأهله»[1] .[2]

إذا كان هذا كلامه ﷺ لمن قال له: «ما شاء الله وشئت»، فكيف بمن يقول:

فإن من وجودك الدنيا وضرها	ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقول في همزيته:

هذه علتي وأنت طبيبي	ليس يخفى عليك في القلب داء

(١) أخرجه أحمد وهو ضعيف الإسناد، لأن فيه انقطاعًا بين الحسن والأسود بن سريع.
(٢) «الداء والدواء» (ص ١٧٢-١٧٣).

وأشباه هذا من الكفر الصريح[١]، فيجب على العبد أن يفكر في ما يريد أن يتكلم به، فإن كان لله خالصًا تكلم، وإلا أمسك عليه لسانه، فإن الصمت زين الرجال.

خامسًا ـ الحلف بغير الله:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة تلك الصورة التي لا تفارق المجالس، فهذا يحلف بأمه، وذلك يحلف بأبيه، وذاك يحلف بالبدوي، وآخر يحلف بالرفاعي، وآخر يحلف بالشرف والأمانة والذمة .. وآخر بالطلاق، وباب الكعبة، والنبي.. إلى غير ذلك من صور الحلف التي تتلون بألوان المجتمعات والعادات، وأصبح الأمر شيئًا عاديًا، مع أن ذلك من الشرك ـ والعياذ بالله ـ.

ولقد نهى النبي ﷺ أمته عن الحلف بالآباء، وجعل ذلك ـ أعني: الحلف بغير الله ـ شركًا بالله تعالى.

فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٣]، وقوله: «فقد كفر أو أشرك»، أخذ به طائفة من العلماء فقالوا: يكفر من حلف بغير الله كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه، بقوله: «لا إله إلا الله»، فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٣٨).
(٢) رواه أبو داود وهو في «صحيح الجامع» رقم (٢٧٨٧).
(٣) متفق عليه.

قال الجمهور: لا يكفر كفـراً ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر، كما نص على ذلك ابن عبـاس وغيره، وأما كونه أمـر من حلف باللات والعزى أن يقول: «لا إله إلا الله»، فلأن هذه كفارة له مع استـغفاره، كما قال في الحديث الصحيح: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»[1]، وفي رواية: «فليستغفر»، فهذا كفارة له في كـونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسـلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسـلامه، لنقصه بذلك لا لكفره؛ لكن الذي يفعله عبـاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شـئت من الأيمان صادقـًا أو كـاذبًا، فإذا طلبت منه اليـمين بالشيخ أو تربته أو حيـاته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذبـًا، فهذا شرك أكبر بلاريب، لأن المحلوف به عنده أخـوف وأجل وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شـرك عبـاد الأصنام، لأن جهـد اليمين عندهم هـو الحلف بالله، كمـا قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ (النحل: ٣٨)، فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحـياته أو تربته فهو أكـبر شركًا منهم، فهـذا هو تفصيل القول في المسألة[2].

واستمع إلى ابن مسعود رضي الله عنه وهو يبين لـنا خطورة الحلف بغير الله، فيقول رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[3].

وإنما رجح ابن مسعود رضي الله عنه الحلف بغيـره صادقًا، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيـره شرك، وإن قدر الصـدق في الحلف بغير الله، فـحسنة التوحـيد

(١) متفق عليه.

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٢٩).

(٣) رواه ابن جرير، ورواه الطبراني موقوفًا، وقال المنذري: ورواته رواة الصحيح.

أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك، ذكره شيخ الإسلام، وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقًا أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، فيه شهادة للقاعدة المشهورة وهي ارتكاب أقل الشرين ضررًا، إذا كان لابد من أحدهما. اهـ[١].

بل إن من أقبح صور اللامبالاة في الحلف أن لا يقنع الحالف بالله، بل يطلب منه أن يحلف بأبيه أو أمه أو شيخه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**»[٢]، فالذي لا يرضى بالحلف بالله تعالى في قلبه دخن الشرك، وقلة الهيبة لله سبحانه وتعالى، فلو علم قدر المحلوف به وعظمته ما طلب من الحالف أن يحلف بغيره.

ومن صور اللامبالاة أيضًا: الحلف بغير ملة الإسلام، فتجد البعض إذا أراد أن يغلظ في يمينه يحلف باليهودية أو النصرانية، أو المجوسية، وهذا أمر شائع بين النساء لكثرة جهلهنَّ، وقلة علمهنَّ، فتسمع من تقول: «أكون يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية»، وهذا من أفحش صور اللامبالاة أيضًا، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير ملة الإسلام كاذبًا متعمدًا، فهو كما قال**»، وعن أبي بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف فقال: أنا بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا**»، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر رأي

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٣٠).
(٢) رواه ابن ماجه بسند حسن.

العلماء في ذلك: والتحقيق التفصيل، فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر، وإن قصد حقيقة التعليق فينظر، فإن كان أراد أن يكون متصفًا بذلك كفر، لأن إرادة الكفر كفر، وإن أراد البعد عن ذلك لم يكفر، لكن هل يحرم عليه ذلك، أو يكره تنزيهًا، والثاني هو المشهور. اهـ(١).

ثانيًا ـ من صور اللامبالاة بالكلمة

(أ) اللعن:

فكثيرًا ما نسمع من يلعن دابته أو سيارته أو زوجته أو أبناءه أو جيرانه، ولا يبالي بتلك الكلمة، وكأنها كلمة عابرة لا تضره في شيء مع أن أمرها عظيم، وخطرها كبير على ذلك الإنسان.

فعن أبي الدرداء ﵁ مرفوعًا: **«إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض، فتأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى صاحبها الذي لُعن، فإن كان أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها»**(٢).

وعن أبي الدرداء مرفوعًا أن امرأة لعنت ناقة لها، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تصحبنا ناقة ملعونة»**(٣).

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**(٤).

وعن سلمة بن الأكوع ﵁ قال: **«كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأيناه أن قد أتى بابًا من الكبائر»**(٥).

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١١) ـ (ص٥٤٧).
(٢) رواه أبو داود.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه مسلم وأبو داود.
(٥) رواه الطبراني بإسناد جيد.

بل إن النبي ﷺ قد نفى عنه الإيمان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[(١)].

متى يجوز لعنه؟

قال الإمام النووي: اعلم أن لعن المسلم المصون الدم حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة - غير المعينين -، كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى، ولعن الله الفاسقين، ولعن الله المصورين، ثم ساق من الأحاديث الصحيحة الواردة في البخاري ومسلم، أو في أحدهما جملة يستدل بها على ذلك، مثل قوله ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة ..» الحديث[(٢)]، «لعن الله آكل الربا وموكله» الحديث[(٣)]، «لعن الله المصورين» الحديث[(٤)]، «لعن الله من غير منار الأرض»[(٥)]، «لعن الله السارق يسرق البيضة»[(٦)]، «لعن الله من ذبح لغير الله»[(٧)]، «لعن الله من لعن والديه»[(٨)]، «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٩)]، «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[(١٠)].

ورأى النبي ﷺ حمارًا وُسم في وجهه، فقال: «لعن الله من وسم هذا»[(١١)].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٩٧٧)، وأحمد، والحاكم في «المستدرك».
(٢) أخرجه الترمذي وحسنه.
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨) عن جابر.
(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٣٤٧) من حديث عون بن أبي جحيفة.
(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٦) متفق عليه: البخاري (١٢/ ٦٨٧٣)، ومسلم (٣/ ١٦٨٧).
(٧) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٨) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٩) متفق عليه.
(١٠) أخرجه البخاري رقم (٥٨٨٥).
(١١) أخرجه مسلم (٣/ ٣١١٧) بنحوه عن جابر.

ثم قال النووي: وأما لعن الإنسان بعينه - أي: إنسان معين - ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زاني أو مصور أو سارق أو آكل ربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وهو رأي بعض العلماء.

وأشار الغزالي في (الإحياء): إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مت على الكفر، كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم.

قال - أي: الغزالي -: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله، وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر، فإن دعوتك عليه باللعنة معناها أنك تدعو عليه ألا يرحم أبدًا، ولا يكون ذلك إلا أن يموت كافرًا، وهو لا يجوز.

وقال الإمام الغزالي: وأما الذين لعنهم الرسول بأعيانهم، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، واستدل الغزالي على منع لعن إنسان بعينه بالحديث الذي رواه البخاري عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد الرسول ﷺ، كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان قد جلده في الشرب - في شرب الخمر -، فأتي به يومًا، فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: «اللهم إلعنه، ما أكثر ما يأتى به»، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»[١].

ويضيف الغزالي إلى ذلك قول: «لا يجوز أن ينسب مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، ولا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر، من غير تحقيق» اهـ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «السلوك الاجتماعي في الإسلام» (ص١٤٨-١٤٩).

(ب) ومن صور اللامبالاة بالكلمة ما يسمى «بالنكتة»:

فقد أصبحت أمرًا عاديًا لدى كثير من الناس، فيجلس في المجلس ويقول: اسمعوا آخر نكتة، ثم يكذب في قوله من أجل أن يضحك الناس، ومن أجل أن يُقال عنه أنه ظريف، وتلك والله طامة كبرى، لأن الله يبغض الكذب والكذابين.

وعندما ننظر إلى الآيات القرآنية نجد أن الكذاب من ضمن الذين لعنهم الله تعالى، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

ولعل من الأمور التي لا يبالي بها الناس في زماننا وشاعت في مجالسنا، التندر بالغرائب والعجائب، حتى وصل الحال إلى الكذب، والادعاء من أجل إضحاك الآخرين، فنرى البعض من الأصحاب إذا جلس في مجلس مع أصحابه وأراد أن يظهر خفة دمه ومزاحه، بأنه ملك الفكاهة والدعابة، تراه يكذب في القول، وما علم المسكين أن النبي ﷺ توعد الذي يكذب في حديث من أجل إضحاك الآخرين بالويل والثبور.

قال رسول الله ﷺ: **«ويل للذي يحدِّث القوم ثم يكذب ليضحكهم، ويل له، ويل له»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم بيت في الجنة لمن ترك الكذب»**، وقال ﷺ: **«لا يؤمن العبد الإيمان كله، حتى يترك الكذب في المزاح والمراء، وإن كان صادقًا»**[2].

---

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٥) ـ (٦/ ٧)، وأبوداود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٤١٧)، وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه البيهقي.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «**لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء، وهو محق، ويدع الكذب في المزاح، وهو يرى أن لو شاء غلب**»[(١)].

(جـ) ومن صور اللامبالاة في الكلمة «الكذب في الرؤيا»:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة الكذب في الرؤيا، وهو أن يحدث أنه رأى في نومه كذا وكذا، وهو لم يرَ شيئًا البتة، فإن ذلك من أعظم أنواع الفرى، والفِرَى ـ بكسر الفاء، وفتح الراء ـ: جمع فرية، وهي الكذبة، فعن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أعظم الفِرَى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه،أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ما لم يقل**»[(٢)]، فالذي يكذب في الرؤيا، إنما يكذب على الله، في أنه أراه كذا وكذا، وهو لم يره.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تحلم بحلم لم يره، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل**»[(٣)].

قال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد، أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله، أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هود:١٨)، وإنما الكذب في المنام كذب على الله، لحديث: «**الرؤيا جزء من النبوة**»، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبل الله تعالى . .

---

(١) «الكذب والكذابون» (ص٢٦).　　(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (جـ ١٢/ ٧٠٤٢).

(د) ومن صور اللامبالاة «الكذب على رسول الله ﷺ»:

ومن صور اللامبالاة التي أصبحت عادة مألوفة عند كثير من الخطباء الأُجراء الكذب على رسول الله ﷺ ، فيدخل المسلم ليصلي الجمعة، فيجد الخطيب قد أعد موسوعة من الكذب على رسول الله ﷺ ، هَمُّ الكثير منهم أن يقضي خطبته ومهمته، وإن كانت بأحاديث موضوعة أو ضعيفة، وفريق آخر همه أن يجذب الناس بكلام معسول، وإن كان كذبًا وزورًا، وهذا دليل على قلة بضاعة هؤلاء من السنة النبوية، وضعفهم في المنزلة العلمية، فلولا أنهم أجراء ما تكلموا، وأصبحت رسالة الدعوة إلى الله وظيفة، وليست رسالة . .

فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص الواهية هذا التحذير النبوي الشريف، ففي الحديث المتواتر عن سبعين صحابيًا، كلهم يقول: قال رسول الله ﷺ : **«من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**[1] .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ فليلج النار»**[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**.

قال الحافظ ابن حجر - بعد أن ساق الحديث -: وإنما ساقه بتمامه ولم يختصره كعادته، لينبه على أن الكذب على النبي ﷺ يستوي فيه اليقظة والمنام - والله سبحانه وتعالى أعلم -.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (٤)، وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (١٠٦).

فإن قيل: الكذب معصية إلا ما استثني في الإصلاح وغيره، والمعاصي قد توعد عليها بالنار، فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله ﷺ من الوعيد من كذب على غيره؟.

* ***فالجواب عليه من وجهين:***

أحدهما - أن الكذب عليه يكفر متعمد عند بعض أهل العلم، وهو الشيخ أبو محمد الجويني، لكن ضعفه ابنه إمام الحرمين من بعده، ومال ابن المنير إلى اختياره، ووجه بأن الكذب عليه فيه تحليل حرام مثلاً لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام أو الحمل على استحلاله، واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر، وفيما قاله نظر لا يخفى، والجمهور على أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد حل ذلك.

الجواب الثاني - أن الكذب عليه كبيرة، والكذب على غيره صغيرة فافترقا، ولا يلزم من استواء الوعيد في حق من كذب عليه أو كذب على غيره أن يكون مقرهما واحداً أو طول إقامتهما سواء، فقد دل قوله ﷺ: «فليتبوأ»، على طول الإقامة فيها، بل ظاهره أنه لا يخرج منها، لأنه لم يجعل له منزلاً غيره، إلا أن الأدلة القطعية قامت على أن خلود التأبيد مختص بالكافرين[1].

فهلا مرت هذه الأحاديث بهؤلاء الأجراء وأغفلوها، أم أنهم لم يعلموا بها وتلك مصيبة.

وأخرج أحمدَ ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين»**[2].

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١) - (ص٢٤٤).
(٢) أخرجه أحمد ومسلم.

(هـ) ومن صور اللامبالاة «الاشتغال بعيوب الناس»:

فأضحت مجالسنا عبارة عن قيل وقال وهذا به وعليه، وتلك بها وعليها، وأصبحنا لا نبالي في الولوغ في أعراض المسلمين، وأغفلنا عيوبنا.

يقول زاذان: إني رأيت أقوامًا من الناس لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فستر الله عيوبهم، وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقوامًا لم تكن لهم عيوب اشتغلوا بعيوب الناس، فصارت لهم عيوب.

فإن من الناس من همه التحدث في أعراض المسلمين والمسلمات ولا يبالي بعد ذلك ما يكون، وهذا الصنف من البشر أسلم بلسانه ولم يستقر الإيمان في قلبه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه، يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله»**[(١)].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»**[(٢)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عين نفسه، وكيف يعيب العور من هو أعور.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلبًا.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٦١).
(٢) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٦٢).

وقال أبو بكر بن عبد الله المزني: إذا أردت أن تنظر العيوب جمة، فتأمل عيابًا، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من عيب.

وقال الشاعر:

المرء إذا كان عاقلاً ورعًا ... أشغله عن عيوبه ورعه

كما المريض السقيم يشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترًا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ما ذكروا ... ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

ويقول ابن القيم - رحمه الله -: وقوله: «وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك»، ويُحتمل أن يريد به: أنها صائرة إليك، ولابد أن تعلمها، وهذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الترمذي في (جامعه) عن النبي ﷺ: «من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»، قال الإمام أحمد في تفسير هذا الحديث: من ذنب تاب منه.

وأيضًا ففي التعيير ضرب خفي من الشماتة بالمعير، وفي الترمذي أيضًا مرفوعًا: «لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك»، ويحتمل أن يريد أنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه وأشد من معصيته لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه وما أحدث له من الذل والخضوع والإزراء على نفسه والتخلص من مرض الدعوى، والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب، أنفع له، وخير من صولة طاعتك وتكثرك بها والاعتداد بها، والمنة على الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذل به لديه أحب إليه

من طاعة تدل بها عليه، وإنك إن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا، خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلاً هو فيك، ولا تشعر[1].

فعليك - أخي المسلم - بخاصة نفسك، وانشغل بعيوبك عن عيوب غيرك؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فمن تتبع عورة أخيه، كان جزاؤه أن يتَّبعَ الله عورته، ومن انشغل بعيوب الناس وعيَّرهم، ابتلاه الله وعافاهم.

حُبس محمد بن سيرين بدين ركبه، قال المدائني: كان سبب حبسه أنه أخذ زيتًا بأربعين ألف درهم، فوجد في زق منه فأرة، فظن أنها وقعت في المعصرة، وصب الزيت كله وكان يقول: «إني ابتليت بذنب من ثلاثين سنة»، قال: «فكانوا يظنون أنه عيَّر رجلاً بفقرٍ».

وعن ابن سيرين قال: قلت مرة لرجل: «يا مُفْلس»، فعُوقبت. وسمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: «قد استدللتُ على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها».

وقال الشاعر:

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه ... مراد لعمري ما أراد قريب

وقال آخر:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أخو العيوب

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٩٦-١٩٧).

وبعد موقعة الجمل يُقال: إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في هودج عائشة رضي الله عنها، فقال: والله ما أرى إلا حميراء، فقالت: هتك الله سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك؛ فقتل بالبصرة، وسلب وقطعت يده، ورُمي عريانًا في خربة من خرابات الأزد. اهـ. من (البداية والنهاية)[1].

(و) ومن صور اللامبالاة «كثرة الكلام في غير حق»:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة «كثرة الكلام في غير حق»، فأصبحت الثرثرة بالكلام سمة كثير من الناس، فهو يتكلم ولا يبالي بما يقول أهو في كفة الحسنات، أم هو في كفة السيئات، فمن الناس من إذا جالسته أصدع رأسك بحديثه الغث، وكلامه الرث، لذا حذرنا النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[2].

قال النووي - رحمه الله - في قوله: «وكره لكم قيل وقال»، فهو الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعنيه من أحوالهم وتصرفاتهم[3].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: «يا رسول الله، لقد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟»، قال: «المتكبرون»[4].

---

(١) «الجزاء من جنس العمل» (جـ ١) - (ص٣٨٩).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧٥).
(٣) شرح النووي (جـ ١٢).
(٤) رواه الترمذي برقم (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب، وأحمد رقم (١٧٢٧٨).

فكثرة الكلام سبب من أسباب بعد العبد عن النبي ﷺ يوم القيامة، لأن من كثر كلامه كثر خطأه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا خير في فضول الكلام**»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**من كثر كلامه كثر سقطه**».

وقال آخر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه	**وليس يموت المرء من عثرة الرجل**
فعثرته من فيه ترمي برأسه	**وعثرته بالرجل تبرأ على مهل**

* وهيا لنقف مع ابن مسعود رضي الله عنه وهو يحذرنا من فضول الكلام.

قال رضي الله عنه: «**أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته**»، وقال رضي الله عنه: «**أكثر الناس خطايا يوم القيامة، أكثرهم خوضًا في الباطل**»، وقال رضي الله عنه: «**كفى بالمرء كذبًا، أن يحدث بكل ما سمع**»، وقال رضي الله عنه: «**ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان**».

وعن الحسن رضي الله عنه قال: «**كانوا يقولون: إن لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن قلب الجاهل في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب، فما أتى على لسانه تكلم به**».

وقال أبو الأشهب: «**كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه**»[(١)].

(ز) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الغيبة»:

ومن تلك الصور التي أخذت صور الفكاهة، وأضحت سمير الجالسين تلك الكبيرة التي أصبحنا لا نبالي بخطورتها مع أنها منهي عنها في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وقد صور القرآن المغتاب بصورة وحش، انقض على أخيه الإنسان بعد موته، فأخذ يلتهم جثته، وينهش لحمه، ويمزق أوصاله، وهو تصوير يكرهه

---

(١) «الزهد لابن المبارك» (ص٨١-٨٣).

الإنسـان، وينفر منه، ومع ذلك يقع فيه وينحرف إليه، قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

يقول الإمام فخر الدين الرازي: الحكمة في التشبيه هو إشارة أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك أن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من هذا العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك آلم ولما كان القول في الوجه يؤلم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب، فلا يؤلم، فأكل لحم الأخ وهو ميت أيضًا لا يؤلم، ومع هذا القول هو في غاية القبح، لما أنه لو اطلع عليه لتألم، كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه. اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة، فيقال له: «كله ميتًا كما أكلته حيًا»، فيأكله ويكلح ويصيح[1].

والمغتاب يؤذي أخاه في عرضه، لأن العرض معناه موضع المدح والذم في الإنسان، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله**»[2]، وقال ﷺ: «**إن من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر: السبابّ بالسبة**»[3].

واسمع يا من لا تبالي بالغيبة، وتحافظ على الصلاة والزكاة والحج والصوم، وتتورع عن الربا، لقد وقعت في باب من الإثم عظيم، بل وقعت في أربى الربا - والعياذ بالله -.

---

(١) ذكره ابن حجر في «الفتح» (جـ١٠) (ص٤٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البزار وأبو داود، وقال الألباني: صحيح لغيره في «الترغيب» رقم (٢٨٣٢).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا اثنان وسبعون بابًا: أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[(٢)].

وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة لا في الصوم، ولا في الصلاة؛ ولكن في الكف عن أعراض الناس.

فإن سألت عن معنى الغيبة التي ورد النهي عنها، جاءك الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: «أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟»، قال: «إن كان فيه ما تقول؛ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول؛ فقد بهته»[(٣)]، ومن هذا الحديث يتضح معنى الغيبة، وهي أن تذكر أخاك المسلم بما يكرهه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو خلقه، أو فعله، أو في دينه، أو دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته.

وإن قلت: ما هو حكم الغيبة، وما هو رأي العلماء فيها؟.

الجواب: اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الغيبة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، والخلاف في كونها من الكبائر أم من الصغائر.

---

(١) أخرجه الحاكم وهذا لفظه، وابن ماجه، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
(٢) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٣٠).
(٣) أخرجه مسلم.

فنقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر، ولكن قضية الإجماع غير مسلمة، لأن الغزالي وصاحب العمدة من الشافعية يريان أنها من الصغائر، وذهب المهدي إلى أنها محتملة بناءً على أن ما لم يُقطع بأنه من الكبائر، فهو محتمل كما تقول المعتزلة.

قال الزركشي: «والعجب ممن يعد أكل الميتة كبيرة، ولا يعد الغيبة كبيرة، والله أنزلها منزلة أكل لحم الآدمي ميتًا، ومما استدل به القائلون، بأنها صغيرة قولهم: لو لم تكن صغيرة للزم أن يكون أكثر الناس فساقًا، أو كلهم إلا نادرًا وهذا حرج عظيم».

وأُجيب: بأن انتشار المعصية وارتكاب جميع الناس لها لا يدل على أنها صغيرة، كما أن هذا الانتشار والإصرار عليه، لم يكن كذلك من قبل، حين كان أهل الخير كثيرين في هذه الأمة على أن الإصرار عليها كبيرة بالإجماع، وهو منتشر في الأمة اليوم انتشارًا كبيرًا.

وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) بعد أن ذكر الرأيين السابقين: «نعم لا يبعد أن يكون منها ما هو من الصغائر، وما هو من الكبائر، فالأولى مثل الغيبة التي لا يتأذى بها الناس كثيرًا، نحو عيب الملبوس والدابة والدار، وغير ذلك، والثانية كغيبة الأولياء والعلماء بألفاظ الفسق والفجور ونحوها من الألفاظ الشديدة الإيذاء، ومن ذلك: كل تشنيع يصد الناس عن العالم، ويمنعهم سماعه واتباعه، وعلى كلٍّ فالقول بالإجماع على أنها من الكبائر غير صحيح».

قال النووي في (الأذكار): «فإن ذكر عيبًا في عالم، وأراد به بيان غلطة لئلا يقلد، أو بيان ضعفه في العلم لئلا يغتر به ويقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة، يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره، قال

قوم أو جماعة: كذا، وهذا غلط أو خطأ أو غفلة ونحو ذلك، فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين[1].

فإن قلت: أنا لا أغتاب المسلمين، ولكن لا أبالي بسماع الغيبة، والجلوس مع المغتابين، فما حكم ذلك - أرشدك الله -؟

الجواب: قال الإمام النووي في (الأذكار): اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها يحرم على السامع استماعها وإقرارها، ويجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه، إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، وهذا هو الشأن مع كل منكر، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر، ولم يقبل منه حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، وعليه أن يذكر الله بلسانه وقلبه فقط، أو يفكر في أمر آخر، ليشتغل عن سماعها، ومتى استطاع المفارقة، وجب عليه أن يفارق، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

وروينا عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعي إلى وليمة، فحضر، فَذكروا رجلاً لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلت هذا بنفسي، حيث حضرت موضعًا يغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام، وفيما ذكر جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

---

(١) «السلوك الاجتماعي» (ص١٢٧-١٢٨).

وجاء قوله ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[1].

وفي قصة تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**»، فقال رجل من بني سلمة: «يا رسول الله، حبسه برداه والنظر في عطفيه»، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً**»، فسكت رسول الله ﷺ[2].

(ح) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «النميمة»:

ومن صور اللامبالاة في زمن كثر فيه التنافس على الدنيا ومغرياتها، فظهر الحقد والحسد والعداوة والبغضاء بين الناس، أصبح المرء لا يبالي في أن يفسد بين الأحبة والأصدقاء، وأن يكون سلاحه في ذلك النميمة، وهي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، وإشعال العداوة والبغضاء فيما بينهم، ولقد أمر المولى سبحانه بعدم طاعة هؤلاء، وعدم الإصغاء إليهم، يقول المولى ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١٠-١١).

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الذي لا يبالي بالنميمة هو من أشر الناس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا، فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**»[3].

وقال ﷺ: «**شرار عباد الله: المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب**»[4].

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٨).

(٢) «السلوك الاجتماعي» (ص١٢٨-١٢٩). (٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد، وقال الألباني: حسن لغيره «صحيح الترغيب» (ص٢٤-٢٨).

واعلم أن النميمة سبب من أسباب عذاب القبر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: مرَّ بقبرين، قال: «إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبير؛ أما إنه كبير: أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[١].

واعلم أن النمام حرام عليه رائحة الجنة، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»[٢].

قال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله، يقول فلان فيك كذا وكذا، وليست نميمة مخصوصة بذلك، بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقول أو الأعمال، وسواء كان عيبًا أو غيره، فحقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك السر عما يكره كشفه، وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية، قال: وكل ما حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فلان: كذا وكذا، لزمه ستة أحوال:

الأول ـ أن لا يصدقه، لأنه نمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني ـ أن ينهاه عن ذلك، وينصحه ويقبح فعله.

الثالث ـ أن يبغضه في الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع ـ أن لا يظن في المنقول عنه السوء، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

---

(١) رواه الجماعة وابن خزيمة.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

الخامس - أن لا يحمله ما حكى له على التجسس عن تحقق ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: ١٢).

السادس - أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء، فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦)، وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١)، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد - رحمه الله - يحثه فيها على أخذ مال اليتيم، وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

وروي أن بعض السلف الصالح زار أخًا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكره، فقال: يا أخي، أطلت الغيبة، وأتيتني بجنايات، وبغضت إليَّ أخي، وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة[1].

وبعد .. هذه هي النميمة وهذا هو جزاء النمام، فكن على حذر - عبد الله -، وإياك والسعي بين الناس بها؛ لأن فيها حرمان جنة تجري من تحتها الأنهار.

(ط) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الاستهزاء والسخرية»:

في زمن العولمة - كما يقولون -، وزمن القنوات الفضائية، والتمدن والتقدم، ظهرت اللامبالاة في ثياب عصرية بالية، وسار الناس لا يبالون بكثير

---

(١) «الكبائر» (ص١٣٣-١٣٥).

من أمور الدين الحنيف، فأصبح الحجاب بدعة وتخلف، وأصبح الربا فائدة، والجهاد إرهابًا، وأصبح الذئب راعيًا، والخصم قاضيًا، ونطق فيه الرويبضة، ووسد الأمر إلى غير أهله .. وأصبح الاستهزاء والسخرية فنًا يُخدم ويراعى ويُعتنى به، وأصبح يدرس على هؤلاء السفهاء، وأصبحوا يقدمون مكافآت لمن يحسن الاستهزاء والسخرية بالآخرين وتقليدهم، على وجه يجعل الناس يمارسون ذلك في حياتهم.

والعجب كل العجب .. أنك ترى أناسًا يسخرون وهم خنازير بالجياد الأصلية، وكلاب يسخرون بالظباء الجميلة، وتراهم كذبة يستهزءون بالصادقين، وخونة يسخرون بالأمناء، وجبناء يسخرون بالشجعان، ومنافقون يسخرون من الصادقين، ولله در القائل:

إذا عُير الطائي بالبخل مادر ... وعُير قسًّا بالفهاهة باقل

وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخر في الأرض الحصى والجنادل

وقال السها للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة

ويقول القاضي عبد الوهاب المالكي:

متى تصل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني الأصاغر عن مراد ... إذا جلس الأكابر في الزوايا

وإن ترفع الوضعاء يومًا على ... الرفعاء من أقصى البلايا

إذا استوت الأسافل والأعالي ... فقد طابت ملازمة المنايا

فأصبح أصحاب العفن الفني يسخرون من العلماء والخلفاء والأمراء، وأصبح السفهاء يسخرون بكل شيء، فهذا يسخر بالقرآن، وآخر يسخر بالسنة، وآخر يسخر بالمؤمنين والمؤمنات.

فيا من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، كفوا عن هذا الغثاء وهذا العفن .. ويا من لا تبالي بالاستهزاء هيا لتعرف حقيقة الاستهزاء والسخرية وموقف الشرع منهما.

معنى السخرية والاستهزاء: الاستهانة والتحقير والتنبيه إلى العيوب والنقائص على وجه يضحك الناس منه، وهذا قد يكون بالكلام، وقد يكون بالمحاكاة والتمثيل بالفعل أو القول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، فإن كان بحضور المستهزأ به فليس بغيبة، وإن كان في غيبته فهو غيبة ما دام يكرهه، والسخرية والاستهزاء محرمان في حق من يتأذى بهما، وأما من جعل نفسه مسخرة، وربما فرح من سخرية الناس به، وضحكهم عليه، فإن السخرية به لا تكون حرامًا[1].

* واعلم أن الاستهزاء والسخرية يأخذان أشكالاً ودرجات:

أولاً - الاستهزاء والسخرية بكتاب الله أو برسوله ﷺ أو بسنته:

فهذا كفر - والعياذ بالله -، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: «ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء»، فقال رجل في المجلس: «كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ»، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: «فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة

(١) «السلوك الاجتماعي» (ص١٤٦).

رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة»، وهو يقول: «يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب»، ورسول الله ﷺ يقول: «قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون»[١].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: قال القاضي أبو بكر العربي: لا يخلون أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلاً وهو كيفما كان كفر؛ فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة؛ فإن التحقيق أخو العلم، والحق والهزل أخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظروا إلى قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧)، وانظر إلى نهاية من استهزأ بسنة من سنن رسول الله ﷺ.

وقال ابن خلكان: بلغنا من جماعة يوثق بهم، وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى أن عندهم قرية يُقال لها: «دير أبي سلامة»، كان بها رجل من العريان، فيه استهزاء زائد وجهل، فجرى يوم ذكر السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: «ما أستاك إلا من المخرج»، فأخذ سواكًا وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة، ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، ثم أصابه مثل طلق الحامل، فوضع حيوانًا على هيئة الجرذون، ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب، وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من أهل تلك الناحية، وخطيب المكان[٢].

فهذا المسكين استهزأ بسنة، فجعله الله عبرة وعظة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ⑭ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٤-١٥).

---

(١) رواه الطبري (٩/ ٤٠٩)، والحديث في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل الوادعي (ص١٢٢).
(٢) «البداية والنهاية» (جـ٧) ـ (ص٢٦٣)، و«سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص٧٧).

وهذا آخر: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - رحمه الله - في كتابه (شرح صحيح مسلم): قرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده»، قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي في الفراش، فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه، قال التيمي: فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف، فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله[1].

وهذا قزم آخر يستهزأ بحديث فضل طلب العلم، قال أحمد بن مروان المالكي في كتابه المجالسة: حدثنا زكريا بن عبد الرحمن البصري، قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم»[2]، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة يستهزئ بالحديث، فقال: «والله لأطرقن غدًا نعلي بمسامير، فأطأ بها أجنحة الملائكة»، ففعل ومشى، فجفت رجلاه جميعًا، ووقعت في رجليه الأكلة، وقال الطبراني: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: «كنا نمشي في بعض أزقة البصرة، إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: «ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة، لا تكسروها كالمستهزئ»، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه فسقط.

ثانيًا - الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين:

فاليوم ترى وتسمع منافقين يسخرون من مؤمنين، وعلمانيين يسخرون من دعاة مخلصين صادقين، فيا سبحان الله منافق يضلل عالم، ومجرم يضلل تقي

---

(١) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص٧٨).

(٢) رواه الطيالسي عن صفوان بن عسال، وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٩٥٢).

هذا زمن انتكست فيه الموازين، وأصبح الأمر عاديًا، حتى أضحى عالم الدين والشريعة مصدر سخرية واستهزاء، فهم يسخرون بثيابه وبكلامه، وبعلمه الذي يحمله حتى تزعزعت الثقة بين العلماء، وعامة الأمة، فهيا يا من لا تبالي بتلك البلية، لتسمع إلى الله وهو يحذر من ذلك، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١).

والسخرية: التحقير والاستهزاء، وذلك تارة يكون بالتضحيك منه، والتشهير به، وتارة بحطه عن درجة الاعتبار وإلحاقه بمن لا حرمة له ولا قيمة، كما يقول القائل:

فذاك الذي إن عاش لا يعتنى به — وإن ماتت لا تبكي عليه أقاربه

وكما يقول القائل: هو أحقر من أن يُذكر، ومثال قول ذلك الشاعر كثيرة، مما يدل على احتقار الإنسان لأخيه، واستصغاره لشأنه، وازدرائه لحقه وحرمته، وعدم العناية به، وهذا إن حدث بين المسلم وأخيه، فهو ضربة موجعة للرابطة التي تجمع بينهما، لأنه لا يليق ولا يجوز بين المتفقين في عقيدة واحدة، فهذه العقيدة أقوى وآصل وأبقى وأشرف، فكيف لا يبالي بحرمة أخيه الذي أمره ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يسخر ولا يستهزئ منه، بل هم جميعًا أمام الله ورسوله سواء لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ ولذا جاء الخطاب للأمة الإسلامية بجميع أفرادها تنهاهم عن السخرية والاستهزاء، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (الحجرات: ١١).

يقول العلامة ابن كثير - رحمه الله -: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في (الصحيح) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الكبر بطر الحق وغمص الناس**»، ويروى: «**غمط الناس**»؛ والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له، وبهذا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ**﴾؛ أي: لا تلمزوا الناس والهماز: اللماز من الرجال مذمومًا ملعون، كما قال الله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ (الهمزة:١)، والهمز بالفعل، واللمز بالقول، كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿**وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ (الحجرات:١٢)، كما قال أيضًا: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ (النساء:٢٩)، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل بن حيان: ﴿**وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾، أي: لا يطعن بعضكم على بعض، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**﴾ (الحجرات:١١)، أي: لا تدعوا بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا** - ويشير إلى صدره - **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**»[(٢)].

وعنه أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم**»[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٤) - (ص٢١٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٢١).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله - عَزَّ وَجَلَّ - من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر له، إني قد غفرت له وأحبطت عملك»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله أذهب عنكم عُبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، الناس بنوا آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي، وفاجر شقي، لينتهين أقوامٌ يفتخرون برجال، وإنما هم فحم من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها»[٢]، وأما الذي يحتقرون الناس لأنهم أغنياء أو لأنهم في مناصب مغرية، أو لأن كلمتهم في الناس مسموعة، أو لأن الشعب يخشاهم ويخافهم، فإني أقول لهم: أنهم يجب أن يفهموا أن وزنهم في نظر دين الله بحسب عملهم الصالح النافع لهم، ولغيرهم، وأنهم بدون عمل صالح يعملونه ابتغاء وجه الله، ويكون مرسومًا بحدود شريعة الله، فإنهم حينئذ أهون على الله وأحقر من الخنافس والصراصير وحشرات المزابل، كما مر في الحديث النبوي باب الكبر . .[٣].

(ي) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الكلام فيما لا يعني»:

وذلك لأنه تضييع للوقت الذي هو رأس مال المسلم، فقد كان بإمكانه أن يستغله في ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فينال به الأجر الكثير، فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة، وتضييع الأجر، ولذلك قال النبي ﷺ: «من

(١) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٢٩٦٣).
(٢) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٢٩٦٥).
(٣) «السلوك الاجتماعي في الإسلام» (ص٨٦).

حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه»، وقال أيضًا: **«من صمت نجا»**، وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: «خمسٌ لهنَّ أحب إليَّ من الدهم الموقوفة:

١ ـ لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر.

٢ ـ لا تتكلم فيما يعنيك، حتى تجد له موضعًا، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت.

٣ ـ ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقيلك والسفيه يؤذيك.

٤ ـ واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك بـه، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به.

٥ ـ واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام».

وقيل لـلقمان الحكـيم: «ما حكمـتك؟»، قال: **«لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني»**.

وقال ابن عمر ﵄: **«لا تتعرض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله تعالى، ولا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى»**.

قال الغـزالي: وحدُّ الكلام فيمـا يعنيك أن تتكلم بكلام ولو سكتَّ عنه لم تأثم، ولـم تسـتضـر في حال ولا مـال، مثـاله أن تجلس مع قوم، فـتذكـر لهم أسفارك، ومـا رأيت من جبال وأنهار ومـا وقع لك من الوقائع، وما استـحسنته من الأطعمة والثيـاب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعـهم، فهذه أمور لو سكتَّ عنهـا لم تأثم ولم تسـتضـر، وإذا بالغت في الجهـاد حتى لم يمتـزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس من حـيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمـة، ولا بمشاهدة اغتيـاب شخص، ولا مذمة لشيء مما خلقـه الله تعالى، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك، وأنَّى تسلم من الآفات التي ذكرناها؟!.

ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك، فأنت بالسؤال مضيع وقتك، وقد ألجأت صاحبك أيضًا بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة، وأكثر الأسئلة فيها آفات، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً، فتقول له: هل أنت صائم؟، فإن قال: نعم، كان مظهرًا لعبادته، فيدخل في الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذبًا، وإن سكت مستحقرًا لك تأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه، فقد عرضته بسؤال إما للرياء، أو للكذب، أو للاستحقار، أو للتعب. اهـ.

فإن قلت: فما علاج ذلك؟ يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: وعلاج ذلك أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن الكلمة وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله وتضييعه خسران مبين.

* وهيا لترى ـ يا من لا تبالي بالحديث عما لا يعنيك ـ كيف كان حال السلف ﷺ:

١ ـ ذكر أبو سليمان عن مورق العجلي، قال: أمر أطلبه منذ عشرين سنة لم أنله، ولست بتاركه حين أستقبل، قيل: فما هو يا أبا المعتمر؟، قال: الصمت فيما لا يعنيني.

٢ ـ وذكر أبو سليمان أن أخًا ليونس بن عبيد كتب له .. أما بعد، فاكتب إليَّ كيف أنت؟ فكتب إليه يونس .. أما بعد، فإنك كتبت إليَّ تسألني كيف أنا، وكيف حالي، فأخبرك أنَّ نفسي قد ذلت إليَّ بصيام اليوم البعيد الطرفين الشديد الحر، ولم تذل إليَّ بترك الكلام فيما لا يعنيني.

٣- يقول ابن بشار وهو يتحدث عن نعمة الله عليه منذ ثلاثين سنة: ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر عنها!!

٤- أبو دجانة ﷺ: دخلوا على أبي دجانة وهو مريض، فكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لك وجهك يتهلل - يرحمك الله -؟، فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين، كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا.

٥- وذكر أبو سليمان عن الأعمش عن أبي رشد أن رجلاً من أهل البصرة جاء إلى عبيد بن عمر، فقال: إني رسول إخوانك من أهل البصرة إليك، فإنهم يقرؤنك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان، وما قولك فيهما؟، فقال: هل غيره؟، قال: لا، قال: جهزوا الرجل، فلما فرغوا من جهازه، قال اقرأ عليهم السلام، وأخبرهم أني أقول فيهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤١).

٦- وذكر أبو سليمان أيضًا عن الشافعي: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها[1].

يقول ابن القيم - رحمه الله -: اشغل نفسك فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ثم إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك، فإنه يفسدها عليك فسادًا يصعب تداركه، ويلقي إليك الوساوس ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت تعينه على نفسك بتمكينه من قلبك، فمثالك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها الحبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر

(١) «كتاب العزلة» للخطابي.

وفحم وغثـاء، ليطحنه في طاحونك، فإن رددته ولم تمكنه من إلقاء مـا معه في الطاحون، فقـد واصلت على طحن ما ينفعك، وإن مكنته من إلقاء مـا معه في الطاحون أفسد عليك ما في الطاحون من الحب، فخرج الطاحون كله فاسدًا.

فـيـتـرك مـاؤكم من غـيـر ورد   وذاك لـكـثـرة الأخـلاط فـيـه

(ك) ومن اللامبالاة بالكلمة «المراء والجدل»:

اعلم - علمني الله وإياك - أن من صور اللامبـالاة بالكلمة المراء والجدل، وترى الرجل يصلي ويصوم ويزكي ويحج، ولكنه لا يبالي بالمراء والجدل، والنبي ﷺ قال: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[١].

يقول الغزالي - رحمه الله -: وحدُّ المراء: هـو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإمـا في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته، فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلاً وكذبًا، ولم يكن متعلقًا بأمور الدين، فاسكت عنه. اهـ.

ولقد ذم الله تعالى أقوامًا في كتابه لجدالهم ومرائهم، يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥)، وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨)، وأخبر سبحانه عما في صدور هؤلاء الذين يجادلون فـي آيات الله بغير سلطان، فـقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦)، وأمرنا سبحانه

---

(١) رواه أبو داود، وصححه النووي في رياض الصالحين، وله شاهد عند الترمذي.

إذا جادلنا أهل الكتاب أن نجادلهم بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

* وهيا لترى أثر الجدل والمراء على الفرد والمجتمع:

أولاً - الضلال: فعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1].

ثانيًا - الاختلاف والاقتتال: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا جلوسًا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر، ينزع هذا بآية، وينزع هذا بآية، فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما يفقأ في وجهه حب الرمان، فقال: «يا هؤلاء أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

ثالثًا - أن الجدال والمراء سبب من أسباب سخط الله تعالى على العبد، عن ابن عمر ﷺ قال: «من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع»[3]، وفي لفظ: «فقد باء بغضب الله»[4].

رابعًا - أنه سبب من أسباب قسوة القلب: قال الإمام مالك: المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن.

خامسًا - أنه سبب من أسباب استحواذ الشيطان، عن مسلم بن يسار قال: «إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل، وعندها يبتغي الشيطان زلته».

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٣).
(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الترغيب» رقم (١٤٠).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٩٦).
(٤) المصدر السابق.

(ل) ومن صور اللامبالاة في الكلمة «إفشاء السر»:

فكم من إنسان استودعه أخوه سرًا، فأفشاه، وأخبر به وظن أنها كلمة يقولها ولا يبالي بخطرها.

يقول أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ـ رحمه الله ـ: وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنًا وفي عواقبه سالمًا، ولنجاح حوائجه راجيًا، وقال أنوشروان: من حصن سره، فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته، والسلامة من السطوات، وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه، لأنه يبوء بإحدى وصْمتين الخيانة إن كان مؤتمنًا، أو النميمة إن كان مستودعًا[1].

واعلم ـ يا من لا تبالي بإفشاء الأسرار ـ أن فيك صفة من صفات المنافقين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**[2].

وقال ﷺ: **«إذا حدث الرجل الحديث، ثم التفت فهو أمانة»** لذا كان السلف الصالح يوصون أبناءهم بكتمان السر، وعدم إفشائه، قال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنه: إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر رضي الله عنه ـ يقدمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمسة: لا تفشينَّ له سرًا، ولا تغتبنَّ عنده أحدًا، ولا تجرين عليه كذبًا، ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يطلعنَّ منك على خيانة. قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس، خير لي من ألف درهم.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

ويُروى أن معاوية ﷺ أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثًا، وقال الوليد لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، فقال أبوه: لا تحدثني به يا بني، فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فقال يا أبت: وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟، فقال: لا والله يا بني، ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال الوليد: فأتيت معاوية، فأخبرته، فقال: يا وليد اعتقك أبوك من رق الخطأ[١].

.. ويقول الماوردي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح، رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«اتسعينوا على الحاجات بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود»**، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «سرك أسير، فإن تكلمت به صرت أسيره»، وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوادًا بالمال في موضع الحق، ضنينًا بالأسرار عن جميع الخلق، أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر[٢].

(م) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «إفشاء الأسرار الزوجية»:

ومن صور اللامبالاة التي لا يبالي بها الرجال والنساء على حد سواء، إفشاء الأسرار الزوجية، فنجد الرجل يجلس مع أصدقائه، فيحدثهم بما جرى بينه وبين زوجته، وكذلك المرأة تحدِّث، ولا يبالون بذلك، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»**[٣].

---

(١) كتاب «أربعين خطأ للسان» (ص٤٩-٥٠).

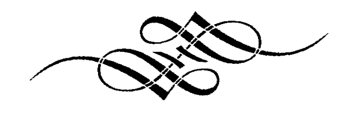
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٣١٢).

(٣) رواه مسلم.

وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، وقال: «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»، فأرم القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله، أإهم ليفعلون وإنهن ليفعلن، قال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها والناس ينظرون»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[2].

وهكذا نهى النبي ﷺ النساء من تلك اللامبالاة التي لا يستحي فيها الرجل أن يذكر ما صنعه مع زوجته، وكذا المرأة، فبيَّن لهم أن الذي يفعل ذلك من أشر خلق الله، بل صورهم بشيطان لقي شيطانة، فأتاها في قارعة الطريق، والناس ينظرون، ألا فليتق الله هؤلاء ولا يفشوا أسرار بيوتهم، فكم من بيوت كانت عامرة أضحت خرابًا، لأن الزوج لم يبالِ بأسرار بيته.



(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

الباب الثالث

اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به: هكذا**»، فقال أبو شهاب: «بيده فوق أنفه»[١].



---
(١) أخرجه البخاري.

اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

إن من الأمور التي فشت وانتشرت وأزكمت الأنوف، تلك الظاهرة التي إن دلت، فإنما تدل على اللامبالاة وهي التي تجر صاحبها إلى أرجاس الذنوب، والوقوع في سخط علام الغيوب، ألا وهي: اللامبالاة باقتراف الذنوب والمعاصي، فرأينا من يكذب ولا يبالي، ويسرق ولا يبالي، ويقذف ولا يبالي، ويشرب المحرمات ولا يبالي، ومن تتبرج ولا تبالي، فإذا ناصحته وخوفته انبرى يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة:٩٨)، ونسي أن الله هو القائل أيضًا: ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٩٨)، بل اعتمد الكثير على عفو الله وكرمه، ونسوا أن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلها، وخلق النار، وخلق لها أهلها.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، فضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند.

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء من قطع عضوًا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم، لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة نحو هذا، وقيل للحسن أراك طويل البكاء، فقال أخاف أن يطرحني ولا يبالي، وكان يقول إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: لأني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل، وسأل رجل الحسن، فقال: يا أبي سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟، فقال: والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنا، خير من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف.

قال ابن القيم أيضًا بعد أن ساق أحاديث الوعد والوعيد:

قال أبو الوفاء بن عقيل: احذره ولا تغتر به فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم، وجلد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار في هرة، واشتعلت الشملة نار على من غلها، وقد قتل شهيدًا، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: **«دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب»**، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله، فقال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب قال: ليس عندي شيء، قالوا: قرب ولو ذبابًا، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: لا أقرب لأحد شيئًا من دون الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»**[1]؛ وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب.

خطورة اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

أخرج البخاري عن أنس ﷺ قال: **«إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشَّعر، وإن كنا لنعدها على عهد رسول الله من الموبقات»**[2].

ذكره البخاري تحت باب (ما يتقي من محقرات الذنوب).

قال الحافظ ابن حجر: والتعبير بالمحقرات وقع في حديث سهل بن سعد رفعه: **«إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن**

---

(١) صحيح موقوف: لم أقف عليه مرفوعًا، وقد أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١/ ٢٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٧٣٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٤٩٢).

واد، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[١].

وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً»[٢].

وقال ابن بطال ـ رحمه الله ـ: المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار، وقد أخرج أسد بن موسى في الزهد، عن أبي أيوب الأنصاري قال: إن الرجل ليعمل الحسنة، فيثق بها، وينسى المحقرات فيلقى الله، وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة، فلا يزال منها مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا[٣]، فالذنب وإن كان في عينك صغيرًا إلا أنه عند الله كبير.

قال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: سمعت بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت[٤].

وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

* وها هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من تربى في مدرسة الإيمان ونهل من فيض القرآن، يصور لنا صورة المسلم الخائف من ربه الراجي ثوابه، وصورة ذلك العبد الذي لا يبالي بما يصنع ولا يقول:

---

(١) أخرجه أحمد بسند حسن، ونحوه عند أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود.

(٢) وصححه ابن حبان.

(٣) «فتح الباري» (جـ١١) ـ (ص٣٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (٤٦٠).

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به: هكذا**»، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه[١].

قال الحافظ: قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه، عظم الأمر به، والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة، وحاصله: أن المؤمن يغلب عليه الخوف، لقوة ما عنده من الإيمان والمراقبة يستصغر عمله، ويخشى من صغير عمله السيء.

وقال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله وعقوبته، لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله، فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية.

وقال ابن أبي جمرة: والسبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم، فوقوع الذنب خفيف عنده، ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وُعظ يقول: هذا سهل.

قال ابن حجر: والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره، وهو مما يعاين ويدفع بأقل الأشياء.

وقال ابن بطال: يؤخذ منه أنه ينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيرًا أو كبيرًا، لأن الله تعالى قد يعذبه على القليل، فإنه لا يسأل عمَّا يفعل ـ سبحانه وتعالى ـ[٢] اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣٠٨).
(٢) «فتح الباري» (جـ١١) ـ (جـ ٦٣٠٨) ـ (ص١٠٨-١٠٩).

أثر اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن لجراحات الذنوب واللامبالاة بها أثرٌ كبيرٌ على:

١ - القلب. ٢ - والبدن. ٣ - والمجتمع.

فهي تؤثر على القلب: بالظلمة والران، وطمس نور البصيرة .. وعلى البدن: سواد في الوجه، وبغض في قلوب الخلق، وتورث صاحبها الذلة والهوان .. وعلى المجتمع: بمحق البركة، وتسلط الأعداء، والأخذ بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان.

* وهيا لنقف مع تلك الآثار التي تولدت عن اللامبالاة بالذنوب:

أولاً ـ أثرها على القلب:

قلب المرء هو ملك جوارحه، فمتى صلح الملك صلحت الرعية، وكذا متى صلح القلب صلحت الأعضاء، قال أبو هريرة رضي الله عنه: **«القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث القلب خبثت جنوده»**[1].

ـ وهيا لنعيش مع تلك الآثار المؤلمة التي تنتج عن اللامبالاة بالذنوب:

أولاً - موت القلب: وهذا هو أخطر الآثار على القلب، لأن الذنوب تتفاوت، فمنها: ما يميت القلب، ومنها ما يمرضه، ومنها ما يطبع عليه، وسنعرفها بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : والقلب الثاني: ضد هذا، وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز

---

(١) «امتحان القلوب» (ص٦).

بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط؟!، فهو متعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءًا، ورضًا وسخطًا، وتعظيمًا وذلاً، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوات قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادى إلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فهو في الدنيا كما قيل في ليلى:

عدو لمن عادت وسلم لأهلها ... ومن قربت ليلى أحب وأقربا

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك[1].

قال محمد بن واسع: الذنب على الذنب يميت القلب.

وقال ابن الجوزي: لا تحتقر يسير الذنب، فإن العشب الضعيف يفتل منه الحبل القوي، فيختنق به الجمل السمين.

الثاني - أنها تطبع على القلب: يقول ابن القيم: أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين، كما قال بعض السلف، في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)، قال: هو الذنب بعد الذنب.

وقال الحسن: هو الذنب على الذنب، حتى يعمى القلب، وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم، وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير رانًا، ثم يغلب حتى يصير طبعًا،

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١٦-١٧).

وقفلاً وختمًا، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة، انعكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذٍ يتولاه عدوه ويسوقه[١].

ثالثًا - فإذا لم تطبع عليه، أمرضته وأصابته بالسقم: يقول ابن القيم أيضًا: ومن عقوبتها أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضًا معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب، ودواؤها ولا دواء لها إلا تركها، وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكن صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها، ولا يصلح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل، أو كاد، وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيم البتة، بل التفاوت الذي بين النعيمين، كالتفاوات الذي بين الدنيا والآخرة، وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا[٢].

ويقول في (إغاثة اللهفان): والقلب الثالث له حياة، وبه علة، فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه ما هو حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر، والعجب، وحب العلو، والفساد في الأرض بالرياسة، ما هو مادة هلاكه وعطبه، وممتحن بين

---

(١) «الداء والدواء» (ص٨١).

(٢) «الداء والدواء» (ص١٠١-١٠٢).

داعيين داعٍ يـدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخـرة، وداعٍ يدعوه إلى العـاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأدناهما إليه جوارًا[١].

فالذي لا يبـالي باجتراح الذنوب قـد مرض قلبه بداء اللامـبالاة، فعـلاجه ودواؤه الخوف من الله تعالى والإكثار من الاستغفار، وتدبر القرآن الكريم، يقول ـ سبحـانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢)، فالذي يقـرأ القرآن ويتدبر معـانيه فيقف مع الله، تارة يرى بديع صنعـه، وإتقان خلقه للخلق، ويرى الله في أسمائه وصفاته، ويدرك عظمـته ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يقف مع أهل الجنة وهم يتنعـمون، ومع أهل النار وهم يصـرخون، ثم يقف مع الدنيا وقد ولت مـدبرة، ومع الآخرة وقد أقبلت نحوه مسـرعة، فيزيده ذلك إيمانًا، ويشف قلبه من أمـراض الشهوات والشـبهات، فعنـدها يرقص قلبه طربًا وفرحًا، وأنسًا بربه، واشتياقًا إليه، وارتيـاحًا بحبه، وطمأنينة بذكره، حتى يقول بعضهم في حال نزعه: واطرباه! غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

رابعًا ـ ومن آثار اللامبالاة بالذنوب «ظلمة القلب»: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة اللـيل البهيم إذا إدْلَهمَّ، فتصير حقيقـة المعصية لقلبه كالظلمـة الحسيـة لبصره، فـإن الطاعة نور، وإن المعصـية ظلمة، وكلمـا قويت ازدادت حيرتـه، حتى يقع في البدع والضلالات والأمـور المهلكة، حتى وهو لا يشعر كأعمى خرج من ظلمـة الليل يمشي وحده، وتقوى الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سوادًا فيه، يراه كل أحد؛ قال عبد الله بن عبـاس: إن للحسنة ضيـاءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسـعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص٢٠).

خامساً - ومن آثار اللامبالاة بالذنوب «أنها تعمي القلب»: فإن لم تعمه أضعفت بصيرته ولابد . . فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى وقوته على تنفيذه في نفسه، وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته، فإن الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه، وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله سبحانه على أنبيائه بهما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ (ص:٤٥).

فالأيدي: القوى في تنفيذ الحق.

والأبصار: البصائر في الدين. فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه، وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام، هؤلاء أشرف الأقسام من الخلق وأكرمهم على الله تعالى.

القسم الثاني - عكس هؤلاء، من لا بصيرة له في الدين، ولا قوة على تنفيذ الحق، وهم أكثر هذا الخلق، وهم الذين رؤيتهم قذى العيون وحمى الأرواح، وسقم القلوب، ويضيقون الديار، ويغلون الأسعار، ولا يستفاد بصحبتهم إلا العار والشنار.

القسم الثالث - من له بصيرة بالحق ومعرفة به، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه، ولا الدعوة إليه، وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه.

القسم الرابع - من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كل سوداء تمرة، وكل

بيضاء شحمة، يحسب الورم شحمًا، والدواء النافع سمًا، وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول . . فمعلوم أن المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب، فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتضعف قوته، وعزيمته فلا يصبر عليه، بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه كما ينعكس سيره، فيدرك الباطل حقًا، والحق باطلاً، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فينتكس في سيره ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة، إلى سفره إلى مستقر النفوس المبطلة، التي رضيت بالحياة الدنيا، واطمأنت لها، وغفلت عن طاعة الله وآياته، وتركت الاستعداد للقائه، ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها، لكانت داعية إلى تركها والبعد عنها ـ والله المستعان ـ.

وهذا كما أن الطاعة تنور القلب، وتجلوه وتصقله وتقويه، وتثبته حتى يصير كالمرآة المجلوة في جلائها وصفائها، فيمتلئ نورًا، فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب، فالشيطان يفرق من هذا القلب أشد من فرق الذئب من الأسد، حتى إن صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعًا، فيجتمع عليه الشياطين فيقول بعضهم: ما شأنه، فيُقال: أصابه إنسي وبه نظرة من الإنس.

فيا نظرة من قلب حر منور ... يكاد له الشيطان بالنور يحرق

أفيستوي هذا القلب وقلب مظلمة أرجاؤه مختلفة أهواؤه قد اتخذه الشيطان وطنه وأعده مسكنه، إذا تصبح بطلقته حيَّاهُ، وقال: فديت من قرين لا يفلح في دنياه ولا في أخراه.

قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها ... فأنت قرين لي بكل مكان

فإن كنت في دار الشقاء فإنني ... وأنت جميعًا في شقا وهوان

وهكذا يصبح قلب العبد مظلم لكثرة ما يورد عليه من الذنوب، فتراه يبصر الحق باطلاً، فالعفة والطهارة أصبحت رجعية وتخلف، والسنة أضحت لديه بدعة، والالتزام أصبح إرهابًا وأصولية .. وهلم جرا، فهذا قائدهم إلى النار فرعون يقول في موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر:٢٦)، وهؤلاء قوم لوط يقولون في لوط وأتباعه: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف:٨٢)، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض»**.

ثانيًا - أثر اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على البدن:

والذنوب تؤثر على البدن والجوارح، فكما أن أصحاب الطاعات والقربات ترى في وجوههم نور الطاعة، وبهاء العبادة، وصدق الله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ (الفتح:٢٩)، كذلك المعصية تؤثر على العبد، فرؤياهم قذى العيون وإن من الخلق خلقًا إذا جالستهم أو كلمتهم مرض قلبك، فإياك وإياهم، وهيا لترى أثر الذنوب على البدن:

١ ـ أنها تورث صاحبها الذل، وتلبسه ثوب المهانة، وصدق الله: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (الحج:١٨)، يقول ابن القيم: ومنها: أن المعصية تورث الذل ولابد فإن العز كل العز في طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠)، أي: فيطلبها في طاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك، وقال الحسن

البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه، قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

٢-أنها تطفئ الغيرة من القلب، فتراه يرتكب المناهي والفواحش، ولا يغار وتراه يبصر التبرج والسفور على زوجته وبناته، ولا يغار، لأنه ألف المعصية، وأصبح لا يبالي بها وقعت عليه أو وقعت على نسائه وبناته، وهذا هو الديوث الذي ذمه النبي ﷺ، بل ربما تراه يفتخر بها بين الناس، ويأمر بها بناته، فهذا رجل رأى ابنته ارتدت الحجاب، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى خلعت الابنة حجابها، لأنه يرضى لها الفاحشة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء**»[(١)]، وعنه أيضًا قال: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله**»[(٢)].

ثالثًا - آثار اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على المجتمع:

إن الذنوب والمعاصي لها أثرها الخطير على المجتمع، والذي يتدبر التاريخ يجد أن أسباب هلاك الأمم وإبادتها كانت الذنوب والمعاصي، فبالذنوب: أغرق الله أهل الأرض، حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال، وسلط الريح على قوم

---

(١) رواه النسائي والبزار والحاكم وصححه.

(٢) رواه أحمد والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

عاد، حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟، وما الذي رفع اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟، وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب كالظل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى؟.

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنَّم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟.

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟.

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرهم تدميرًا؟، وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟، وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه وتبَّروا تتبيرًا؟، وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل، والسبي، وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (الأعراف: ١٦٧).

قال الإمام أحمد: عن جبير بن نفير عن أبيه، قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء يبكي، فقلت: «يا أبا

الدرداء ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟»، فقال: «ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله - عَزَّ وَجَلَّ - إذا أضاعوا أمره، بينما هي قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[(١)(٢)].

فتلك كانت نظرة عامة لأثر الذنوب على العباد والبلاد، وهيا لنقف مع بعض الآثار أيضًا المترتبة على اللامبالاة بالذنوب على المجتمع، بل على جميع الكائنات لنرى ظلم الإنسان لنفسه وغيره.

أولاً - من آثار اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على المجتمع «أنها تمحق البركة»:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (الجن: ١٦-١٧)، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وفي الحديث: **«إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته»**[(٣)]، وفي الحديث: **«وإن الله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»**[(٤)].

---

(١) «الداء والدواء» (ص٩٨-٦٠).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «الزهد» (١٧٦).

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه الطبراني رقم (٧٨٩٤) في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي أمامة.

(٤) ضعيف عن ابن مسعود، أخرجه الطبراني (جـ ٢) - (ص١٩٠٤)، والحاكم (جـ ٤) - (ص٥٤٠)، صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٦).

وقد تقـدم في الأثر الذي ذكره أحمد في كـتاب (الزهد): «أنا الله إذا رضيت باركت، وليس لبركتي منتهى، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تدرك السابع من الولد»(١).

وإذا أردت أن نتحدث عن قلة البركة في هـذا العصر الذي أصبحت الذنوب فيه كـالذباب، إذا جاء على أنف أحدهم فنجـدها عامة، فهـذا يشتكي قلة المال والبركـة لأنه لم يراعِ الله في عمله الوظيـفي، وهذا عنده الأموال ويشـتكي قلة بركتها لأنه جمعهـا من الربى والسرقة، وهذا يشتكي قلة البركة في الأبناء، لأنه كان عاقًا لوالديه.

ثانيًا ـ ومن آثار الذنوب والمعاصي واللامبالاة بها على المجتمع:

ما جاء في خـماسية الشـقاء الاجتماعي الذي حـذر منها النبي ﷺ ومن شرها، فعن عـبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: كنت عاشـر عشرة رهط من المهاجرين عند النبي ﷺ، فأقبل علينـا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم في المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قومٌ العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، أخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما انزل الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»(٢).

فانظر ـ يرعاك الله ـ إلى نتائج اللامبالاة بالقبائح والآثام:

---

(١) «الداء والدواء» (١٠-١١٢).

(٢) حديث حسن: أخرجه ابن مـاجه (جـ ٢) ـ (ص٤٠١٩)، والحاكم (جـ ٤) ـ (ص٥٤٠)، وصـححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٦).

الخصلة الأولى - «ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»: وهيا لترى عن قرب نتيجة اللامبالاة بالفواحش، ما ظهر منها وما بطن، لترى نتيجة الخروج عن الفطرة، إن البشرية تدفع ضريبة باهظة من الأموال والأرواح نتيجة للذنوب والمعاصي، فقد نشرت مجلة الوعي الإسلامي في رمضان ١٤٢٠هـ تلك الإحصائية: ١٦ ألف يصابون بالإيدز يوميًا في العالم، أكثر من ٨ مليون طفل فقد أمه أو أبوه في العالم بسبب الإيدز، قد تُوفي العام الماضي ٣/٢ مليون بسبب الوباء، ففي الولايات المتحدة الأمريكية حسب تقرير نشر في عام ١٩٨٣، وذلك كمثال ٥/١٢ مليون طفل مع أمهاتهم، لأنهم لا يعرفون لهم آباء غير الذين ترعاهم دور الرعاية الاجتماعية.

واللاتي يلدن سفاحًا في سن المراهقة أكثر من مليون امرأة سنويًا حسب إحصائيات ١٩٨٨/٧٩، وقد قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الحالات التي يتم لها إجهاض جنائي في العالم بحوالي ٢٥ مليون طفل سنة ١٩٧٦، وقد ارتفع العدد إلى ٥٠ مليون حالة إجهاض سنويًا في عام ١٩٨٤ حسب ما نشرته مجلة التايم الأمريكية، والزواج هناك أمر شكلي، فالخيانة الزوجية حسب تقرير نشر في عام ١٩٨٠ تشكل ٧٥٪ من الأزواج والزوجات، لذلك فهناك حالة طلاق بين كل حالتي زواج.

أما حجم الجريمة بين رجال الكنيسة، ففي تقرير نشرته مجلة الدلي ميل ١٩٧٠ أن حوالي ٨٠٪ من الرهبان يمارسون الزنا، وأن ما يقرب من ٤٠٪ يمارسون الشذوذ الجنسي؛ والسيلان يتصدر هذه الأمراض الجنسية شيوعًا في العالم، إذ يتراوح الرقم المثبت في الإحصائيات ٢٥٠ مليون سنويًا، وصدق

رسول الله ﷺ فيما قال، فهؤلاء لم يبالوا بالذنوب والفاحشة، فكان جزاؤهم الإيدز الذي لم يعرف له العلم دواء.

الخصلة الثانية - «ولا نقص قومٌ المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان»: فحدث عما أصاب المجتمع من أزمات اقتصادية، ومن شدة الفقر والفاقة، ومن جور الحكام وظلمهم، لماذا؟، لأن الرعية لم تبال بنقص المكيال والميزان، رغم أنهم يقرءون قول المولى - سبحانه وتعالى -: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ١-٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها، إلا الأمانة»**، قال: **«يؤتى بالعبد يوم القيامة، وإن قتل في سبيل الله يُقال له: أد أمانتك، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها أبد الآبدين»**، ثم قال: **«الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأشد ذلك الودائع»**، قال - يعني: «زاذان» -: فأتيت البراء بن عازب، فقلت: **«ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود»**، قال: **«كذا»**، وقال: **«كذا»**، قال: **«صدق، أما سمعت الله يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»**[1].

الخصلة الثالثة - «وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم لم يمطروا»: وهنا يظهر أثر الجشع والبخل على المجتمع يعم جميع الكائنات، لأن أفراد الأسرة الإنسانية بخلوا بما حباهم الله من فضله، فكان جزاؤهم أن أصابهم القحط، ولولا رحمة الله بتلك البهائم الرتع والأطفال

---

(١) رواه البيهقي موقوفًا ورواه أحمد، وحسنه الألباني في «الترغيب» رقم (١٧٣٦).

الرضع والشيوخ الركع، لم تمطر السماء، ولا مات الجميع، وصدق النبي ﷺ عندما أوضح لنا في ذلك التحذير من الشح والبخل أنه سبب من أسباب هلاك الأمم، قال رسول الله ﷺ : **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»**[١]، وقال ﷺ : **«إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»**[٢].

الخصلة الرابعة - «ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم»: هذا هو جزاء من نقض العهد، وما ابتليت الأمة الإسلامية بتسلط أحفاد القردة والخنازير إلا بسبب نقضهم العهد، فها هو الأقصى الأسير يئن تحت أقدام الأقذام من شذاذ العالم، والسبب في ذلك أنهم نقضوا عهد الله وميثاقه، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وقال ﷺ : **«بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[٣]، **«وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»**، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه:١٢٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«حدٌّ يعمل في الأرض خير لأهل الأرض أن يمطروا أربعين صباحاً»**[٤].

---

(١) رواه مسلم (جـ ١٦) - (ص ١٣٤)، وأحمد (جـ ٣) - (ص٣٢٣).

(٢) رواه أبو داود رقم (١٦٨٢)، والحاكم (جـ ١) - (ص١١).

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٢٨).

(٤) رواه النسائي وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٢٥).

ومن آثار اللامبالاة بالذنوب: شؤم المعصية على الخلق كلهم:

ليت العاصي حين يعصي يضر نفسه فحسب، لكنه يضر كل من حوله الإنس والجن، الحيوان والشجر، فذنبه متعدي الضرر، وإن بدا في ظاهره أنه لم يؤذِ غيره، ولم يصب أحدًا.

صحح أبو هريرة رضي الله عنه هذا الفهم الخاطئ حين سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يظلم إلا نفسه، قال أبو هريرة: «**كذبت والذي نفسي بيده إن الحباري** - نوع من الطيور - **لتموت في وكرها من ظلم الظالم**»، وليس أبو هريرة وحده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يؤكد هذا، فهذا أنس بن مالك يقول: «**كاد الضب يموت في جحره هزلاً من ظلم بني آدم**»، وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**﴾ (البقرة:١٥٩)، دواب الأرض والعقارب والخنافث منعت القطر بخطاياهم.

ومن آثار اللامبالاة بالذنوب: أنها تحدث الفساد في الأرض:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع، والثمار والمساكن، قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (الروم:٤١)، قال مجاهد، إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد، فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، ثم قرأ الآية السابقة: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (الروم:٤١)، ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار، فهو بحر وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر، إني لا أقول بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء.

قلت ـ ابن القيم ـ: أراد أن الذنوب سبب الفساد الذي ظهر، وإن أراد الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها، فتكون اللام في قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ لام العاقبة والتعليل، وعلى الأول: فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد، فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث الله لهم عقوبة، كما قال السلف: كلما أحدثتم ذنبًا أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، ولو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة[1].



(١) «الداء والدواء» (ص٨٧-٨٨).

الباب الرابع

اللامبالاة بالصلاة

أحكامها وآدابها

الفصل الأول - *اللامبالاة بترك الصلاة.*

الفصل الثاني - *اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها.*

الفصل الثالث - *اللامبالاة بصلاة الجماعة.*

الفصل الرابع - *اللامبالاة بأحكام وآداب الصلاة.*



الفصل الأول

اللامبالاة بترك الصلاة

إن من صور اللامبالاة التي شاعت في الأيام الأخيرة اللامبالاة بأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فترى وتسمع عن رجال وشباب وفتيات، قد تهاونوا في شأن الصلاة، فإذا نصحته أو أمرته انبرى قائلاً: ربك رب قلوب، وآخر يقول في استهزاء وسخرية: خذنا على جناحك يا عم، وآخر يقول: إبه صلي لنا معاك ركعتين، وهو يضحك ولا يبالي لأنه جاهل بأمر الصلاة، ولا يعرف حكم تاركها، والبعض يعرف ولكنه يكابر، ويقول: ساعة الحساب تفرج.

إلى هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، هذا البيان من كتاب (الرحمن وسنة النبي العدنان):

أولاً - اعلم - هداك الله وإياي - أن ترك الصلاة كفر بالله تعالى، وقد تواترت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

عن أبي بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر»**[1].

وقال ﷺ: **«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»**[2].

وقال ﷺ: **«بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة»**[3].

وقال ﷺ: **«من ترك صلاة متعمداً، فقد برأت منه ذمة الله»**[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي في «المجتبي»، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٥٦٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب «الإيمان» والنسائي.

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفتن» برقم (٣٠٣٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (١٨).

وفي فتوى اللجنة الدائمة عن حكم تارك الصلاة، فأجابت: الصلاة ركن من أركان الإسلام، فمن تركها جاحدًا بوجوبها، فهو كافر بالإجماع، ومن تركها تهاونًا، فهو كافر على الصحيح من قولي العلماء في ذلك، والأصل في ذلك عموم الأدلة التي تدل على الحكم بكفره، ولم تفرق بين من يتركها تهاونًا، ومن تركها جاحدًا بوجوبها[١].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة فقد كفر».

قال محمد بن نصر المروزي: سمعت إسحاق يقول: صح عن النبي ﷺ: أن تارك الصلاة كافر، وكذلك رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدًا بغير عذر حتى يذهب وقتها كافر». اهـ.

وقال ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[٢].

وعن محجن بن الأدرع الأسلمي: أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ، فأُذن للصلاة، فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له: «ما منعك أن تصلي ألست برجل مسلم؟»، قال: «بلى ولكني صليت في أهلي»، فقال: «إذا جئت فصلِّ إن كنت قد صليت»[٣].

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: أخشى ألا يحل للرجل أن يقيم مع امرأة لا تصلي، ولا تغتسل من الجنابة، ولا تتعلم القرآن.

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (جـ ١) ـ (ص٣٧).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٥)، ومسلم رقم (٢١).
(٣) أخرجه مالك وأحمد والنسائي.

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: وتارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادته، ولا يحل لمسلم أن يواكله، ولا يزوجه ابنته، ولا يدخل معه تحت سقف.

ويقول الشيخ محمد بن إسماعيل: وبعيدًا عن اختلاف العلماء في نوع هذا الكفر في حق من ترك الصلاة تكاسلاً، مع اعتقاده وجوبها، فإننا نهمس في أذن تارك الصلاة: هل يرضيك أن يكون انتسابك إلى ملة الإسلام ودين التوحيد وأمة محمد ﷺ موضع اختلاف بين العلماء، ففريق يقول: إنك كافر مشرك، حلال الدم والمال، وإنك لا تستحق الحياة، بل على ولي أمر المسلمين أن يقتلك ردةً، وأنه لا يجوز لك أن تتزوج من مسلمة، ولا تصلح وليًا شرعيًا لأولادك، وأنك لا ترثهم ولا يرثونك، وأنك لا تغسل ولا يُصلى عليك، ولا تدفن في مقابر المسلمين، وأنك مستحق للخلود في جهنم مع فرعون وهامان وأبي لهب، وسائر أعداء الدين، وفريق آخر يقول: بل أنت فاسق عاصٍ فاجر يجب قتلك إن أصررت على ترك الصلاة؟!.

يا تاركًا لصلاته ... إن الصلاة لا تشتكي
وتقول في أوقاتها ... الله يلعن تاركي[1]

فيا من لا تبالي بترك الصلاة، وتتهاون بها كأني بك إذا رفعت اللقمة إلى فمك، تقول لك اللقمة: يا عدو الله تأكل رزق الله، ولا تؤدي فرائضه، وإذا لبست ثوبك، قال لك الثوب: يا عدو الله لولا أن سخرني الله لك لفررت منك، وكأني بك إذا خرجت من بيتك، قال لك بيتك: يا عدو الله لا أتبعك الله في سفرك، ولا ردك إلى أهلك سالمًا، وكأني بك يا تارك الصلاة عامدًا

---

(١) «الصلاة لماذا؟» (ص١٥٤-١٥٥).



متعـمدًا، تموت كافرًا، وكـذلك تبعث، وكأني أسمع لك يا تارك الـصلاة كأني أسمع نداء قادم من الزمـن الغابر السحيق يصرخ ينادي الـبحر كل يوم: يا ربي دعني أغـرق ولد آدم، لأنه أكل رزقك وترك فـرضك، وتنادي السمـاء: يا ربي دعني أنطبق علـى ابن آدم، لأنه أكل رزقك وترك فـرضك، وتنادي الأرض: يا رب دعني أخسف بابن آدم لأنه أكل رزقك وترك فرضك، فينادي مناد من بعيد: ألا إن تارك الصـلاة ممقوت، وعلى غـير ملة الإسـلام يموت، الجحيم والـهاوية متقلبه، ومثواه وهو ملعون عند الله، مطرود في أرضه وسماه[١].

ترك الصلاة سبب من أسباب سوء الخاتمة:

يا من لا تبـالي بعمود الإسـلام والصلة بين العـبد والملك العلام، يـخشى عليك من سوء الخاتمة، لأن من سنن الله في خلقـه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

يقول الإمام أبو أحمد عبـد الحق ـ رحمه الله ـ: اعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها، لا تكون لمن اسـتقام ظاهره، وصلح باطنه؛ ما سُـمع بهذا ، ولا عُلم به والحمد لله، وإنما يكون لمن كان له فسـاد في العقل أو إصْرار على الكبائر، أو إقـدام على العظائم، فـربما غلب ذلك عليـه حتى ينزل به المـوت قبل التـوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمـة، ويختطفه عند تلك الدهشة ـ والعياذ بالله ثم العياذ بالله ـ، أو يكون مستقيمًا ثم يتغير حاله، ويخرج عن سننه، ويأخذ في طريقه فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته[٢].

---

(١) «الويل لك يا تارك الصلاة».
(٢) «التذكرة» (ص٥٣).

* استمع إلى تلك القصة التي يرويها لنا صاحب كتاب (الويل لك يا تارك الصلاة:

يقول محمد بن عبد الملك الزغبي - حفظه الله -: بلغنا عن طريق الثقاة أن شابًا قد توفي منذ بضع سنوات بدولة الأردن، وذهب الناس كي يدفنوه ويضعونه، حيث المقابر في الأردن والسعودية .. إلخ تختلف في نظامها عن المقابر المصرية، فهناك يضعون الميت في اللحد الشرعي، حيث يحفرون له قبره في الرمال، فلما ذهبوا وحفروا له قبره في الرمال، يقول الشاهد أو الشهود: والله ما إن انتهينا من حفره، حيث رأينا ثعبانًا ضخمًا يقف في اللحد على ذيله، وينتظر نزول الميت، فابتعدنا وحفرنا له ثانية، فوجدنا نفس الثعبان بالحفرة الثانية، فمضينا كلما حفرنا وجدناه أمامنا، حتى حفرنا السابعة، يقولون: قمنا باستدعاء رجال الشرطة، فجاءوا يقولون: والله ما من أحد كان يصوب زناده اتجاه الثعبان، إلا وقع مغشيًا عليه، فقمنا باستدعاء الأئمة والعلماء، فحضروا وانتهى الرأي بهم أن يحملوه على أذرعهم ليشاهدوا ما يحدث، يقولون: والله ما إن حملناه على أذرعنا حتى طار الثعبان من اللحد على الشاب الميت، والتف حوله، ثم هوى به في قبره، يقولون: فوالله لقد كنا نسمع تكسير عظامه كما تكسر حزمة القراط، يقولون: فطلبنا أمه، فأتت فسألناها عن حال ولدها، فقالت: كان سمحًا طيبًا، وكان يصوم ويزكي، ويعمل الخيرات، إلا أنه كان تاركًا للصلاة، لا يؤديها[1].

---

(١) «الويل لك يا تارك الصلاة».

ترك الصلاة شعار أهل سقر:

يقول المولى ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدثر: ٢٧-٣٠)، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر: ٣٨-٤٥)، فتارك الصلاة في سقر والمستكبرون عن الركوع لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ والمستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل، قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ٤٨-٤٩)، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤-٥)، والمضيعون الصلاة المفرطون فيها لهم الغيُّ، قال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

فيا تارك الصلاة أليس إقامة خمس صلوات في اليوم والليلة لها من الفضائل ما لا يحصى أهون من شرب الصديد، ومقطعات الحديد، ومعاناة العذاب الشديد[١].

وعن معاذ بن جبل قال: أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا عملته دخلت الجنة، فقال: «**لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت وحرقت، ولا تعقنَّ والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركنَّ صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة عمدًا، فقد برأت منه ذمة الله، ولا تشربنَّ خمرًا، فإنَّه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإنَّ بالمعصية حل سخط الله، وإياك والفرار وإنْ هلك الناس، وإنْ أصاب الناس موت فاثبت، وأنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا وأخفهم في الله**»[٢].

---

(١) «الصلاة لماذا؟» (ص١٦٧-١٦٨).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٣٣٩).

وبعد هذا البيان الذي أوضح حكم تارك الصلاة وجزاءه في الدنيا والآخرة وأن في تركها الذل والخسران، هيا لترى نور الصلاة، لعلك إذا رأيت أنوارها سرت مع أهل الأنوار، وزاحمتهم بالركب:

الصلاة هي وصية رسول الله ﷺ الأخيرة لأمته:

ونبيك ﷺ في رمقه الأخير في تلك الساعة التي يرى فيها العبد الدنيا وقد ولت مدبرة، والآخرة وقد أقبلت نحوه مسرعة، في تلك الساعة التي يكشف فيها الغطاء ليرى العبد حقيقة سعيه، ويرى حقيقة تلك الدنيا الحقيرة، ويرى حقيقة الآخرة الخطيرة، قدم النبي ﷺ تلك الوصية والعمل بالوصية وتنفيذها واجبٌ على الورثة، ونحن ورثة النبي ﷺ أكد لنا أهمية الصلاة، فعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: **«الصلاة، وما ملكت أيمانكم»**(١)، فهل حافظنا على تلك الوصية التي سيسألنا عنها رسول الله ﷺ، أم لم ينال بها؟!.

الصلاة مرآة عمل المسلم، وميزان تعظيم الدين في قلب المؤمن:

الصلاة ميزان الأعمال، بها يتابع الإنسان زيادة إيمانه ونقصانه كما يتابع الطبيب بمقياس الحرارة حرارة المريض، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»**(٢).

والناس يتفاضلون في الصلاة، قبل أن يتفاضلوا في غيرها من فضل علم أو زكاة، وهي المقياس الصحيح، وبها يُحكم على دين الرجل ومكانته في الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني.

(٢) صحيح.

وليس امتياز هؤلاء الرجال الذين خلد التاريخ ذكرهم وكان لهم فضل في الأقران والمعاصرين، ولسان صدق في الآخرين، إلا لامتيازهم في هذه الصلاة، وتفوقهم فيها على معاصريهم، وأضرابهم، وبلوغهم فيها درجة الإحسان ووصولهم فيها إلى أسمى مكان، وعلى الجانب الآخر، فإن كل مستخف بالصلاة مستهين بها، فهو مستخف بالإسلام، مستهين به، لأن حظ المرء من الإسلام على قدر حظه من الصلاة، فإذا أردت أن تعرف قدر رغبتك في الإسلام، ففتش عن رغبتك في الصلاة، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر تعظيمك للصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**من أراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده**»[1].

وعن الحسن قال: يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك[2].

والصلاة زلفى وقربى إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

فإذا أردت أن تكون من المقربين الذين أعد الله لهم الروح والريحان وجنة النعيم، فعليك بالصلاة، فبها يرتقي العبد إلى الحضرة الإلهية، ويخصه الله بالعون والمدد، ويسدده في أقواله وأفعاله وفي حركاته وسكناته، فالصلاة معراج المؤمنين، ومحل مناجاة رب العالمين، لا واسطة بين المصلي وبين ربه، وبها يظهر أثر المحبة، لأنه لا شيء ألذ عند المحب من الخلوة بمحبوبه، ليفوز بمطلوبه، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته وإن استعاذ بي أعذته**»[3].

---

(١) حسن.
(٢) «الصلاة لماذا؟» (١٥-١٧).
(٣) أخرجه البخاري.

وقال ﷺ لكعب بن عجرة: «**والصلاة قربان**»[1]، وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال: الصلاة في وقتها**»[2].

وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فقلت: «**أخبرني بعمل يدخلني الجنة**»، أو قال: قلت: «**بأحب الأعمال**»، فسكت، ثم سألته، فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»[3].

الصلاة وتكفير الخطايا:

يا أصحاب الذنوب والخطايا، يا من سودتم صحائف أعمالكم بالذنوب، ولم تبالوا بترك الصلاة وأنتم في أمس الحاجة إلى ركعة تطهر القلوب من آثار الذنوب، هل فكرتم في تلك الذنوب، وما هو طريق الخلاص منها؟، هل فكرتم في صحائفكم السوداء كيف تجعلونها بيضاء؟، يا من لا تبالي بالصلاة هيا لترى كيف أن الصلاة تمحو الذنوب وتكفر الخطايا، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ (هود: ١١٤).

الله أكبر! طرفي النهار، الفجر والعصر، وزلفًا من الليل، المغرب والعشاء، يعني الفروض الخمس، وتأتي يوم القيامة فتجد السيئات مغفورة، وقد بدلت حسنات، هذا هو الفضل الكبير فضل الجائزة، فضل الصلاة.

---

(١) حسن. (٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم (جـ ١٧) ـ (ص٧٩)، والترمذي وابن ماجه.

إذ هذا الأمر على قسمين: قسم يزيل الذنوب والخطايا أولاً بأول، وقسم يزيلها نهائيًا، يزيل الذنوب القديمة بالكلية، هذا أيضًا بفضل الصلاة الجائزة، نبينا الكريم الرحمة المهداه ﷺ ـ جزاه الله عنا خيرًا ـ عندما نزلت الآية وقال من بيده الأمر: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ في حق رجل أصاب من امرأة شيئًا دون الجماع، فسأل النبي ﷺ عن تطهير هذا الذنب، فأخبره النبي ﷺ أن صلاته معه تكفر هذا الذنب، ونزلت الآية، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«يا رسول الله، أله خاصة؟»**، فقال ﷺ: **«بل للناس كافة»**. فأول شيء ذكرناه أنها تزيل الذنوب والسيئات أولاً بأول.

روى البخاري عن النبي ﷺ قال: **«أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»**، قالوا: **«لا يبقى من درنه شيء»**، قال: **«كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[1]، والدرن أي: الوسخ الذي في الجسد، يعني: لو أنك اغتسلت خمس مرات، هل يبقى في جسدك أي وسخ، قالوا: لا، كذلك الصلوات الخمس، هذا أول شيء أنها تزيل أولاً بأول، فالصلاة تزيل ما بين الفروض، فإياك ـ أخي المسلم ـ أن يضحك عليك الشيطان، ويجعلك تترك الصلاة، إن الجائزة وأنت في الدنيا أن تمحو عنك ذنوبك، وأمر آخر يزيل الذنوب أولاً بأول: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«من سبح في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»**، وزبد البحر: هو ما يعلو ماء البحر عند هياجه وتموجه.

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

القسم الثاني - يزيل بها جميع الذنوب السابقة: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أمَّن الإمام، فأمِّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه»**، فهذا بحق جائزة الصلاة، تزيل كل السيئات الماضية، فالصلاة فرض، ومنة وكرم في الدنيا[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ خرج في الشتاء والورق يتهافت، فأخذ بغصن من شجرة، فجعل ذلك الورق يتهافت، فقال: **«يا أبا ذر»**، قلت: **«لبيك يا رسول الله»**، قال: **«إن العبد ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله، فيتهافت عنه ذنوبه، كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة»**.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«يبعث مناد عند حضرة كل صلاة، فيقول: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلون، فيغفر لهم ما بينهما، ثم توقدون في ما بين ذلك، فإذا كان عند الصلاة الأولى، نادى: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فيتطهرون ويصلون الظهر، فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر، فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك، فإذا حضرت العتمة، فمثل ذلك، فينامون وقد غفر الله لهم فمدلج في خير، ومدلج في شر»**[2]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: **«إن العبد إذا قام يصلي أُتي بذنوبه كلها، فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه»**[3].

فيا من عميت عيناه عن كثرة الذنوب، وأضحى لا يبالي بفريضة علام الغيوب، أما آن لك أن تقلع وتتوب، فيراك ربك راكعًا وساجدًا، وقد تعلق قلبك بالمساجد، أما آن لك، أما أنذرك الشيب وما من نصحه ريب؟!.

---

(١) «فوائد الصلاة في الدنيا» (ص٣٣-٣٦) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البيهقي والحاكم وأبو يعلى.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (جـ١) - (ص٩١).

الفصل الثاني

اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها

وما من تلك الصورة التي نشاهدها، وإن دلت فإنما تدل على اللامبالاة بما أمر الله تعالى بالمحافظة عليه، تأخير الصلاة عن وقتها، ويعتقد كثير من هؤلاء أن هذا الأمر لا غبار عليه، وأنه طالما يصلي فإن القضية قد انتهت، فتجد الواحد يحافظ على أمر دنياه، ولا يؤخره، بل ربما إذا تأخر ولو دقائق يقيم الدنيا ولا يقعدها، بل ربما ضرب زوجته وأساء الأدب معها، لأنها كانت سببًا في تأخره، أما عند الصلاة، فإنه يجمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء، جملة واحدة، فينقرها كنقر الديكة، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، فهذا قد أوقع نفسه في غضب الله تعالى، وهيا لترى يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها، جزاء من أخرها في الدنيا والآخرة، يقول المولى ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: في هذه الآية أضاعوا الصلاة، أي: أخروها عن وقتها، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥)، قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها[١]، هذا جزاء من يتهاون بوقت الصلاة، فسوف يلقون غيـًا، والغي كما أخرج البخاري في (تاريخه)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«الغي: نهر في جهنم»**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: الغي: نهر أو واد في جهنَّم من قيح بعيد القعر خبيث الطعم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (جـ١) ـ (ص ٩١).

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩)، قال: أي الصلاة المفروضة، فمن شغله ماله وتجارته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين(١).

تأخير الصلاة سبب من أسباب عذاب القبر:

اعلم - علمني الله وإياك - أن تأخير الصلاة عن وقتها سبب من أسباب عذاب القبر، الذي لا ينقطع عن صاحبه حتى قيام الساعة، فعن سمرة بن جندب ﵁ أن النبي ﷺ قال: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي - الحديث وفيه -: وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر، فيأخذه فلا يرجع إليه، حتى يصبح كما كان، ثم يعود إليه، فيفعل به مثلما فعل المرة الأولى - الحديث وفيه أن الملكين فسرا له ﷺ ما رأى - أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»، وفي رواية: «فيفعل به إلى يوم القيامة»(٢).

تأخير الصلاة علامة من علامات المنافقين:

واعلم - يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها - أن ذلك من علامات المنافقين المخادعين، فإياك أن تكون منهم، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢)، فهو قد اعتاد تأخير الصلاة عن وقتها، لأن داء النفاق قد دب إلى قلبه، وانظر إلى حالهم، والنبي ﷺ يصورهم لنا، قال ﷺ ذامًّا من يؤخر الصلاة عن وقتها: «تلك صلاة المنافقين - ثلاثًا -: يجلس أحدهم يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان أو على قرني الشيطان، قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»(٣).

---

(١) رواه المنذري والبيهقي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) أخرجه مسلم.

تأخير الصلاة عن وقتها سبب من أسباب استحواذ الشيطان:

واعلم - يا من لا تبالي بوقت الصلاة - أن تأخيرها علامة من علامات استحواذ الشيطان على العبد، ومن استحوذ الشيطان عليه ينسيه ذكر الله، ويدخله في حزبه، يقول سبحانه: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (المجادلة: ١٩).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ، فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيبًا، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[١].

واعلم - يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها - أن أعظم المصائب المصيبة في الدين، ومن تلك المصائب تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله**»[٢].

والموتور من أخذ ماله وأهله وهو ينظر إليه، وذلك أشد لغمه، وما فاتته الصلاة أشبهه لاجتماع غم الإثم، وغم فقد الثواب. كما يجتمع على الموتور غمَّان: غم السلب، وغم الطلب بالثأر.

وأخيرًا - يا من لا تبالي بوقت الصلاة - بعد أن كشف لك عن ستار من خالف أمر العزيز الجبار وتهاون بفرضه، هيا لترى في جانب أهل الإيمان ثواب من حافظ على الصلاة لوقتها، لعل ذلك يكون سببًا من أسباب المحافظة على الصلاة.

اعلم - علمني الله وإياك - أن أفضل الطاعات الصلاة لوقتها، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: «**أي الأعمال أحب إلى الله؟**»، قال: «**الصلاة**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. (٢) أخرجه البخاري (جـ ٥٢٧).

على وقتها»، قال: **«ثم أي؟»**، قال: **«بر الوالدين»**، قال: **«ثم أي؟»**، قال: **«الجهاد في سبيل الله»**، قال: حدثني بهن، ولو استزودته لزادني[(١)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خمس صلوات افترضهن الله - عَزَّ وَجَلَّ - من أحسن وضوءهن وصلاهنّ لوقتهن، وأتم ركوعهنّ وخشوعهنّ كان له على الله عهد أنْ يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إنْ شاء غفر له، وإنْ شاء عذبه»**[(٢)].

واعلم أنَّ المحافظة على الصلاة في أول وقتها سبب من أسباب دخول الجنة، واسمع - يا من لا تبالي بها حتى يخرج وقتها - إلى الله وهو يأخذ على نفسه العهد، فضلاً منه ورحمة: أنَّ من حافظ عليها لوقتها أدخله الجنة وغفر له، وأنَّ من لم يحافظ عليها لم يكن له عند الله عهد.

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: إني فرضت على أمتك خمس صلوات، عهدت عندي عهداً أنه من يحافظ عليهنّ لوقتهنّ أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهنّ فلا عهد له عندي»**[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ على أصحابه يومًا، فقال لهم: **«هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟»**، قالوا: «الله ورسوله أعلم» - قالها ثلاثًا -، قال: **«وعزتي وجلالي لا يصليها لوقتها إلا أدخلته الجنة، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته»**[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان، وصححه.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن، وأحمد بنحوه.

الفصل الثالث

اللامبالاة بصلاة الجماعة

تكلمت في الفصل الأول عن الصنف الأول، وهو الذي لا يبالي بترك الصلاة، ويتهاون في شأنها، وعرفنا موقف الشرع الحنيف من هذا الصنف، ثم أخذت بيده لبيان عظم الصلاة ومكانتها في الإسلام، فهي عماد الدين، وهي الفرق بين أهل الإيمان، وأهل الكفر والعصيان، ثم وقفت مع الصنف الثاني، وهو الذي يصلي، ولكنه يجمع الصلوات وينقرها نقر الديكة، وعرفنا جزاء من لم يبال بوقت الصلاة، ثم عرجنا إلى بيان فضل الصلاة لوقتها، وفي هذا الفصل نقف مع صنف يصلي الصلاة لوقتها، ولكن مرض اللامبالاة قد أصابه، فهو يصلي ولكن في بيته، يسمع المؤذن ينادي: حي على الصلاة، ولا يرفع لذلك رأسًا، فإذا خاطبته في ذلك انبرى قائلاً: صلاة الجماعة سنة، فمن شاء صلاها في بيته، ومن شاء صلاها في جماعة، وآخر يتعذر في ترك الصلاة حتى رأينا المقاهي قد ازدحمت بهؤلاء، وهم قد اجتمعوا على سماع الأغاني والمحرمات ومشاهدة الأفلام والمسلسلات، وربما يكون المسجد بجوار المقهى، فتجد المسجد خالي من المصلين، بينما المقهى قد امتلأ عن آخره، ونوع آخر جلس في بيته جلوس النساء والأطفال، فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بشأن صلاة الجماعة، أوجه هذا البيان من كتاب الرحمن وسنة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام.

صلاة الجماعة واجبة وليست سنة

اعلم - علمني الله وإياك - أن صلاة الجماعة واجبة على المستطيع يأثم تاركها لغير عذر، بل إن تركها علامة من علامات النفاق الكبرى، وهاك الأدلة من الكتاب والسنة:

بوب الإمام البخاري بابًا، فقال: باب وجوب صلاة الجماعة.

قال الحسن: إن منعته أُمه عن العشاء في جماعة شفقة لم يطعها.

ثم ساق حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة، فيؤذن لها آمر رجلاً، فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا، أو مرمتين حسنتين لشهد العشاء».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وهكذا بت الحكم في هذه المسألة وكأن ذلك لقوة الدليل عنده، لكن أطلق الوجوب وهو أعم من كونه وجوب عين أو كفاية، إلا أن الأثر الذي ذكره عن الحسن يشعر بكونه يريد أنه وجوب عين، لما عرف من عادته أنه يستعمل الآثار في التراجم لتوضيحها وتكميلها، وتعيين أحد الاحتمالات في حديث الباب»[١].

وبوب الإمام مسلم فقال: باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، وساق حديث أبي هريرة ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟»، فقال: «نعم»، فقال: «أجب».

وأخرج ابن ماجه والحاكم وقال: على شرطيهما عن ابن عباس ﷺ قال: عن النبي ﷺ: «من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر».

وقال الإمام البغوي: ذهب غير واحد من صحابة رسول الله ﷺ إلى أن من سمع النداء فلم يُجِب، فلا صلاة له.

---

(١) «فتح الباري» (جـ٢) ـ (ص١٤٨).

وقال عطاء بن أبي رباح: ليس لأحد من خلق الله في حضر ولا قرية رخصة إذا سمع النداء، في أن يدع الصلاة.

وقالت أم المؤمنين عائشة ﵂: **«من سمع النداء، فلم يجب لم يُرِد خيراً، ولم يُرَد به خير»**.

وقال الحافظ ابن حجر: وإلى القول بأنها فرض عين، ذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وجماعة من محدثي الشافعية، كأبي ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، وبالغ داود ومن تبعه فجعلها شرط صحة في الصلاة، وأشار ابن دقيق العيد إلى أنه مبني على أن ما وجب في العبادة كان شرط فيها، فلما كان المذكور دالاً على لازمه وهو الحضور ووجوب الحضور دليلاً على لازمه، ووجوب الاشتراط ثبت الاشتراط بهذه الوسيلة إلى أنه لا يتم إلا بتسليم أنَّ ما وجب في العبادة، كان شرطًا فيها، وقد قيل: أنه الغالب، ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية، قال أحمد: أنها واجبة غير شرط. اهـ[1].

واعلم ـ يا من لا تبالي بصلاة الجماعة ـ أن ذلك علامة من علامات استحواذ الشيطان عليك، عن أبي طلحة اليعمري قال: قال لي أبو الدرداء: أين مسكنك؟، فقلت: في قرية دوين حمص، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ: **«ما من ثلاثة في قرية لا تُقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية»**[2].

فقد بيَّن ﷺ أن الشيطان ذئب الإنسان وهو أعدى عدوه، وكما أن الطائر كلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل احتوشته الآفات، فكذلك الشاة كلما

---

(١) «فتح الباري» (جـ٢) ـ (ص١٤٨).

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

كـانت أقرب إلى الـراعي كانت أسلم من الـذئب، وكلما ابتـعـدت عن الراعي كانت أقـرب إلى الهلاك، فـأحمى مـا تكون الشاة إذا قـربت من الراعي، وإنما يأخذ الذئب القاصي من الغنم، وهي أبعدهن من الراعي.

قال بعض السلف: رأيت العـبد ملقى بين الله سبحانه وبـين الشيطان، فإن أعرض عنه تولاه الشيطان، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان.

صلاة الجماعة من سنن الهدى:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه»**[(١)].

وعنه رضي الله عنه أيضًا قال: **«من سره أن يلقى الله غداً مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حين ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، ولعمري لو أن كلكم صلى في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يهادى بين الرجلين حتى يدخل في الصف»**[(١)].

صلاة الجماعة براءة من النفاق:

اعلم ـ يا من لا تبالي بصـلاة الجماعة ـ أن تركهـا علامة دالة على أنك من جملة المنافقين الذين ذمهم النبي ﷺ، فهل ترضى أن تكون منهم؟.

فقـد مر حديث ابن مـسعود رضي الله عنه وقال فـيه: **«وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»**.

---

(١) «الصلاة لماذا؟» (١٧٦).

ـ صحيح: رواه المنذري في «الترغيب».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أثقل الصلاة على المنافقين: «**صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً**»[١].

وقال ﷺ: «**من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كُتِبَ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**»[٢].

الصلاة نور له في الدنيا والآخرة:

قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة نور**»[٣].

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩)، وعن أبي بريدة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[٤].

وعنه أيضًا عن رسول الله ﷺ قال: «**من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بنور يوم القيامة**»[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**المشاءون إلى المساجد في الظلام، أولئك الخواضون في رحمة الله**»[٦].

وقال النخعي: كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة موجب الجنة.

واسمع ـ يا من لا تبالي بصلاة الجماعة ـ بعيدًا عن اختلاف العلماء في كونها شرط صحة الصلاة، أو واجبة، أو ليست شرطًا وجوبًا عينيًا أو فرض كفاية، أو سنة مؤكدة، كما هي مذهب بعض العلماء، إلى هذه الفوائد والجوائز التي تعود على من حافظ عليها في جماعة.

---

(١) متفق عليه.
(٢) إسناده حسن: رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أبو داود والترمذي بإسناد جيد.
(٥) رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٦) أخرجه ابن ماجه.

المسجد بيت كل مؤمن:

فإذا أردت أن تتعرف على هوية إنسان فانظر إليه هل يهمه أمر الصلاة أو لا؟، وهل يحافظ عليها في جماعة، أم أنه من المتخلفين الذين لا يبالون بشأنها؟.

قال رسول الله ﷺ: «**المسجد بيت كل مؤمن تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجوز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة**»[١].

أبعد هذا الفضل فضل، وبعد هذا الجزاء جزاء؟! فقد وصف النبي ﷺ من يحافظ على الصلاة في جماعة بالإيمان والتقى، ثم منحه الروح والريحان، والجوز على الصراط.

وهذا بيت في الجنة في كل صلاة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**»[٢].

فهذا الذي لا يبالي يحرم نفسه من هذا النزل الذي يعده الله تعالى لمن حافظ عليها، وهو يحرم نفسه الأجر والثواب الذي يكون في كل خطوة يخطوها إلى المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج عامداً إلى الصلاة، فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة، وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة، وتُمْحَى عنه بالآخرة سيئة، فإذا سمع أحدكم الإقامة، فلا يسعَ، فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً**»، قالوا: «لم يا أبا هريرة؟»، قال: «**من أجل كثرة الخطى**»[٣].

---

(١) رواه الطبراني والبزار، وقال: إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مالك وهذا لفظه، والبخاري ومسلم.

عن أبي أُمامة ﷺ قال رسول الله ﷺ : «من خرج من بيته إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطو خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه: اللهم صلِّ عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»، وفي رواية : «اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ، ما لم يحدث فيه»(٢).

وهيا لترى قدر الخسارة التي يخسرها من لا يبالي بصلاة الجماعة:

* رجل صلى في بيته ٥٠ سنة × ٣٦٠ يومًا = ١٨٠٠٠ × خمسين في الأجر = ٩٠٠٠٠٠ صلاة.

* ورجل صلى في المسجد ٥٠ سنة ×٣٦٠ يومًا = ١٨٠٠٠ × خمسين في الأجر = ٩٠٠٠٠٠ × ٢٥ ضعف = ٢٢ مليون صلاة.

فالأول لم يصل رصيده إلى مليون صلاة، لأنه لم يبال بصلاة الجماعة، والآخر وصل رصيده إلى هذه الملايين، لأنه حافظ عليها في جماعة، وشتان بين رجلين أحدهما: قلبه متعلق بالمساجد، والآخر قلبه متعلق بهواه ودنياه الأول في ظل عرش الرحمن، يقول رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر منهم : «ورجل قلبه معلق بالمساجد»(٣).

---

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

والثاني - فجهنم مأواه، يقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٣٧-٣٨).

صور من حرص السلف على صلاة الجماعة

ذكر ابن كثير في تفسير سورة النور عن شيبان قال: حدث عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه رأى قومًا من أهل السوق، حيث نودي للصلاة المكتوبة، تركوا بياعتهم ونهضوا إلى الصلاة المكتوبة، فقال ابن مسعود: هؤلاء من الذين قال الله في كتابه: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ (النور: ٣٧).

وعن عمرو بن دينار قال: كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد، فمررنا بسوق المدينة، وقد قاموا إلى الصلاة، وخمروا متاعهم، فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد، فتلا هذه الآية: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ .

وقال غيره: كانوا يبيعون ويشترون، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه، وأقبل على صلاته.

حرص ميمون بن مهران:

وانظر إلى حرصه على صلاة الجماعة، لم يشغله عمله عن حضور الجماعة مع المسلمين، فكانت مهنته صياغة الذهب والفضة، كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء، لم يردها.

حرص عامر بن عبد الله المؤذن:

ها هو يجود بنفسه في سكرات الموت، ومنزله قريب من المسجد، قال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟، فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ثم مات - رحمه الله -.

حرص الربيع بن خثيم ـ رحمه الله ـ:

بعدما سقط شقه يُهادى بين الرجلين إلى مسجد قومه، يقولون: يا أبا يزيد، لقد رخص لك لو صليت في بيتك؟، فيقول: إنه كما تقولون لكني سمعته يقول: حي على الفلاح، فمن سمعه منكم ينادي: حي على الفلاح، فليجبه ولو زحفًا ولو حبوًا.

حرص سليمان بن مهران (الأعمش) ـ رحمه الله ـ:

وانظر ـ يا من لا تبالي بترك صلاة الجماعة ـ إلى حرص سليمان بن مهران، قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش وهو سليمان بن مهران، قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

حرص ضمام بن إسماعيل:

جاء ـ رحمه الله ـ إلى المسجد وقد صلى الناس فجعل على نفسه ألا يخرج من المسجد حتى يلقى الله، فجعله بيته حتى مات.

إن شعار هؤلاء كان كما يقول الحسن ـ رحمه الله ـ: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره، وقال وهب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

هم الرجال وعيب أن يُقال ... لمن لم يكن مثلهم رجل
واحسرتاه تقضي العمر وانصرفت ... ساعاته بين ذل العجز والكسل
والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل



الفصل الرابع

اللامبالاة بأحكام وآداب الصلاة

اعلم - علمني الله وإياك - أن هناك بعض مظاهر اللامبالاة التي أصابت بعض الأخيار الذين يحافظون على الصلاة، ولكنهم مع حرصهم عليها، إلا أنهم يقعون في بعض صور اللامبالاة التي تنقص من أجرهم ومنزلتهم عند الله تعالى، ومن باب الدين النصيحة، نقف مع تلك المظاهر حتى نقضي عليها:

الصورة الأولى - الصلاة إلى غير سترة:

فنرى ونشاهد كثيرًا من المصلين الذين فرطوا في تلك السُّنة التي حث عليها النبي ﷺ في صلاته.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﷺ: **«إذا صلى أحدكم فليصلِّ إلى سترة، وليدْنُ منها، ولا يدع أحد يمر بين يديه، فإن جاء أحدٌ يمر فليقاتله، فإنه شيطان»**[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لا تصلِّ إلاَّ إلى سترة»**[٢].

وانظر إلى حرص الصحابة، حيث كانوا حريصين على الصلاة، وتنفيذ أوامر النبي ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب حتى يخرج النبي ﷺ[٣].

وعن نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن عمر إذا لم يجد سبيلاً إلى سارية من سواري المسجد، قال لي: ولِّني ظهرك[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه (٩٥٤)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه ابن خزيمة رقم (٨٠٠)، وقال الألباني في «صفة الصلاة» رقم (٨٢): إسناده جيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (جـ١) - (ص٢٧٩)، بسند حسن صحيح.

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: سُئل النبي ﷺ عن سترة المصلي، فقال: «**مثل مؤخر الرحل**»[1]، ومؤخر الرحل: هي الخشبة التي يستند إليها راكب البعير ومقدارها زراع، فالسُّنة - عبد الله - أن تحافظ عليها، وأن يكون لك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

وعن سهل عن النبي ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم فليستتر وليقترب من السترة، فإن الشيطان يمر بين يديه**»[2].

قال البغوي - رحمه الله -: والعمل على هذا عند أهل العلم، استحب الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود، وكذلك بين الصفين.

الصورة الثانية - ومن صور اللامبالاة التي نراها من كثير من الأخيار المرور بين يدي المصلي:

ولو يعلم هؤلاء عظم الذنب الذي اجترحوه لما مر أحدهم بين يدي مصلي أبدًا، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي جهيم رضي الله عنه قال ﷺ: «**لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه**»، قال أبو النضر: لا أدري أقال: أربعين يومًا، أو شهرًا، أو سنة؟. ولقد أمر النبي ﷺ الذي يصلي إلى السترة وأراد أحد المارة أن يمر بين يديه، فعليه أن يدفعه، فإن أبى فليقاتله، لأنه شيطان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفعه في نحره، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان**»[3].

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٠٠)

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة» رقم (٥٣٨).

(٣) أخرجه البخاري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لكان أن يقف مائة عام، خير له من الخطوة التي خطاها»[(١)].

الصورة الثالثة - من صور اللامبالاة «التأخر عن تكبيرة الإحرام»:

فمن الناس من لا يخرج من بيته إلا بعد أن يعلم بأن الصلاة قد قامت فيحرم نفسه الأجر والثواب الذي رتبه النبي ﷺ على تكبيرة الإحرام، وإدراكها مع الإمام، قال رسول الله ﷺ: «من صلى أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كُتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»[(٢)].

لذا كان السلف الصالح يحرصون على تكبيرة الإحرام وإدراكها مع الإمام، فهذا سعيد بن جبير - رحمه الله - إمام التابعين قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وقال: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

الصورة الرابعة - اللامبالاة بأكل الثوم والبصل أو الكراث:

ثم يأتي المسجد مع العلم بأن النبي ﷺ حذر من ذلك، ونهانا عنه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه الشجرة - يعني: الثوم - فلا يقربنَّ مسجدنا»[(٣)].

وعن جابر رضي الله عنه قال الرسول ﷺ: «من أكل بصلاً أو ثومًا، فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا أو ليقعد في بيته»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان.

(٢) رواه الترمذي، وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٤٥٢)، ومسلم برقم (٥٦٤).

(٤) رواه البخاري رقم (٥٤٥٢)، ومسلم برقم (٥٦٤).

وفي رواية: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة، فأكلنا منها، فقال: **«من أكل من هذه الشجرة المنتنة، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس»**(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب يوم الجمعة، فقال في خطبته: **«ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين ما أراهما إلا خبيثتين البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتها طبخاً»**(٢).

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - معلقًا على الأحاديث السابقة: وهذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة، تدل على كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحة منه ظاهرة تؤذي من حوله، سواء كان ذلك من أكل ثوم، أو البصل، أو الكراث، أو غيرها من الأشياء المكروه الرائحة، كالدخان حتى تذهب الرائحة، مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة وخبثه المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن نبيه ﷺ في سورة الأعراف: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف:١٥٧)، ويدل على ذلك أيضًا قوله - سبحانه وتعالى - في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة:٤)، ومن المعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعلم بذلك أنه من المحرمات على الأمة.

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: ويسن أن يتطيب كما جاءت به السنة بأي طيب سواء من الدهن أو البخور في ثيابه، وفي بدنه، وذلك من أجل اجتماع الناس في مكان واحد، لأن العادة أنه إذا كثر

---

(١)، (٢) رواه مسلم.

الجمع ضاق النفس وكثر العرق، وثارت الرائحة الكريهة، فإذا وُجد الطيب وقد سبقه التنظيف، فإن ذلك يخفف من الرائحة، بل إن رسول الله ﷺ نهى من أكل بصلاً أو ثومًا أن يقرب المسجد، وكانوا إذا رأوا إنسانًا أكل بصلاً أو ثومًا، أمروا به فأخرج من المسجد إلى البقيع، ومع الأسف أن بعض الناس يأتي إلى الجمعة وثيابه وجسمه لهما رائحة كريهة، ثم لا يستطيع أحد أن يصلي إلى جنبه، وليس هذا من عند الله، بل من نفسه، فهو الذي يجلب لنفسه الأوساخ والأدران، ولا يهتم بنفسه، وفي هذا أذية للمصلين، وأذية للملائكة، بل العلماء قالوا: إن ما كان من الله ولا صنع للآدمي فيه إذا كان يؤذي المصلين، فإنه يخرج كالبخر في الفم أو الأنف، أو من يخرج من إبطيه رائحة كريهة، فإنْ كان فيك رائحة تؤذي لا تقرب المسجد، فإن قال: هذا من الله، فيُقال: إذا ابتلاك الله به فلا تؤذ العباد، ولا تؤذ الملائكة وأنت مأجور على الصبر على هذا الشيء واحتساب الأجر من الله، ولست آثمًا إذا لم تصلِّ مع الناس لأنك إنما تركت ذلك بأمر الله، فإذا قال هذا ينقص إيماني، لأن صلاة الجماعة أفضل؟، قلنا: إنك لا تُلام على هذا النقص كما أن الحائض لا تصلي، وينقص إيمانها بذلك، ولا تُلام على النقص، لأن النقص الذي ليس بسبب الإنسان لا يُلام عليه. اهـ.

وقال الشيخ العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ وهو يتحدث عن حكم الدخان: فقال النبي ﷺ من رأفته ورحمته بأمته، أنه جاءهم بكل خير وحذرهم من كل شر، حتى وصل الأمر إلى أن ينهى المسلم أن يتعاطى الطعام الحلال الذي فيه رائحة كريهة، إذا ما كان الواجب عليه أن يحضر مجلسًا، فيشم الجالسون منهم تلك الرائحة، فنهاه عن هذا الطعام لكي لا يؤذي غيره لرائحة الطعام الحلال، وعرفتم طبعًا ما هذا الطعام الثوم والبصل، فقال في الحديث الصحيح: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة، فلا يقربن مصلانا، فإن

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»، إذن كان الرسول ﷺ يقول: أيها المسلم المصلي لا تأكل طعامًا ثومًا أو بصلاً وتحضر المسجد، كل الطعام الذي فيه الثوم أو البصل، قبل أن تحضر المسجد، أما إذا أكلت الطعام قبل حضورك المسجد، فنحن في غنى عن حضورك إلى المسجد ـ مع أن حضور المسجد فرض عليه ـ لم يقتصر ﷺ على هذا التوجيه: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا»، بل طبق ذلك عمليًا، حيث دخل ذات يوم المسجد النبوي فشم من أحدهم رائحة الثوم، فأمر بإخراجه من المسجد .. إلى أين؟، إلى البقيع .. إلى المقابر، كأنه يشير بهذا التنفيذ العملي أن المسلم الذي يحضر مساجد المسلمين، وهو يحمل في فمه رائحة كريهة يؤذي المصلين، هذا لا يليق به أن يعيش مع المصلين بل ولا مع الأحياء الذين هم خارج المسجد، بل عليه أن يعيش مع الأموات في المقابر، ترى لو كان رسول الله ﷺ في عصرنا هذا، ودخل المسجد، وشم رائحة إنسان يصلي بجانبه، أو من خلفه، ورائحته دخان كان يمكن يوصله المريخ، مش المقابر ليه؟، لأنه يضر المسلمين مش بطعام فيه منفعة، فإذا كان رائحة الطعام النافع بسبب رائحته الكريهة في المسجد أخرجه إلى البقيع، فإذا شم رائحة شارب الدخان الذي يضر نفسه وزوجته ويضر أولاده .. إلخ.

وقال الشيخ عبد الله الجبرين ـ حفظه الله ـ في تنبيهات على بعض الأخطاء التي يفعلها بعض المصلين في صلاتهم، فقال: «واستعمال ما سبب الروائح المنتنة والمستنكرة في مشام الناس كالدخان والشيشة مما هو أقبح من الكراث والثوم والبصل، الذي تتأذى منه الملائكة والمصلون، فعلى المصلي أن يأتي وهو طيب الرائحة بعيدًا عن تلك الخبائث»[1].

---

(١) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص١١٠-١١٢).

والصورة الخامسة ـ من صور اللامبالاة «التأخر عن الصف الأول»:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن من الأمور العظيمة التي حث عليها النبي ﷺ المسارعة إلى الصف الأول، وحذرنا أيضًا من التأخر، ولقد تحدث العلماء والأئمة الخطباء عن فضل الصف الأول، ولكن كثيرًا من الناس لا يبالي بتأخره عنه، بل إنه يقف في الصف المؤخر، وهو يرى أن الصفوف الأولى لم تكتمل، وفي ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ، فهيا ـ يا من لا تبالي بالصف الأول ـ لترى مدى جسامة الخسارة التي تبوء بها عند تركك الصف الأول، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»**[(١)]، وفي رواية لمسلم: **«لو تعلمون ما في الصف المقدم لكانت القرعة»**[(٢)].

فوائد الصف الأول:

يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: قال العلماء في الحض على الصف الأول: المسارعة إلى إخلاص الذمة، والسبق لدخول المسلم والقرب من الإمام واستماع قراءته، والفتح عليه، والتبليغ عنه، والسلامة من اختراق المارة بين يديه، وسلامة لباله من رؤيته من قدامه، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: **«تقدموا، ائتموا بي، وياتم بكم من بعدكم، ولا يزال قومٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله»**[(٤)]، أي: يؤخرهم عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم النافع ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم رقم (٤٣٩).
(٣) «فتح الباري» (جـ٢) ـ (ص٢٤٤).
(٤) أخرجه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه، فما كان من نقص، فليكن في الصف المؤخر**»[١].

الصورة السادسة - اللامبالاة بالتأخر عن تكبيرة الإحرام:

ومن الأمور المشاهدة التي إن دلت، فإنما تدل على الجهل بسنة النبي ﷺ، والزهد في فضل الله ورحمته - أن بعض المصلين يجلس في بيته، أو في خارج المسجد، ولا يأتي إلى الصلاة إلا بعد أن تُقام الصلاة، ولا يدرك تكبيرة الإحرام، التي رتب النبي ﷺ على حضورها الأجر العظيم، والثواب الجليل.

قال رسول الله ﷺ: «**من صلى أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**» لذا كان السلف الصالح يحرصون على أن يدركوا تكبيرة الإحرام، كما ذكرت قبل ذلك عن سعيد بن المسيب والأعمش ومن صار على نهجهم، وقال ﷺ: «**ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه**»[٢].

واسمع - يا من لا تبالي بالتأخر عن تكبيرة الإحرام - إلى ثواب الذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة في الدنيا والآخرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يقم من مصلاه أو يُحْدِث**»[٢]، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «**لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث**» قيل: «وما يحدث؟»، قال: «**يفسو أو يضرط**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي. (٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟»**، قالوا: «بلى يا رسول الله»، قال: **«إسباغ الوضوء على المكروهات، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»**[1].

الصورة السابعة - ومن الأمور التي لا يبالي بها البعض «رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة»:

وهو أمر منهي عنه متوعد صاحبه بالعقاب إن لم ينته عنه، فإذا نظرنا داخل مسجد جماعة لوجدنا جمًّا غفيرًا من المصلين لا يبالون بذلك، فهو ينظر إلى السقف تارة، وإلى الساعة تارة أخرى، وإلى المصباح تارة، فيخرج من صلاته، وما عقل منها سوى القيام والسجود والركوع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»**، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: **«لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»**[2]، وفي رواية لمسلم: **«لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء أو لا ترجع إليهم»**[3]، وفي رواية لأبي داود: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فرأى فيه أناسًا يصلون رافعي أبصارهم إلى السماء، فقال: **«لينتهين رجال يشخصون أبصارهم في الصلاة، أو لا ترجع إليهم إبصارهم»**[4].

الصورة الثامنة - مسابقة الإمام عند الركوع والسجود والقيام:

ومن بين تلك الصور التي نراها ولا يبالي بها أصحابها، رغم نهي الأئمة والخطباء عن ذلك، لورود النهي عن المعصوم ﷺ عن مسابقة الإمام في الصلاة.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، ومسلم نحوه عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) «صحيح الترغيب» (٥٥١).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٩١)، ومسلم رقم (٤٢٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام، أن يجعل رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار**»[١]، وعن البزار والطبراني الذي يخفض ويرفع قبل الإمام: «**إنما ناصيته بيد شيطان**»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالانصراف**»[٣]، وقال ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا**»[٤].

* فإن سألت عن حكم صلاة من سابق الإمام هل صلاته صحيحة أم باطلة؟

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: وظاهر الحديث يقتضي تحريم الرفع قبل الإمام، لكونه توعد عليه بالمسخ، وهو أشد العقوبات، وبذلك جزم النووي في شرح المهذب، ومع القول بالتحريم، فالجمهور على أن فاعله يأثم وتجزأ صلاته، وعن ابن عمر: «تبطل»، وبه قال أحمد في رواية، وأهل الظاهر بناء على أن النهي يقتضي الفساد، وفي (المغني) عن أحمد أنه قال في رسالته: ليس لمن سبق الإمام صلاة لهذا الحديث قال: ولو كانت ترجى له الصلاة لرجي له الثواب، ولم يُخْشَ عليه العقاب[٥].

ذكر ابن حجر عن بعض المحدثين أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجاب، ولم ير

---

(١) أخرجه مسلم (٤٢٦). (٢) أخرجه البخاري رقم (٦٨٨).
(٣) أخرجه البزار والطبراني في الكبير، بإسناد حسن.
(٤) أخرجه البخاري.
(٥) «فتح الباري» (جـ٢) - (ص٢١٥).

وجهه، فلـما طالت ملازمته له، ورأى حـرصه على الحديث كشف لـه الستر، فرأى وجهه وجه حمار، فقال له: «احذر يا بني أن تسبق الإمام»، فإنه لما مر بي استبعدت وقوعه، فسابقت الإمام، فصار وجهي كما ترى[١].

الصورة التاسعة ـ ومن تلك المظاهر عدم تسوية الصفوف:

فتـرى في بعض المساجـد بعض المصلين يصلون في صفـوف معـوجة، ولا يبالي بالنصيحة والإرشاد، لذا ظهر الخلاف بين الناس لأن الاختلاف في صفوف الصلاة سـبب من أسباب اخـتلاف القلوب بين الأمـة، فعن ابن عمـر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«أقيموا الصفوف، فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»**[٢].

قال المناوي: من وصل صفًا بوقوفه فيه، وصله الله برحمته، ورفع درجته، وقربه من منازل الأبرار ومواطن الأخـيار، ومن قطع صفًا بأن كان فيـه، فخرج منه لغيـر حاجـة، أو جاء إلى صف وترك بينه وبين من في الصف فـرجة، بلا حاجة قطعه الله، أي: أبعده الله عن ثوابه، ومزيد رحمته، إذن الجزاء من جنس العمل، فـيُسن انضمام المصلين بعـضهم لبعض، ليس بينهم فـرجة، ولا خلل، كأنهم بنيان مرصوص[٣].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أقيموا صفوفكم، فوالله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم»**[٤].

---

(١) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص١١٢-١١٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والطبراني وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٩٨).

(٣) «الجزاء من جنس العمل» (جـ١) ـ (ص٤٨٦-٤٨٧).

(٤) رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٠٢).

قال المناوي: ردد بين تسويتهم صفوفهم، ومن هو كاللازم لنقضيها وهو اختلاف القلوب، فإن تقدم الخارج عن الصف، يفوت على الداخل، وذلك يجر إلى الضغناء بينهم فتختلف قلوبهم، واختلاف القلوب يفضي إلى اختلاف الوجوه، وهذا الجزاء من جنس العمل، كخبر من قتل نفسه بحديدة عذب بها.

وقال النووي: الظاهر أن معناه يوقع بينكم العداوة واختلاف القلوب، كما يُقال: تغير وجه فلان إذا ظهر على وجهه كراهية، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في الظواهر، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن[١].

الصورة العاشرة - من مظاهر اللامبالاة «الالتفات في الصلاة»:

وتلك الصورة تهاون فيها كثير من المصلين، فهذا يعبث بلحيته، وهذا اشتغل بمعطفه، وهذا ينظر في ساعته، وذاك يعبث في أنفه .. وهلم جرا.

ولم يعلم الجميع أنه لا حظَّ للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، وإلا ما تدبر وتفكر فيها، لا في غيرها، والتفات العبد في صلاته سبب من أسباب إعراض الله عنه، والجزاء من جنس العمل، عن أبي الأحوص عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته، ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه»**[٢].

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها - وفيها: - وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت»**[٣].

---

(١) «الجزاء من جنس العمل» (جـ١) - (ص٤٨٨).
(٢) «صحيح الترغيب» رقم (٥٥٤).
(٣) رواه البخاري رقم (٧٥١).

وعن عائشة ﵂ قالت: سألت النبي ﷺ عن التلفت في الصلاة، فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(١).

فيا هذا من أقبل على الله، أقبل الله عليه، ومن أعرض أعرض عنه، والجزاء من جنس العمل، ويا من لا تبالي بالالتفات، انظر إلى إقبال الثقات من المصلين القانتين.

* أبو زرعة الرازي - رحمه الله - صلى وفي محرابه كتابة، فسُئل عن الكتابة في المحراب، فقال: قد كرهه قوم ممن مضى فقالوا له: هو ذا في محرابك كتابة، أما علمت؟، قال: سبحان الله رجل يدخل على الله ويدري ما بين يديه!!.

* الربيع - رحمه الله - قام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام، وقال: يا ربيع أين فرسك؟، قال: سرقت، قال: وأنت تنظر إليها، قال: نعم يا يسار إني كنت أناجي ربي - عَزَّ وَجَلَّ -، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًا، فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه.

الصورة الحادية عشر- اللامبالاة بـ «عدم إتمام الركوع والسجود ونقر الصلاة»:

فتلك علامة من علامات النفاق، فصلاة أحدهم أشبه بلعب الأطفال، فإلى هؤلاء الذين لم يبالوا بصلاتهم أسوق إليهم ما جاء عن النبي ﷺ عله يكون حاديًا لهم، وحافزًا لهم على إتمام الصلاة، بجميع أركانها.

عن أبي هريرة ﵁ أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فصلى، ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «وعليك السلام، ارجع فصلّ، فإنك لم تصلّ»، فصلى ثم جاء، فسلم فقال: «وعليك السلام،

---

(١) رواه الترمذي وابن خزيمة والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٥٢)، وأخرجه البخاري رقم (٧٥١).

فارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ، فصلى ثم جاء، فسلم، فقال: **«وعليك السلام، ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ»**، فقال في الثانية أو في التي تليها: «علِّمني يا رسول الله»، فقال: **«إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن جالسًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»**[(١)].

وعن أبي سعيد الأنصاري، قال رسول الله ﷺ: **«لا تجزأ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود»**[(٢)].

وقال البغوي - رحمه الله: قلت في الحديث دليل على وجوب إقامة الصلب في الركوع والسجود، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: لو ترك إقامة الصلب في الركوع والسجود، والطمأنينة فيهما وفي الاعتدال في الركوع والسجود، فصلاته فاسدة لقول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ورفاعة: **«ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ»**.

وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطمأنينة غير واجبة، وكذا الاعتدال في الركوع والقعود بين السجدتين. اهـ.

وعن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أسوء الناس سرقة الذي يسرق في صلاته»**، قالوا: «يا رسول الله، وكيف يسرق في صلاته؟»، قال: **«لا يتم ركوعها ولا سجودها»**[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٥٧)، ومسلم رقم (٣٩٧).
(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد وأبو يعلى.
(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه.

وعن حذيفة أنه رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود، فقال: ما صليت ولو مِتَّ، مِتَّ على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدًا ﷺ[1].

الصورة الثانية عشر ـ اللامبالاة بعدم إتمام الخشوع في الصلاة:

فالصلاة التي يقبلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي التي اشتملت على الخشوع، لأن الخشوع بالنسبة للصلاة بمنزلة الروح للجسد، فصلاة لا خشوع فيها، لا روح ولا خير فيها، وإن من أول الأمور التي ترفع الخشوع حتى يدخل الإنسان المسجد فلا يرى أحدًا خاشعًا، فقد أخرج الترمذي من حديث جبيرة بن نفير عن أبي الدرداء قال: لو شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا.

وعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: **«أول ما يرفع من الناس الخشوع، فذكره»**[2].

قال بعض السلف: الصلاة كجارية تُهدي إلى ملك الملوك، فما الظن بمن يُهدى إليه جارية شلاء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة، أو دميمة أو قبيحة، حتى يهدي إليه جارية ميتة بلا روح، فكيف بالصلاة، يهديها العبد ويتقرب إلى ربه تعالى، والله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها، كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه[3].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٦-٢٧)، والطبراني في «الكبير» (٧١٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٧٣).

(٣) «مدارج السالكين» (جـ١) ـ (ص٢٥٦).

فانظر - يرعاك الله - إلى أحوال المصلين، لترى تلك الحقيقة، حقيقة أن هناك كثيرًا من المصلين لا يعرفون الخشوع حتى يخشعوا ويخضعوا لله تعالى.

فإن قلت: فما هو حقيقة الخشوع؟ وما هي أنواعه؟، وما الطريق إليه حتى نخرج من تيه اللامبالاة التي أزكمت الأنوف؟ - علمني الله وإياك -

قلت: اعلم - علمني الله وإياك - أن طريق الخشوع هو طريق الأنبياء، والصالحين، يقول المولى - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، وهو طريق أهل الإيمان، يقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ١-٢)، وهو صفة أساسية من صفات أهل العلم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩).

وأما حقيقة الخشوع، فهي كما يقول عنها ابن رجب - رحمه الله -: وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وإنكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء، لأنها تابعة له، كما يقول ﷺ: **«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**[1].

فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء، وما ينشئ منها حتى الكلام، لهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

«خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي»، وفي رواية: «وما استقل به قدمي»[١]، ورأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة، فقال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».

وقال المسعودي عن أبي سنان عمن حدثه عن علي أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢)، قال: هو الخشوع في القلب، وأن تلين كنفك للمرأ المسلم، وأن لا تلتفت في صلاتك، وقال عطاء بن السائب عن رجل عن علي رضي الله عنه قال: الخشوع خشوع القلب، وألا تلتفت في صلاتك، وقال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: قال: خائفون ساكنون.

وقال ابن شوذب عن الحسن ـ رحمه الله ـ: كان الخشوع في قلوبهم فغضوا له البصر في الصلاة[٢].

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الخشوع على نوعين: خشوع نفاق، وخشوع إيمان، واسمع إلى حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع.

وقال الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

ورأى بعضهم رجل خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ مبينًا الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء،

---

(١) أخرج الرواية الأولى مسلم رقم (٧٧١)، وأخرج الثانية أحمد في «المسند» (جـ١) ـ (ص١١٩).
(٢) «الخشوع في الصلاة» (١٧ ـ ٢٠).

فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل، والحب والحياء وشهود نعمة الله، وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعًا وتكلفًا والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟، قال: أن يرى الجسد خاشعًا، والقلب غير خاشع، فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه أنوار العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار، الذي حشى به وخمدت الجوارح، وتوقر القلب، واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه، فصار مخبتًا له، والمخبت: المطمئن، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء، فكذلك القلب المخبت قد خشع، واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء، فيستقر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً له، فهذا خشوع الإيمان.

وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعًا ومراءاة، ونفسه في الباطل شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع في الظاهر، وحية الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة[1].

*** وهيا لترى أحوال الخاشعين المخبتين يا من ترفل[2] في ثوب اللامبالاة:**

١ - رسول الله محمد ﷺ: عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت يركع عن المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في

---

(١) «كتاب الروح» (ص٣١٤).

(٢) رَفَلَ فلان تبختر كبرًا، «المعجم الوسيط» (جـ١) - (ص٣٧٥).

الركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها ثم افتتح آل عمران، فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد**»، ثم قام قيامًا طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**»، فكان سجوده قريبًا من قيامه[١]، وفي رواية: لا يمر بآية تخويف أو تعظيم لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلا ذكره.

٢ ـ **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنه: وروي أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان يصلي في جوف الكعبة، وهو محاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذي يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبي قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه، ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه، فما زال رضي الله عنه عن مقامه، ولا ظهر على صورته هم ولا اهتمام، ولا قطع قراءته، ولا ركع دون ما يركع، حتى فرغ من صلاته، بل كان يصلي حين تقف الضربات أحيانًا، فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم، تصعد وتنزل في أمان وهي تظنه جذم حائط أو جذع شجرة، ولقد ركع ذات مرة، وكان رجل من أصحابه يقرأ القرآن، فما قام رضي الله عنه من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وروي أنه كان يصلي ذات يوم في بيته فسقطت حية من السقف، فطوقت على بطن ابنه هاشم، فصرخ النسوة وانزعج النسوة، واجتمعوا على قتل الحية، فقتلوها فسلم الولد، فعلوا كل ذلك وابن الزبير في صلاته، لم يلتفت ولا دري بما كان حتى فرغ من صلاته[٢].

(١) أخرجه مسلم.
(٢) «الصلاة لماذا؟» (ص٣٧-٣٩).

الطريق إلى الخشوع

هيا لنخرج من تيه اللامبالاة إلى رياض الخشوع والخضوع، هيا لنعرف كيف نصلي خاشعين منيبين لله رب العالمين . . هيا لنقف مع حجة الإسلام الغزالي وهو يأخذ بالأيدي إلى ساحة الخشوع يعلمنا كيف نرقى في سلم الخاشعين، ويعلمنا كيف نصلي الصلاة التي يرضاها الله تعالى في تدبر وخشوع.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة: فنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة، أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة، وأركانها، أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة، والانتصاب قائمًا، والنية، فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والنور يوم القضاء، ولذا قال ﷺ : «أرحنا بها يا بلال»[1]، أي: أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كانت قرة عينه فيها ﷺ .

أما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك، فإنه موضع نظر معبودك.

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والبغوي في «شرح السنة»، والدارقطني.

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك من أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي يطلع عليها ربك ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؟.

فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها، فتذل بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم، فرجع إلى مولاه ناكسًا رأسه من الحياء والخوف.

وأما استقبال القبلة: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الجهات إلى أمر الله تعالى ليس مطلوبًا منك؟، هيهات فلا مطلوب سواه، وإنما هي الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في وجهة واحدة حتى لا تبغي على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها، استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه إلى جهة البيت، إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلا بالتفرغ عمَّا سواه، فقال ﷺ: **«إذا قام العبد إلى صلاته، فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله ـ عَزَّ وَجلَّ ـ انصرف كيوم ولدته أمه».**

أما الاعتدال قائمًا: فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقًا مطأطأ متنكسًا، وليكن وضع الرأس على ارتفاعه تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرؤ عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ها هنا خطر القيام بين يدي الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في هول المطلع عند العرض للسؤال.

وأما النية: فاستشعر بها الإخلاص إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه ومحبة القرب منه، متقلدًا للمنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظم في نفسك قدر مناجاته، وانظر من تناجي وكيف تناجي؟، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل، وترتعد فرائصك من الهيبة، ويصفر وجهك من الخوف.

وأما التكبير: فإذا نطق به لسانك فينبغي ألا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه، فالله يشهد أنك لكاذب، وإن كان الكلام صدق كما شهد على المنافقين في قولهم أنه ﷺ رسول الله، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فأنت أطوع له منك في الله تعالى، فقد اتخذته إلهك، وكبرته، فيوشك أن يكون قولك «الله أكبر» كلامًا باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا**»، وليس المراد بالوجه: الوجه الظاهر، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتقدس عن أن تحدُّه الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنما وجه القلب، وهو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض، فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه، وهمه في البيت والسوق ومتبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات؟.

وإياك أن تكون أولُ مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاف، ولم ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه، فاجتهد في الحال في صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام، فليكن قولك في الحال صادقًا.

وإن قلت: حنيفًا مسلمًا، فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، فإن لم تكن كذلك، كنت كاذبًا، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإن قلت: وما أنا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي، فإن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله، وحمد الناس، وكن حذرًا مشفقًا من الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك أن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه، وإذا قلت: محياي ومماتي، فاعلم أن هذه حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه، وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت، لأمور الدنيا لم يكن ملائمًا للحال.

وإذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فاعلم أنه عدوك ومترصدًا لصرف قلبك عن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حسدًا لك على مناجاتك مع الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وسجودك له، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها، ولم يوفق لها، وأن استعاذتك بالله ـ سبحانه ـ منه بترك ما يحبه، وتبديله بما يحب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله، فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا بتبديله المكان، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرد القول، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من شر الشيطان وحصنه «لا إله إلا الله»، واعلم أن مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة، وتدبير فعل الخيرات ليمنعك من فهم ما تقرأ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك، فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصود بل المقصود معانيها.

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان، فيفهم ويسمع منه، كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أهل اليمين، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب، أو يكون معلم القلب، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب، ولا يتبعه القلب، وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فانوِ بها التبرك لابتداء القراءة لكلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وافهم أن معناها أن الأمور كلها لله ـ سبحانه وتعالى ـ، فلا جرم كان «الحمد لله» أن الشكر لله إذ النعم من الله، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله ـ سبحانه ـ بشكر لا من حيث أنه مسخر من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك، فيشبه أن تكون من الذين قال: الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: «الحمد لله رب العالمين»، فيقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: «حمدني عبدي ...»**، وهو معنى قوله: «**سمع الله لمن حمده .. الحديث**»[1].

فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله، وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور، فلا تغفل عن أمره ونهيه، ووعده ووعيده ومواعظه، وأخبار أنبيائه، وذكر مننه وإحسانه، ولكل واحد حق، فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعيد، والعزم حق الأمر، والنهي والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر منته، والاعتبار حق أخبار الأنبياء، وروي أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**﴾ (المدثر:٨)، خرَّ ميتًا.

---

(١) رواه مسلم، كذا أورده الغزالي.

وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١)، اضطرب حتى تضطرب أوصاله. وقال عبد الله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلي مقلو عليه، أي: على هيئة المقو على النار، وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده، ووعيده، فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم، وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر، والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات.

فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضًا ثم يراعي الهيبة في القراءة، فيرتل ولا يسرد، فإن ذلك أيسر للتأمل، ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتعظيم والتمجيد، كان النخعي إذا مر بمثل قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به.

ما يُراعى في الركوع والسجود:

وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله - سبحانه وتعالى - وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله - عَزَّ وَجَلَّ - من عقابه بتجديد نية، ومتبعًا سنة نبيه ﷺ، ثم استأنف له ذلاً وتواضعًا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك، وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم.

ما يُراعى في التشهد:

وأما التشهد فإذا جلست له، فاجلس متأدبًا وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الظاهرة لله، وكذلك الملك لله، وهو معنى التحيات، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم، وقل: سلام

عليك أيها النبي ورحـمة الله وبركاته، وليصدق أملك أنه يبلـغه ويرد عليك ما هو أوفى منه، ثم تسلم على نفسك وعلى جمـيع عباد الله الصالحين، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك السلام وافيًا بعـدد عباده الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانيـة، ولمحمد ﷺ نبيـه بالرسالة مجدد عـهد الله ـ سبحـانه وتعالى ـ بإعادة كلمتي الشهـادة ومستأنفًا للتحصن بهـا، ثم ادعُ في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التـواضع والخشـوع والضراعـة والابتهال، وصـدق الرجاء بالإجـابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين.

واقصد عند التـسليم السلام على الملائكة الحاضريـن، وانو ختم الصلاة به، واستشـعر شكر الله ـ سبحـانه وتعالى ـ على توفيقـه لإتمام هذه الطاعة، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه، وأنك ربما لا تعيش لمثلها، وقال ﷺ للذي أوصاه: «**صل صلاة مودع**»[١]، ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف ألا تقـبل صلاتك، وأن تكون ممقـوتًا بذنب ظاهر أو باطن، فـترد صـلاتك في وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله. كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكثًا ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة، وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مـريض، فهذا تـفصيل صـلاة الخاشعين الذين هم فـي صلاتهم خاشـعون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة، فبـالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفـرح وعلى ما يفوته أن يتحسر، وفي مـداومته ذلك ينبغي أن يجتهد، وأما صـلاة الغافلين فهي مخطرة إلا أن يتغمد الله برحمته، والرحمة واسعة والكرم فائض.[٢] اهـ.

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني عن أبي أيوب الأنصاري.

(٢) كتاب «أسرار الصلاة» (ص١٦٩-١٩٢) بتصرف واختصار.

الصورة الثالثة عشر ـ من مظاهر اللامبالاة أيضًا «التأخر يوم الجمعة»:

حتى يصعـد الخطيب المنبر، بل إن بعض هؤلاء يفضل الجلسـة في الطرقات وفي البيوت على الجلسة في المسجـد، فلا يذهب إلا في آخر الخطبة الثانية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهؤلاء فوتوا على أنفسهم الخير العظيم والثواب الجزيل.

فعن أبي هريـرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح، فكأنما قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»(١).

وعن عبد الله بن عـمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من غسَّل واغتسل، ودنا وابتكر، واقترب واستمع، كان له بكل خطوة يخطوها قيام السنة وصيامها**»(٢).

وعن أوس بن أوس ﷺ قال: سمـعت رسول الله ﷺ يقول: «**من غسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**»(٣).

الصورة الرابعة عشر ـ من صور اللامبالاة «تخطي الرقاب يوم الجمعة»:

فالبعض لا يبالي بتخـطي جموع المصلين، وإن لم يكن هناك مكان ليجلس فيه، وإن نُبه وحُذر تغـافل ولم يبال، مع أن النهي في ذلك واضح وصريح فعن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسنه النسائي وابن ماجه.

جابر رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب، فجعل يتخطى الناس، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس فقد آذيت وآنيت»[(١)].

الصورة الخامسة عشر ـ ومن ذلك أيضًا «العبث بالسبحة والمفاتيح أثناء الخطبة»:

رغم التحذير من ذلك وإخباره بأن العبث بالسبحة ولو كان بالتسبيح أثناء الخطبة يفوت على الإنسان ثواب وأجر الخطبة، مع ذلك تجد البعض لا يبالي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مسَّ الحصى فقد لغا»[(٢)].

الصورة السادسة عشر ـ المصافحة أثناء الخطبة:

فمن الأمور التي لا يبالي بها البعض: المصافحة والكلام أثناء الخطبة، وكأنه لم ير ذلك الشخص منذ سنين عديدة، فيفسد عليه وعلى نفسه جمعته، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت»**[(٣)].

واسمع ـ يا من لا تبالي بالكلام والمصافحة وتخطي الرقاب ـ إلى ذلك العقاب، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها، ولبس من صالح ثيابه، ثم لم يتخطَّ رقاب الناس، ولم يلغُ عند الموعظة، كان كفارة لما بينهما، ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظُهْرًا»**[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٢) رواه مسلم (٨٥٧).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٨٥٧).

(٤) رواه أبو داود وابن حزيمة، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٧٢٠).

الصورة السابعة عشر - اللامبالاة بترك صلاة الجمعة والانشغال عنها:

(بالنوم أو العمل أو تهاونًا منهم بشأن يوم الجمعة)

فبعض الموظفين يقضي ليلة الجمعة بالسهر حتى الفجر، ثم النوم ولا يستيقظ إلا بعد فوات الجمعة، والبعض الآخر يذهب إلى الشواطئ والحدائق ولا يبالي بحرمة ذلك اليوم، ولا بشأن الصلاة، وبعضهم يستغله في إنجاز الأعمال وتعمد ترك الجمعة من أجل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وليعلم هؤلاء أن من يتهاون في صلاة الجمعة قد ارتكب إثمًا عظيمًا وجرمًا كبيرًا، وأنه عرض نفسه لغضب الله وسخطه، فعن عبد الله بن عمر وأبي هريرة ﭬ: أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»[1].

وليعلم من لا يبالي بترك الجمعة أنه قد عرض قلبه للطبع وليكون مزرعة للنفاق، عن أبي الجعد الضمري ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه**»[2]، وفي رواية: «**من ترك الجمعة ثلاثًا بغير عذر، فهو منافق**»[3]، وعن ابن عباس ﭬ قال: «**من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره**»[4].

الصورة الثامنة عشر - ومن صور اللامبالاة «ترك أذكار ما بعد الصلاة»:

رغم عظيم ثوابها، وترغيب النبي ﷺ في شأنها وترتيبه ﷺ الأجر والمغفرة عليها، على الرغم من كل ذلك ترى كثيرًا من المصلين ما إن يسلم الإمام حتى يقوموا منصرفين خارج المسجد للصلاة البعدية، مع أن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وأن من علامات قبول الطاعة الطاعة بعدها.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٦٥).
(٢) رواه ابن حبان وابن خزيمة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٧٢٦).
(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن.
(٤) صححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٧٣٢).

الباب الخامس

اللامبالاة بالموعظة

قال تعالى: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (الشعراء: ١٣٥-١٣٨).



الباب الخامس

اللامبالاة بالموعظة

ومن صــور اللامبــالاة تلك الصــورة التي هي داء الأمم من قــبلنا، ألا وهي اللامــبــالاة بالموعظة، والإعــراض عنهــا، بل أصــبح من يــذكر الــناس ويعظهم ويخوفهم من عذاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وعقابه وسخطه مصدر سخرية، فهذا يسخر بمن يتكلم عن الــقبــر وعــذابه، وهذا يســخــر بمن يخــوف الناس من أثر الذنوب والمعاصي، بل إن بــعضهم صــار قلبه أقســى من الحجر يُقــرأ عليه القــرآن بوعده ووعيده وأمره ونهيه، فما يزيده ذلك إلا طغــيانًا كبيرًا، وإصرارًا على ما هو عليه من الذنوب والمعاصي، فــهؤلاء صورهم الباري ـ جَلَّ جــلاله ـ بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤).

أضحى حال كثير منهم كما قيل في المثل: «أذن من طين وأخرى من عجين»، فهــذا يوعظ لترك الربا، ويخــوف ويذكر فــما يزيده ذلك إلا طغيــانًا كبــيرًا وهذا يشرب الدخــان، فإذا وعظته انبرى قــائلاً: «إن كانت حلال شــربناها، وإن كانت حرام حــرقناها»، وهذه مــتبرجــة تذكر وتوعظ، فــتدفع إلى من يــذكرها هاتفــها المحمول، وتقول بكل غرور: «احجــز لي مقعدًا في النار»، وآخر يخوف من ترك الصلاة، فيقول: «ساعة الحساب تفرج»، وغــيرهم كثير وأصبح حالهم كحال قوم هود عليــه السلام، لما دعاهم إلى الإيمان بــالله سبحــانه وذكرهم بآلاء الله ونعــمه عليهم، ثم أخبــرهم أنه لا يرجو منهم مالاً ولا أجرًا، وإنما هو مــشفق عليهم من سخط الله عليهــم، ومن عذابه العظيم، فما كان رد هؤلاء إلا أن قــالوا في تبجح ولا مبــالاة: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ

(١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٥-١٣٦)، فلم ينفع فيهم الوعد ولا الوعيد، ولا الترغيب ولا الترهيب، وقالوا في صلف وغرور: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له بعدما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم، وبين لهم الحق ووضحه: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾، أي: لا نرجع عما نحن فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٥٣)، وهكذا الأمر، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ٩٦)، الآية، وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾، قرأ بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خَلْقُ الأَوَّلِينَ﴾، بفتح الخاء، وتسكين اللام، قال ابن مسعود والعوفي عن عبد الله بن عباس وعلقمة ومجاهد: يعنون ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين، كما قال المشركون من قريش: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (النحل: ٢٤)، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (النحل: ٢٤)، وقال آخرون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾، بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر، هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا ميعاد، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1].

فماذا كان جزاء هذا الصلف وذاك الغرور: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ١٣٩-١٤٠)، وانظر إلى عاقبة أمرهم كيف كانت: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦-٨).

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٣) ـ (ص٣٤٢).

وهكذا تكون نهاية أهل اللامبالاة بالموعظة أن يدمرهم الله تعالى، فما تعاني منه الأمة من ضعف وهوان، وذل وصغار، إنما هو نتيجة حتمية لبعدهم عن المواعظ التي قصها الله عليهم في كتابه، فالله قص علينا قصة قارون الذي تكبر وتجبر وظن بغروره أنه صاحب الأمر والنهي، ولم يلتفت لموعظة الواعظين له، وزجرهم إياه عن التمادي في كبره، ولكنه أصم وعمي، فخسف الله به وبداره الأرض، وما زالت تلك النعرة القارونية تُعمي أصحاب الأموال في هذه الأيام، ولم يأخذوا العبرة والعظة من أسلافهم، وكذا أرباب المعاصي بأنواعها، وما علم هؤلاء أن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وإلى هؤلاء الذين لم يبالوا بالموعظة بيان معنى الموعظة، لعل ذلك يوقظ الغافل والمتغافل، وينبه الغافل الوسنان، ويأخذ بأيدي الحيارى الذين ضلوا الطريق وإلى هؤلاء ومن على شاكلتهم هذا البيان من كتاب الرحمن والله المستعان، يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والعظة يراد بها أمران، الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرهبة، فالمنيب شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، والمعارض المنكر شديد الحاجة إلى المجادلة.

* والعظة نوعان: عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود:

فالعظة بالمسموع .. الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على لسان الرسل، وما أوحي إليهم، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا.

والعظة بالمشهود .. الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر وأحكام القدر ومجاريه، وما يشاهد من آيات الله الدالة على صدق الرسل[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (جـ١) ـ (ص٤٧٨-٤٧٩).

القسم الأول ـ الموعظة بالمسموع:

وهي الموعظة بالقرآن، الذي أنزله الله تعالى على نبيه، وبيَّن فيه سبحانه أنه موعظة للقلوب وشفاء لما في الصدور، قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (يونس:٥٧)، وهيا لترى أثره على القلوب والجلود، يقول سبحانه: ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ (الزمر:٢٢).

يا من لا تبالي بالموعظة، أين أثر القرآن على قلبك وجلدك؟، بل أين أثره على سمعك وبصرك؟، فهل أنت من أولياء الرحمن، أم صرت من جنود الشيطان؟.

قال قتادة: هذا نعت الله لأوليائه نعتهم بأنهم تقشعر منه جلودهم، وتجل منه قلوبهم، وتبكي منه أعينهم، ثم تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، فأهل الإيمان الصادق وأهل العقيدة الثابتة الراسخة، إذا تليت عليهم آيات الله اقشعرت جلودهم، وانقبضت قلوبهم، وارتعدت فرائصهم، فسكن الخوف والوجل قلوبهم، وإذا تليت عليهم آيات الرحمة، وآيات المغفرة، انبسطت جلودهم، وانشرحت صدورهم، واطمأنت قلوبهم، وهيا لندخل على أولياء الرحمن لنرى أثر الموعظة من القرآن، وكيف أن الموعظة وقعت من قلوبهم بمكان؟:

١ ـ *رسول الله محمد ﷺ:* أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرأ علي»**، فقلت: **«اقرأ عليك وعليك أنزل؟»**، فقال: **«إني أحب أن أسمعه من غيري»**، قال: فقرأت سورة النساء حتى بلغت: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (النساء:٤١)، قال: **«حسبك»**، فالتفتُّ فإذا عيناه تذرفان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: «اخبرينا باعجب ما رايته من رسول الله ﷺ»، فبكتْ وقالت: «كل امره كان عجبًا، اتاني في ليلة حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني أتعبد لربي - عزَّ وَجَلَّ -». قلت: والله إني لأحب قربك، وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة، فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى، حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى، حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه، فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح»، قالت: فقال: «ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟»، فقال: «ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي، وقد أنزل الله عليَّ آيات في هذه الليلة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠)»، ثم قال: «ويل لمن يقرأها ولم يتفكر فيها»[١].

- قيل للأوزاعي: ما غاية التفكر فيهن؟، قال: أن يقرأهن وهو يعقلهن.

فهذا أثر القرآن على سيد ولد عدنان، فأين أثره عليك أيها الإنسان؟، أين أثر الدموع؟، بل أين علامات الخشوع، أم دبت إليك آثار اللامبالاة، فلم يعد يحرك فيك الوعد ولا الوعيد؟.

* وها هي ثلة مباركة لعلك تتشبه بهم في خوفهم من ربهم:

٢ - *عمر بن الخطاب* رضي الله عنه: سمع رضي الله عنه رجل يتهجد في الليل، ويقرأ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور: ٧-٨)، قال عمر: قسم «ورب الكعبة حق»، ثم رجع إلى منزله فمرض شهر يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه.

٣ - *عبد الله بن عمر* رضي الله عنهما: عن سمير الرياحي، عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماءًا مبردًا، فبكى، فاشتد بكاؤه، فقيل له: «ما يبكيك؟»، فقال: «آية في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ: ٥٤)، فعرفت أن أهل

(١) رواه ابن أبي حاتم، وابن حيان في صحيحه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وأخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس.

النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء، وقد قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠)».

٤ ـ *تميم الداري* ﷺ: عن مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلى الليلة حتى أصبح، أو قرب أن يصبح يقرأ آية ويرددها ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الجاثية: ٢١).

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء، فمر بهذه الآية: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٤)، فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح[١].

٥ ـ *محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ*: بينما هو ذات ليلة قائمًا يصلي، إذ استبكى فكثر بكاؤه، حتى فزع أهله، فسألوه: «ما الذي أبكاك؟»، فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، فقال: «يا أخي ما الذي أبكاك؟، قد رعت أهلك»، فقال: «إني مرت بي آية من كتاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»، قال: «ما هي؟»، قال: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٤٧)، قال: فبكى أبو حازم معه، واشتد بكاؤهم، قال: فقال لهم بعض أهله لأبي حازم: «جئنا بك لتفرج عنه فزدته»، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما[٢].

٦ ـ *علي بن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ*: مات ﷺ من سماع آية وهي: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٧)، لله درك من سيد، بلغت من رقة القلب حتى تموت من جراء سماع أو قراءة آية، وبالله ما أحلاه من نعت يطلقه عليك الفضيل «قتيل القرآن».

---

(١) «صفة الصفوة» (جـ١) ـ (ص٢٤٣). (٢) «صفة الصفوة» (جـ١) ـ (ص٣١٩).

وهكذا بلغت الموعظة من القلوب مبلغها، حتى بدى ذلك على جلودهم وقلوبهم، وعيونهم، فما لقلبك تحجر حتى صار أقسى من الحجر؟.

فما لك ليس ينفع وعظ ... كأنك قد خلقت من الجماد
اترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

فما الذي غرك بربك الكريم؟، وما الذي جرئك على مولاك العظيم؟، أنسيت نفسك؟ أغفلت ضعفك؟، أما تذكر ربك؟.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار: ٦-٨).

عطاياه إليك نازلة .. وخطاياك إليه صاعدة!

يتحبب إليك بنعمه .. وتتبغض إليه بمعاصيك!

يمهلك فتغفل .. يحلم عليك فتجهل .. يلطف بك فتستكبر!

يناديك إلى التوبة فتتمادى .. يحذرك من العقوبة فتتمرد!

يدعوك إلى رحمته فتعرض!

ألم تسمع إلى عتاب ربك إليك، وهو يعتب عليك عدم الاعتبار والاتعاظ، أدبَّ إليك داء الأمم السالفة، أم أنه يعظ غيرك؟.

يقول علام الغيوب: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ١٦).

أما آن لك يا من وعظت بعدم ترك الصلاة أن تصلي؟!.

آما آن لك يا من وعظت بترك الربا ألا تربو؟!.

أما آن لك يا من وعظت بالحجاب والاحتجاب ألا تتبرجي؟!.

أما آن لك يا من فرطت في جنب الله أن تسارع إلى رضوانه؟!.

أما آن لك يا من وُعظت بترك الدخان أن تسارع إلى تركه؟!.

أما آن .. أما آن .. أما آن؟!.

ذكرت القيامة رأي العين، فشاهدت أمورًا تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

وما زلت سادرًا[1] في غيك، رأيت الشمس كورت، والنجوم انكدرت، والجبال سيرت، والعشار عُطلت، والأرض دكت، وما حرك ذلك فيك ساكنًا.

وعظت بالجنة ونعيمها، وما أعد الله لأهلها من قصور من ذهب، بانيها الرحمن، وخازنها رضوان، المسك طينتها، والزعفران حشيش نابت فيها، الوجوه ناضرة، وإلى الرحمن ناظرة، وعظمت بكل هذا، وما شمرت له عن ساعد الجد، فيا عجبًا للجنة، كيف ينام طالبها . . فالباب مفتوح، ولكن من يلج؟!، والحبل ممدود ولكن من يتشبث، والخير مبذول ولكن من يتعرض؟.

ثم وعظت بالنار، وما أعد فيها من أغلال، فحرها شديد، وقعرها بعيد، وسلاسلها من حديد، وطعامهم الزقوم، وشرابهم الصديد، فيا عجبًا لك يا ابن آدم، كيف لا تهرب؟، ويا عجبًا لك كيف تنام؟، ويا عجبًا لك كيف تعصي وتلهو؟.

ثم ذكرك ربك بآثار الأمم، وما أصابهم من عذاب، وما حل بهم من نكال، فقال: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ (إبراهيم: ٥)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (القمر: ٤-٥)، ثم قال في آخرها: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ (القمر: ٥١-٥٣).

أما قرأت في ثناياها ما حل بقوم نوح؟، وما عاد على قوم عاد؟، وكيف كانت عاقبة ثمود؟، وما نزل بقوم لوط؟، وما حاق بقوم فرعون؟، أما تخاف من العقاب؟، أما قرأت قول الديان: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ١٤).

---

(١) سدر فلان: أي: ذهب فلم يثنه شيء، «المعجم الوسيط» (جـ١) - (ص٤٣٩).

أم حل عليك النكال، فأعمى الله بصرك وأصم سمعك، وطبع على قلبك، يا ذا القلب القاسي، والعقل الناسي، أين المفر إذا نشرك وحشرك؟، أين المفر إذا استدعاك للحساب؟، فأين يكون المستقر؟، أفي جنة عالية، قطوفها دانية . . فنهنيك؟، أم في نار حامية . . فنعزيك؟.

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار الأبرار؟، أم في دار سكانها الكفار والفجار والأشرار؟، أفي دار الخيبة والخسارة والبوار؟.

غداً توفى الأنفس ما كسبت — ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم — وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

يقول ابن الجوزي: الواجب على العاقل أن يحذر من مغبة المعاصي، فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت، وربما جاءت مستعجلة فليبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفئ تلك النار، إلا ما كانت من العين لعل خصم الجزاء يرضى قبل أن يبت الحاكم في حكمه[1]. اهـ.

القسم الثاني - الموعظة بالمشهود:

إليك يا من لا تبالي بالموعظة حالك: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ إليك . . لعلك ترجع، ولعلك تخضع، ولعلك تتوب وترجع إلى علام الغيوب، إليك الموعظة بالمشهود بما تراه عيناك بما تشاهده من أحوال الناس:

يقول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: ألا ترون أنكم تُجهزن كل يوم غاديًا، أو رائحًا إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب، وخلف الأحباب وقطع الأسباب.

---

(١) «صيد الخاطر» (٣٣٩).



ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا، حتى يفارقها، ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلق الباقي منكم لا يبقون، أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميت معزى وآخر يعزي، وعائد يعود وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي يمضي الباقي، ألا تذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات.

الموعظة بالموت ومشاهدة المحتضرين

الموت هادم اللذات، ومفرق الجماعات، ومكدر الشهوات، مسكت النجي، مفرق الندى، معفي الآثار، مخرب الأديار، زائر غير محبوب، وواتر غير مطلوب، عظمت سطوته، وتتابعت عدوته، وقلت عنا نبوته.

أيها السادرون المخمورون الغافلون، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد، وأعراض الحياة، وأنتم مفارقون، يا من ضلوا في متاهة الأمل والغرور، تنبهوا أفيقوا واذكروا الموت.

يقهر الموت المستعلون بالعقيدة، ويموت المستذلون للعبيد، يموت ذووا الاهتمامات الكبيرة، والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص، الكل يموت.

فيا من لا تبالي بالموعظة، على أية حال تموت، وما أبقى الموت أميرًا ولا وزيرًا، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي وتقي، فالموت أكبر واعظ، ومن لم يتعظ بالموت ولا بالقرآن، فلو تناطحت الجبال بين يديه ما اتعظ، يا هذا رأيت الموتى على فراش الموت، وعاينت سكراته وغصصه وما اتعظت، خذ العظة والعبرة، قبل أن تكون عبرة وعظة.

- قال ابن مسعود ﷺ: **«السعيد من وعظ بغيره»**.

وهيا لترى أثر الموعظة بالمشهود على سيد الخلق ﷺ:

- عن البراء بن عازب ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بصر بجماعة، فقال: **«علام اجتمع هؤلاء؟»**، قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدى بين يدي أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، فقال: **«أي إخواني، لمثل هذا اليوم فأعدوا»**[١].

واسمع إلى أثرها في الصالحين، وكيف أن قلوبهم تلين:

- روى أبي نعيم الحافظ بإسناد له، أن عمر بن عبد العزيز شيع مرة جنازة من أهله، ثم أقبل على أصحابه ووعظهم، وذكر الدنيا، فذمها، وذم أهلها، وتنعمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، وكان من كلامه أنه قال: **«إذا مررت بهم فنادهم، إن كنت مناديًا، وادعهم إن كنت لابد داعيًا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيهم ما بقي من غناه؟، وسل فقيرهم ما بقي من فقره؟ وسلهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان تحت الأكفان؟، وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه، ومحيت المحاسن، وكسرت الفقار، وبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم وكنوزهم؟، والله ما زودوهم فراشًا ولا وضعوا لهم هناك متكئًا، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا، أليسوا في منازل الخلوات؟، أليس الليل والنهار عنهم سواء؟ في مد لهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة؟، وكم ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية؟، وأجسادهم من أعناقها بائنة،**

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٥١).

وأوصالهم ممزقة؟، وقد سالت الحدقة على الوجنات وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا إلا يسيرا، حتى حادت العظام رميمًا، فقد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت القربات ديارهم، وتراهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، والغض الناظر فيه، المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غدا، ما الذي غرك من الدنيا؟، هل تعلم أنك تبقى لها وتبقى لك، أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟، وأين ثمرتك الينعة، أما والله قد نزل به الأمر، فما يدفع عن نفسه وجلاً، وهو يرشح عرقًا، ويتململ عطشًا، يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء القدر والقضاء هيهات هيهات، يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، ويا مكفن الميت وحامله، ويا مخليه في القبر وراجعًا عنه، ليت شعري كيف على خشونة الثرى، ليت شعري بأي خديك بدأ البلى، يا مجاور الهلكات، صرت في محلة الأموات، ليت شعري ما الذي يلقاني به الملك عند خروجي من الدنيا، وما يأتيني به من رسالة ربي»، ثم انصرف، فما عاش بعد ذلك إلا جمعة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وانظر إلى أثر الموعظة بالمشهود أيضًا في مشهد نراه ونألفه، عندما نشيع جنازة، ترى الناس يهرولون من الشمس المحرقة، ومن الغبار، وهم مع ذلك الهروب ما زالوا على غيهم سادرين، وبغفلتهم راضين، ولكن عمر بن عبد العزيز لما شاهد هذا المشهد أخذ منه العظة والعبرة.

رُوي أنه كان في جنازة في مقبرة، فرأى قومًا يهربون من الشمس إلى الظل، فأنشد يقول بعد الصلاة على رسول الله ﷺ:

من كان حين تصيب الشمس جبهته	أو الغبار يخاف لاشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته	فسوف يسكن يومًا راغمًا جدثًا
في ظل مكفرة غبراء مظلمة	يطيل تحت الثرى في غمه اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به	يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثًا

- وعن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر، فلما نظر إليها بكى، ثم أقبل على ميمون، فقال: «يا أبا أيوب هذه قبور آبائي، بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً، ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق، فقال: انطلق بنا، فوالله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

وعن مطرف الهزلي، قال: كانت عجوز متعبدة في عبد القيس فعوتبت في كثرة إتيانها القبور، فقالت: **«إن القلب القاسي إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور، فكأني انظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني انظر إلى تلك الوجوه المعفرة، وإلى تلك الأجسام البالية المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر؟!»**.

وقال صدقة أبو محمد الزاهد: خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعدًا ناحية وهي تدفن، فجئنا قريبًا منه فتكلم، فقال: **«من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب»**، واعلم أي أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك، فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون مما عليه أهل القبور ندموا، أهل الدنيا عليه يقتتلون، وفيه ينافسون، وعليه عند القضاء يختصمون.

واعلم - علمني الله وإياك - أن من الموعظة بالمشهود ما بثه الله في هذا الكون من آيات وعبر، ترغيب العبد وترهبه، تحدوه وتسوقه، فكم يراه الغافل، ولكن لا يتحرك قلبه، ولا يخشع بدنه، وما جعلها إلا آية دالة على قوته وقدرته،

ورحمته وغضبه، ومن هـذه الآيات المشهودة التي جعلها الله تذكرة لذوي القلوب والألباب: النار، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٧١-٧٣).

قال مجـاهد وغيره، يعني: أن نار الدنيا تذكر بـنار الآخرة، فإذا رأى تلك النار، أعني: نار الدنيا، تذكر نار الآخرة، وأن نار الدنيا جزء من سبعين جزء من نار جهنم.

ـ عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قـال: «ناركم هذه التي يوقـد بنوا آدم، جزء من سبعين جزءً من نار جهنَّم»، قالوا: «والله إن كانت لكافية»، قال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءً كلهن مثل حرها»[1]، وخرجه الإمام أحمد، وزاد فيه: «ضربت بالبحر مرتين، ولو ذلك ما جعل الله فيها منفعة».

* وهيا لترى أحـوال السلف عند مشاهدة نار الدنيا، وكيف كـان موعظة ما أبلغها:

ـ قال أبو حيـان التيمي: «سمعت منذ ثلاثين سنة او أكثر من ثلاثين، ان عبد الله بن مسعود مرَّ على الذين ينفخون على الكير فسقط»[2].

ـ وأخرج ابن أبي الدنيا من رواية سـعد بن الأخرم، قال: «كنت امشي مع ابن مسعود، فمرَّ بالحدادين، وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه ويبكي».

ـ وعن عطاء الخرسـاني قال: «كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار، فيصرخ ثم يسقط».

ـ وقال الأعمش: «أخبرني من رأى الربيع بن خيثم مـرَّ بالحدادين، فنظر إلى الكير، وما فيه فخرَّ».

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. (٢) أخرجه الإمام أحمد.

-وعن العلاء بن محمد قال: دخلت على عطاء السلمي، فرأيته مغشيًا عليه، فقلت لامرأته: «ما شأنه؟»، قالت: «سجرت جارة لنا التنور، فلما نظر إليه غُشي عليه».

-وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح بالليل، فيضع أصبعه فيه، ثم يقول: «حس حس»، ثم يقول: «**يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟**».

-وقال البختري بن حارثة، دخلت على عابد، فإذا بين يديه نار قد أججها وهو يُعاتب نفسه، ولم يزل يعاتبها حتى مات.

-وكان كثيرٌ من الصالحين يذكر النار، وأنواع عذابها، برؤية ما يشبهه بها في الدنيا، أو يذكره بها كرؤية البحر وأمواجه، والرؤوس المشوية، وبكاء الأطفال، وفي الحر والبرد، وعند الطعام والشراب، وغير ذلك، بل إن الواحد منهم إذا أصابه البرد، تذكر زمهرير جهنم، ويقف متأملاً باكيًا خائفًا من عذاب الله.

ورُوي عن زبيد اليامي أنه قام ليلة للتهجد فعمد إلى مطهرة قد كان يتوضأ فيها، فغسل يده، ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء الذي فيها باردًا بردًا شديدًا، قد كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يخرج يده من المطهرة حتى أصبح، فجاءته الجارية وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك يا سيدي لم تصلِّ الليلة كما كنت تصلي؟، قال: «**ويحك إني أدخلت يدي في هذه المطهرة، فاشتد عليَّ برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت بشدة برده، حتى وقفت عليَّ، انظري لا تخبري بهذا أحدًا ما دمت حيًا**»، فما علم بذلك أحد حتى مات - رحمه الله -[1].

---

(١) «التخويف من النار» (١٠١).

واعلم - علمني الله وإياك - أن من الموعظة بالمشهود حلول فصل الصيف بما فيه من حر وعرق وحمى، فكلها تعظ العبد وتذكره بآخرته، وهيا لنقف مع ابن رجب - رحمه الله -، يقول في ذكر فصل الصيف: أخرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا ربي أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جنهم»**

لاشك أن الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيهما بأعمالهم مع البقاء في الدارين من غير موت، وخلق دارًا معجلة للأعمال وجعل فيها موتًا وحياة، وابتلى عباده فيها بما أمرهم به، ونهاهم عنه، وكلفهم فيها الإيمان بالغيب، ومنه: الإيمان بالجزاء والدارين المخلوقتين له، وأنزل بذلك الكتب، وأرسل به الرسل، وأقام الأدلة الواضحة على الغيب الذي أمر بالإيمان به، وأقام علامات وأمارات تدل على وجود داري الجزاء، فإن إحدى الدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض، لا يشوبه ألم، والأخرى دار عذاب محض، لا يشوبه راحة، وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والآلام، فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة، وما فيها من الألم يذكر بألم النار، وجعل الله تعالى في هذه الدار أشياء تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية، فمنها: ما يذكر بالجنة من زمان ومكان، أما الأماكن فخلق الله تعالى بعض البلدان كالشام وغيرها، فيها من المطاعم والمشارب والملابس، وغير ذلك من نعيم الدنيا، ما يذكر بنعيم الجنة، وأما الأزمان فكزمن الربيع، فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها، وكأوقات السحر، فإن بردها يذكر ببرد الجنة.

وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني: **«إن الجنة تفتح في كل ليلة في السحر، فينظر الله إليها، فيقول لها: ازدادي طيبًا لأهلك، فذلك برد السحر الذي يجده**

الناس»، وروى سعيد الجريري عن سعيد بن أبي الحسن، أن داود عليه السلام قال: «**يا جبريل، أي الليل أفضل؟**»، قال: «**ما أدري غير أن العرش يهتز إذا كان من السحر، ألا ترى أنه يفوح ريح كل الشجر؟!**».

ومنها: ما يذكر بالنار، فإن الله تعالى جعل في الدنيا أشياء كثيرة، تذكر بالنار المعدة لمن عصاه، وبما فيها من الآلام والعقوبات من أماكن وأزمان وأجسام، وغير ذلك، أما الأماكن فكثير من البلدان مفرطة الحر أو البرد، فبردها يذكر بزمهرير جهنم، وحرها يذكر بحر جهنم، وسمومها وبعض البقاع يذكر بالنار كالحمام، قال أبو هريرة: نعم البيت الحمام، يدخله المؤمن فيحدث ذلك له. ودخل ابن وهب الحمام، فسمع تاليًا يتلو: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر: ٤٧)، فغشي عليه، وتزوج صلة بن أشيم، فدخل الحمام، ثم دخل على زوجته تلك الليلة، فقام يصلي حتى أصبح، وقال: «**دخلت بالأمس بيتًا اذكرني النار، ودخلت الليلة بيتًا ذكرت به الجنة، فلم يزل فكري فيهما حتى أصبحت**».

وكان بعض السلف إذا أصابه كرب الحمام، يقول: «**يا بر. يا رحيم مُنَّ علينا وقنا السموم**»، صَبَّ بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام، فوجده شديد الحر، فبكى، وقال: «**ذكرت قوله تعالى**: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩)».

كل ما في الدنيا يدل على صانعه، ويذكر به ويدل على صفاته، فما فيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله وإحسانه وجوده ولطفه، وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة بأسه وبطشه وقهره وانتقامه، واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار، وغير ذلك يدل على انقضائها وزوالها، قال الحسن: كانوا - يعني: الصحابة - يقولون: «**الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقًا دائمًا لا يتصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق رب لحادثة، وإن الله قد حادث بما ترون من الآيات**».

وأما الزمان .. فشدة الحر والبرد يذكر بما في جهنم من الحر والزمهرير، وقد دل هذا الحديث الصحيح على أن ذلك من تنفس النار في ذلك الوقت، قال الحسن: كل برد أهلك شيئًا فهو من نفس جهنم، وكل حر أهلك شيئًا فهو من نفس جهنم.

وفي الحديث أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**إذا اشتد الحر، فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[١].

وفي حديث مرفوع أخرجه عثمان الدارمي وغيره: «**إذا كان يوم شديد الحر، فقال العبد: لا إله إلا الله، ما أشدَّ حر هذا اليوم، اللهم أجرني من حر جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي منك، وقد أجرته؛ وإذا كان يوماً شديد البرد، فقال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي من زمهريرك، وإني أشهدك أني قد أجرته**»، قالوا: «**وما زمهرير جهنم؟**»، قال: «**بيت يلقى فيه الكافر، فيتميز من شدة برده**».

أبواب النار مغلقة وتفتح أحيانًا، فتفتح أبوابها كلها عند الظهيرة، فذلك يشتد الحر حينئذٍ فيكون في ذلك تذكرة بنار جهنم، وأما الأفعال المشاهدة في الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة[٢].

فيا من لا تبالي بالموعظة، وتهرب من الحر إلى المكيفات والمبردات هذا نفس جهنم، فما بالك بنارها التي أوقد الله عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي الآن سوداء مظلمة، لا يضيء شررها ولا يطفئ لهيبها، يا ابن آدم ما أضعفك، فلماذا التجبر والتكبر، غمسة في النار تنسيك كل نعيم في الدنيا، فتقول: «ما مر بي نعيم قط»!

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٣٦، ٥٣٧)، ومسلم، والبغوي رقم (٣٦٢).

(٢) «لطائف المعارف» (ص٥٢٣-٥٢٦).

وأخيرًا ـ أخي المسلم .. أختي المسلمة ـ أسوق إليكم دواءً نافعًا لتلك القلوب التي تحجرت ساقه إليكم الإمام القرطبي في كتابه التذكرة، يقول ـ رحمه الله ـ: «**فصل**».

قال العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها ـ الإقلاع عما هي عليه:

بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكر والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني ـ ذكر الموت:

فيكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتِّم البنين والبنات، كما تقدم في الباب قبل. يروى أن امرأة اشتكت إلى عائشة ﭬ قساوة قلبها، فقالت لها: «**أكثري من ذكر الموت يرق قلبك**»، ففعلت ذلك، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة ﭬ. قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب فيها.

الثالث ـ مشاهدة المحتضرين:

فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد على القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

ـ يروى أنَّ الحسن البصري: دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: «**يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه**».

فهذه ثلاثة أمـور ينبغي لمن قسا قلـبه، ولزمه ذنبه أن يسـتعين بها على دواء دائه، ويسـتصرخ بها على فبن الشـيطان وإغوائه، فإن انتـفع فذاك، وإن عظم عليه ران القلب، واسـتحكمت فيـه دواعي الذنب، فزيارة قـبور الموتى تبلغ في دفع ذلك مالاً يبلغـه الأول والثاني والثـالث، ولذلك قال ﷺ : **«زوروا القبـور فإنها تذكر الموت والآخرة، وتزهد في الدنيا»**.

فالأول.. سماع بالآذان، والثـاني إخبار للقلب بما إليه المصير، وقـائم له مقام التخـويف والتحذير في مـشاهدة من احتـضر، وزيارة قبـر من مات من المسلمين معاينة، فلذلك كان أبلغ من الأول والثاني، قال ﷺ : **«ليس الخبر كالمعاينة»**[1].

إلا أن الاعتبار بحـال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقـات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات، وأما زيارة القبور، فوجدوها أسرع، والانتـفاع بهـا أليق وأجـدر، فينبـغي لمن عزم عـلى الزيارة أن يتأدب بآدابهـا، ويحضر قلبه في إتيانهـا، ولا يكون حظهه منها الطواف حظه منها الطواف على الأجداث فـقط، فإن هذه حالـة تشاركه فـيها بهـيمة ونعـوذ بالله من ذلك، بل يقصد بالزيارة وجه الله تعالى، وإصـلاح فساد قلبه، أو نفع الميت مما يتلوه عنده من القرآن على ما يأتي بيانه - إن شـاء الله تعالى -، ويجتنب المشي على المقابر، والجلوس عليها إذا دخل المقابر، ويخلع نعليـه كما جاء في أحاديث، ويسلم إذا دخل المقـابر، ويخاطبـهم خطاب الحاضـرين، فيـقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين»**، كذلك كـان عليه الصـلاة والسلام يقـول: وكنّي بالدار عن عـمارها وسكانها، ولـذلك خاطبهم بالكاف والمـيم، لأن العرب تعبـر بالمنزل عن أهله، وإذا وصل إلي قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضًا، فيقول: **«السلام عليك»**.

---

(١) رواه ابن عـباس، ولـم يروه أحد غـيـره، رواه أحمـد (١/ ٢١٥، ٢٧١)، وابن عـدي (٧/ ١٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٧٣، ٥٣٧٤).

ـ روى الترمذي في جامعه: أن رجلاً دخل على النبي ﷺ، فقال: «عليك السلام»، فقال ﷺ: «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت»، وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حيًا، ولو خاطبه حيًا لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذا ههنا، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب، والعشائر، وجمع الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوهه، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطلب، وانخداعهم لمؤتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم وغفلتهم، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددًا في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله، وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه، وأكل الدود لسانه، ويضحك لمؤاتاة دهره، وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله، وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه ـ والله أعلم ـ[1].



(١) «التذكرة» (ص١٣-١٥).

الباب السادس

اللامبالاة بأكل الحرام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه: أمن حلال، أم من حرام**»[1].

وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال: من حلٍّ، أو حرام**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه النسائي.

الباب السادس

اللامبالاة بأكل الحرام

في هذا الباب نقف مع ظاهرة وصورة من صور اللامبالاة، وهي من دلائل النبوة، حيث أخبر بها النبي ﷺ ألا وهي: (اللامبالاة بأكل الحرام، وطلب الرزق من وجوه محرمة)، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه: أمن حلال، أو من حرام»**، فهذه إشارة نبوية إلى ما آل عليه حال كثير من الناس في زمن اللامبالاة، حيث أصبح جمع المال هدف كثير منهم، ولا يبالي أجمعه من الحلال، أم جمعه من الحرام؟!

وفي هذا الباب سنقف عند عدة مباحث:

المبحث الأول ـ المال في القرآن والسنة.

المبحث الثاني ـ آثار أكل الحرام على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث ـ صور من اللامبالاة في طلب الرزق.

المبحث الأول

المال في القرآن والسنة

ذكر المولى ـ سبحانه وتعالى ـ المال في القرآن الكريم في مقام المدح تارة، وفي مقام الذم تارة أخرى، فذكره في مقام المدح، فسماه خيرًا، فقال سبحانه: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة: ١٨٠)، أي: ترك مالاً[1]، وقال سبحانه: ﴿ **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ**

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبو العالية، وعطية العوفي والضحاك والسدي، ومقاتل بن حيان والربيع وغيرهم.

الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ (ص: ٣١-٣٢)، والمراد به: الخيل والمال، ويقول سبحانه: ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (فصلت: ٤٩)، أي: لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال، والصحة والعافية.

وفي الحديث: «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[1].

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات: ٨).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي: أنه لحب الخير، وهو المال الكثير، وفيه مذهبان:

أحدهما ـ أن المعنى: إنه لشديد لمحبة المال.

والثاني ـ أنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح.

ثانيًا ـ وسماه الله فضلاً في أكثر من موضع؛ يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾ (البقرة: ١٩٨)، ويقول سبحانه: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، أي: لا يحسب البخيل أن جمع المال ينفعه، بل هو مضرة عليه في دينه، ويقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النساء: ٣٧)، ويقول سبحانه: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: ٢٠).

ثالثًا ـ وسماه تعالى حسنة؛ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (البقرة: ٢٠١).

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٤٣٦، ٦٤٣٧).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فجمعت هذه الدعوة كل خير في هذه الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة وزوجة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هين، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه من عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا.

ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٥).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك فما فعلوا. اهـ[١].

رابعًا ـ وسماه الله «رحمة»؛ فقال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء: ١٠٠)، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (الروم: ٣٦).

خامسًا ـ وسماه الله «نعمة»؛ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٤٩)، أي: إذا خولناه، أي: أعطيناه منا صحة أو مالاً أو غيرهما، قال ـ أي ذلك الكافر ـ: إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني أستحقه.

سادسًا ـ وسماه زينة؛ فقال سبحانه: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف: ٤٦)، وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ (آل عمران: ١٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٢) ـ (ص٢٣٣).

سابعًا - وأضافه إلى نفسه - سبحانه وتعالى -: فقال: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (النور: ٣٣).

ثانيًا - المال في مقام الذم:

يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن: ١٥)، فسماه الله فتنة، وحذر عباده منه، وأخبرهم أن ما عنده خير لهم.

وعن كعب بن مالك الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد من حرص المرء على المال والشرف»**[(١)].

وقيل لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع مالاً، قال: فهل جمع أيامًا ينفقه فيها؟، قيل: لا، قال: ما جمع شيئًا!

والمال طريق إلى الروح والريحان، أو طريق إلى رب على صاحبه غضبان: بالمال يدخل الإنسان نفسه الجنة: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»**، وذكر منهم: **«ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**[(٢)].

وبالمال يؤمِّن الإنسان مستقبله وحاضره، يقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٢)، وبالمال يطهر المسلم نفسه من الشح والبخل، يقول سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣)، وبالمال يدخل الإنسان نفسه جهنم وبئس القرار، يقول سبحانه: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٠)،

---

(١) رواه الترمذي (٩/ ٢٢٢) وقال: حسن صحيح، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو كما قال، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٦)، والنسائي وابن حبان في «صحيحه».

(٢) أخرجه البخاري.

وبالمال يدخل الإنسان نفسه في جملة البخلاء التعساء، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء: ٣٧)، وبالمال يتكبر المتكبرون، كقارون - لعنه الله -: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

المبحث الثاني

آثار أكل الحرام على الفرد والمجتمع

وهيا لنقف مع آثار أكل الحرام واللامبالاة بها على الفرد في نفسه وعلى المجتمع.

اعلم - علمني الله وإياك - أن الله سبحانه أحل لنا الطيبات ورتب عليها الأجر والثواب، وحرم الخبائث، ورتب عليها الوزر والعقاب، وأن لأكل الحرام آثارًا عظيمة، وهاك بيان ذلك من القرآن والسنة:

أولاً - أن الله لا يقبل له عملاً: يا من لا تبالي باللقمة تأكلها من حرام اسمع إلى تلك العقوبة العاجلة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (المؤمنون: ٥١)، **وقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)»[1]، فهي دعوة عامة شملت المؤمنين والأنبياء الذين هم أخص أولياء الله تبارك وتعالى، بأن يتحروا أكل الحلال الطيب، الذي لا شبه فيه، وأوضح النبي ﷺ أن الله طيب لا يقبل من العمل إلا ما هو طيب لا شبه ولا حرام فيه، فالذي يأكل الحرام مردود عليه عمله، حاله كما قال الشاعر:

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

وأشبه من يتوب على حرام	**كبيض فاسد تحت الحمام**
يطول عناؤه في غير شغل	**وآخره يقوم بلا تمام**
إذا كان المقام على حرام	**فلا معنى لتطويل القيام**

ثانيًا - أنه لا يقبل له دعاء: يرفع يديه إلى السماء ويجئر بالدعاء، يدعو لنفسه فلا يستجاب له، وتدعو الأمة لكشف الكرب والغمة، ولكن لا يُسمع دعاؤها ولا يُرفع رجاؤها، لأنها لم تبال بأكل الحرام. فيا هذا أكلك للحرام من أكبر أسباب تسلط الأعداء على أمة الإسلام، إذ لو كنت آكلاً للحلال، لاستجاب الله دعاءك، ولنصرنا على اليهود ومن عاونهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: « .. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[(١)].

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[(٢)].

ثالثًا - فساد القلب والبدن: فأكل الحرام يفسد على العبد قلبه الذي هو محل نظر ربه - جلَّ جلاله -، فيصبح الحق في ميزان ذلك القلب الفاسد باطلاً، والباطل حقًا، والحرام حلالاً، والحلال حرامًا، يقول النبي ﷺ : «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»[(٣)].

رابعًا - أنه متوعد بنار جهنم: فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا، والجنة هي غرسه وخَلْقه، وطيبة لا يدخلها جسم نبت من حرام.

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٩٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٨١٢).

(٣) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

يقول رسول الله ﷺ : **«أيما لحم نبت من سحت، فالنار أولى به»**[(١)].

ويقول سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا** ﴾ (النساء : ١٠).

أقوال السلف في التحذير من الحرام[(٢)]

وهيا لنعيش مع سلف هذه الأمة أعلمها بالحلال وبالحرام، وأبعدهم عن الحرام والشبهات من تربوا على كتاب الله وسنة رسوله، وهم يحذرون من أكل الحرام، ويبينون لنا أثره على جوارح العبد.

- يقول سفيان الثوري - رحمه الله -: من أنفق من الحرام في طاعة الله، كان كمن طهر الثوب النجس بالبول، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفِّره إلا الحلال.

- وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: الطاعة خزانة من خزائن الله، إلا أن مفاتحها الدعاء، وأسنانه لُقَم الحلال.

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل منكم إلا بورع حاجز.

- وقال سهل التستري - رحمه الله -: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال:

١- أداء الفرائض بالسنة.
٢- أكل الحلال بالورع.
٣- واجتناب النهي من الظاهر والباطن.
٤- والصبر على ذلك إلى الموت.

---

(١) رواه الترمذي (٦١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٥٠١).

(٢) راجع كتاب «الحلال والحرام» لأبي حامد الغزالي (ص١٧-٢٠).

وقال سهل التستري ـ رحمه الله ـ: من أكل الحرام عصيت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلال أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات.

ـ وقال عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: ردُّ درهم من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، حتى بلغ ستمائة ألف.

ـ وجاء في التوراة: من لم يبال من أين مطعمه، لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله.

ـ وقال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

ـ وقال الفضيل: من عرف ما يدخل جوفه، كتبه الله صديقًا، فانظر عند من تفطر يا مسكين.

* وروي في آثار السلف: أن الواعظ كان إذا جلس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثًا، فإن كان معتقدًا لبدعة فلا تجالسوه، فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح، فلا تجالسوه.

ـ وفي الأخبار المشهورة: عن علي ﷺ وغيره: إن الدنيا حلالها حساب، وحرامها عذاب، وزاد أخرون وشبهتها عتاب.



صور من الورع والخوف من أكل الحرام

واسمع إلـى أخبار الأخـيار يا من لم تبـال بأكل الحرام، وظنـنت أن الأمر هين، وهو عند الله عظيم.

ورع النبي ﷺ:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل، فـأكلها، فلم ينم تلك الليلة، فـقال بعض نسـائه: يا رسول الله أرقت الليلة، قال: «**إني وجدت تحت جنبي تمرة، فأكلتها، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة، فخشيت أن تكون منه**»[(١)].

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

عن محمد بن سـيرين قال: «لم أعلم أحدًا استقـاء من طعام أكله غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه أُتي بـطعام فأكله، ثم قيل له: جاء به النعـمان، قال: «**فأطعمتموني كهانة ابن النعمان ثم استقاء**»[(٢)].

وأخرج أبو نعـيم في (الحلية حـ١ ـ ص٣١)، عن زيـد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يغل عليه، فأتـاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فـقال له المملوك: مـا لك كنت تسـألني كل ليلة، ولم تسـألني الليلة؟، قـال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟، قـال: مررت بقوم في الجاهلية، فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم، فإذا عرس لهم فأعطوني، قال: إن كـدت أن تهلكني، فـأدخل يده في حلقه فـجعل يتـقيأ، وجـعلت لا تخـرج، فقـيل له: إن هذه لا تخـرج إلا بالماء، فدعـا بطست من مـاء فجـعل

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) «حياة الصحابة» (جـ٢) ـ (ص٦٠٢).

يشـرب، ويتقـيأ، حـتى رمى بها، فـقيل له: يرحـمك الله، كل هذا من أجل اللقمة، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخـرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»، فخـشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[١].

عمر بن الخطاب ؓ:

وأخرج مـالك والبـيهـقي عن زيد بن أسلم قال: شـرب عمـر ؓ لبنًا، فأعجبه، فسأل الذي سـقاه: من أين لك هذا اللبن؟، فأخبره أنه ورد على ماء، فإذا نَعم من نَعم الصدقة وهم يسقون فحلبـوا لنا من ألبانها، فجعلته في سقائي هذا، فأدخل عمر إصبعه فاستقاءه[٢].

قاعدة عامة في مسائل الكسب[٣]

وقبل أن نقف مع صـور من اللامبالاة في طـلب المال، وأكل الحرام، نقف مع قاعدة عامة يجب على المسلم أن يضعـها نصب عينيه إذا أراد الاكتساب وفق ما شرع الله تعالى.

ـ يقول القرضاوي ـ حفظه الله ـ: قاعدة عامة في مسائل الكسب:

والقاعدة العامة في مسائل الكسب:

أن الإسلام لا يبيح لأبنائه أن يكتـسبوا المال كيفـما شاءوا، وبأي طرق أرادوا بل هو يفرق لهم بين الطرق المشروعة وغير المشـروعة لاكتساب المعاش، نظرًا إلى المصلحة الجماعية، وهذا التفـريق يقوم على المبدأ الكلي القائل: بأن جميع الطرق لاكتساب المال التي لا يحـصل المنفعة للفرد إلا بخسارة غيره غـير مشروعة، وأن

---

(١) «حياة الصحابة» (جـ٢) ـ (ص٦٠٢-٦٠٣). (٢) «حياة الصحابة» (جـ٢) ـ (ص٦٠٣).

(٣) «الحلال والحرام» (١٢٩-١٣٠).

الطرق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضي والعدل مشروعة، وهذا المبدأ يبينـه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء: ٢٩-٣٠)، فقد شرطت هذه الآية التجارة بأمرين:

الأول ـ أن تكون هذه التجارة عن تراض بين الفريقين.

الثاني ـ ألا تكون منفعة فريق قائمة على خسارة الفريق الثاني، وذلك ما يوضحه ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء: ٢٩)، من هذه الآية، وقد فسره المفسرون على معنيين ينطبق كل منهما على هذا المقام:

فالمعنى الأول ـ ألا يقتل بعضكم بعضًا.

والمعنى الثاني ـ ألا تقتلوا أنفسكم بأيديكم، فمؤدى هذه الآية على كل حال أن من يضر غيره لمنفعته الشخصية، فكأنه ينزف دمه ولا يفتح طريق الهلاك إلا على نفسه في نهاية الأمر، فالسرقة والارتشاء والقمار، والغرر والخديعة، والتدليس والربا، وكثير غيرها من طرق الكسب يوجد فيها كل من هذين السببين لعدم المشروعية، وإن كان يوجد في بعضها شرط التراضي، فإنه يعوذه الشرط المهم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء: ٢٩).

والقاعدة الثانية ـ التحايل على الحرام حرام:

وكما حرم الإسلام كل ما يفضي إلى المحرمات من وسائل ظاهرة، حرم التحايل على ارتكابها بالوسائل الخفية، والحيل الشيطانية، وقد نعى على اليهود ما صنعوا من استباحة ما حرم الله بالحيل، وقال ﷺ: **«لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»**[(١)]، ذلك أن اليهود حرم الله عليهم الصيد

(١) قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد، فإن أحمد بن محمد بن أسلم هذا ذكره الخطيب في «تاريخه» ووثقه، وباقي رجاله مشهورون ثقات.

في يوم السبت، فاحتالوا على هذا المحرم بأن حفروا الخنادق يوم الجمعة لتقع فيها الحيتان يوم السبت، فيأخذوها يوم الأحد، وهذا عند المحتالين جائز، وعند فقهاء الإسلام حرام، لأن المقصود الكف عما ينال به الصيد بطريق التسبب أو المباشرة.

ومن الحيل الآثمة تسمية الشيء الحرام بغير اسمه، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته، ولا ريب أنه لا عبرة بتغيير الاسم إذا بقي المسمى، ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة، فإذا اخترع الناس صورًا يتحايلون بها على أكل الربا الخبيث، أو استحدثوا أسماء للخمر، يستحلون بها شربها، فإن الإثم في الربا أو الخمر باق لازم، وفي الحديث: **«ليستحلن طائفة من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها»**[1].

يأتي على الناس زمان يستحلون الربا باسم البيع، ومن غرائب عصرنا أن يسمى الرقص الخليع: «فنًا»، والخمر: «مشروبات روحية»، والربا: «فائدة»، وهكذا.

المبحث الثالث

صور من اللامبالاة في طلب الرزق

بعد أن عشنا مع سلف هذه الأمة ورأينا كيف كان ورعهم في ترك المحرمات حتى رأينا الواحد يخرج اللقمة التي أكلها وهو لا يعلم أنها من الحرام، ويقول: لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها، هيا لنرى قومًا آخرين استحوذ الشيطان على قلوبهم، فأصبحوا يرون الحرام عيانًا، فيتجرؤون عليه، ويأكلونه لا يبالون من أين أخذوا المال؟، أمن حلال، أم من حرام؟، فالحلال ما حل بأيديهم والطريقة المباحة للكسب ما أملته عليهم أهواؤهم وشهواتهم سواء وافق ما في كتاب الله وسنة رسوله أم خالفه، وهذا هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، وقال الألباني: صحيح لغيره، «الترغيب» (٢٣٧٨).

الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن حلال، أم من الحرام»[(١)].

ـ قال ابن التين: أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيرًا من فتنة المال، وهو من بعض دلائل نبوته، لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذمومًا من حيث هو ـ والله أعلم ـ[(٢)].

الصورة الأولى ـ التعامل بالربا والتحايل على ذلك:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن من صور اللامبالاة التي أزكمة الأنوف في ذلك العصر: التعامل بالربا في صور عصرية حيث أضحى التعامل بالربا ضرورة من ضرورات هؤلاء الذين لا يبالون بما حرم الله تعالى، فتحايلوا عليه، وسموه بغير اسمه، فهذا يقول: فائدة وليس بربا، وذلك يقول: ضرورة والضرورات تبيح المحظورات، وآخر يقول: إنه لا ربا بين الفرد والدولة، وآخر يحرمه تارة ويحله تارة أخرى، وأصبح الدين كلأً مباحًا لكل من أراد أن يرتع ويخرج علينا بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وقبل أن أتكلم عن حرمة الربا، أضع بين يدي القارئ بعض صور التحايل على الربا واللامبالاة بذلك:

يقول العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: إن للتحايل على الربا صورًا كثيرة، أكثرها شيوعًا بيننا: طريقة المداينة التي يستعملها كثير من الناس وهي أن يتفق الدائن والمدين أولاً على المعاشرة، يتفق معه على الدرهم، يقول: أريد عشرة آلاف ريال، العشرة بعشرة ونصف مثلاً، ثم يذهب الدائن والمدين إلى صاحب دكان عنده أموال مكدسة، إما سكر أو ربطات أو غيرها، فيشتريها الدائن شراءً صوريٌّ ليس له بها غرض سوى الوصول إلى بيع العشرة بعشرة ونصف،

(١) سبق تخريجه.

(٢) «فتح الباري» (جـ٤) ـ (ص٣٤٧).

والدليل أنه شراء صوريًا أن لا يكاسر بالثمن ولا يقلب السلعة، ولا يفتشها كما يفعل المشتري حقيقة، وربما كانت هذه الأموال أفسدها طول الزمن أو أكلتها الأرض، لأنها لم تنقل ولم تقلب ولم تفتش، وبعد هذا الشراء الصوري يبيع الدائن هذه السلع على المدين بما اتفقا عليه من الربح، ثم يعود المدين فيبيعها على صاحب الدكان، ويخرج بدراهم.

وهذا العمل هو ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ: وكذلك بلغني أن من الباعة من قد أعد بزّاً[1] لتحليل الربا، فإذا جاء إلى من يريد أن يأخذ منه ألفًا بألف ومائتين ذهبا إلى ذلك المحلل فاشترى منه المعطي ذلك البز، ثم يعيده الآخذ إلى صاحبه، وقد عرف الرجل بذلك بحيث أن هذا البز الذي يحلل به الربا لا يكاد يبيعه البيع البات. اهـ، وقد قال قبل ذلك: فيا سبحان الله العظيم أن يعود الربا الذي عظم الله شأنه في القرآن وأوجب محاربة مستحله، ولعن آكله وموكله، وكاتبه وشاهديه، وجاء فيه من الوعيد ما لم يجئ في غيره إلى أن يُسْتَحَل بأدنى سعي من غير كلفة أصلاً، إلا بصورة عقد هي عبث ولعب.

وقال في الفتاوى أيضًا: وكذلك إذا اتفقا على المعاملة الربوية، ثم أتيا إلى صاحب حانوت يطلبان منه متاعًا بقدر المال، فاشتراه المعطي ثم باعه على الآخذ إلى أجل ثم أعاده إلى صاحب الحانوت بأقل من ذلك، فيكون صاحب الحانوت واسطة بينهما، فهذا من الربا الذي لا ريب فيه. اهـ.

أيها المسلمون .. إن المداينة بهذا البيع الصوري الذي يعلم الله ـ جَلَّ وعلا ـ، ويعلم المتعاقدان أنفسهما أنهما لم يريدا حقيقة البيع، وإنما أرادا الربح والمدين

(١) البَزُّ: هو نوع من الثياب والسلاح، «المعجم الوسيط» (جـ١) ـ (ص٥٦).

أراد الدراهم، وأدخلا هذا العقد الصوري بينهما، أقول: إن هذه المداينة تشتمل على عدة محاذير:

المحذور الأول ـ أنها تحايل على المحرم وخداع لله ورسوله، ونحن نقول لهذا المتحايل: إن حيلتك لن تغني عنك من الله شيئًا، ألم تعلم بأن الله يرى؟، ألم تعلم بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟، ألم تعلم بأن الحساب يوم القيامة على ما في قلبك ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (العاديات: ٩-١٠)، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (الطارق: ٩-١٠).

المحذور الثاني ـ أن هذه المعاملة توجب قسوة القلب، والتمادي في الباطل، فإن صاحبها يظن أنه على حق، فلو أتيته بكل دليل ما سمع منك، لأن قلبه مغمور بمحبة هذه المعاملة السيئة لسهولتها، والنفس إذا اعتادت على الربح المحرم بهذه الطريقة السهلة صعب عليها تركها، إلا أن يعينها الله بمدد منه، وتعرف حقيقة واقعها وشؤم عاقبة معاصيها، وأن هذه الأرباح التي تحصل لها بطريق التحايل على محارم الله ليس منها إلا الغُرم والإثم.

المحذور الثالث ـ إن هذه المعاملة السيئة معصية لله ورسوله، فقد نهى النبي ﷺ عن بيع السلع حتى تنقل، قال ابن عمر رضي الله عنهما: **«كان الناس يتبايعون الطعام جزافًا بأعلى السوق، فنهاهم النبي ﷺ أن يبيعوا حتى ينقلوه»**[١].

وعن يزيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم[٢].

فكيف ترضى لنفسك ـ أيها المسلم ـ أن تتعامل معاملة يكون فيها معصية لله من أجل كسب لا يعود عليك بالخير والبركة[٣].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) «الضياء اللامع» (ص٢٣٨-٢٣٩).

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وقد أخبر ﷺ أن طائفة من أمته تستحل الربا باسم البيع، كما أخبر عن استحلالهم الخمر باسم آخر، فروى ابن بطة بإسناده عن الأوزاعي عن النبي ﷺ: «**يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع**» يعني العينة، وهذا وإن كان مرسلاً، فإنه صالح للاعتضاد به، بالاتفاق، وله من المسندات ما يشهد له، وهي الأحاديث الدالة على تحريم العينة، فإنه من المعلوم أن العينة عند مستحلها إنما يسميها بيعًا، وفي هذا الحديث بيان أنها ربا لا بيع، فإن الأمة لم يستحل أحد منها الربا الصريح، وإنما استحل البيع وصورته، فصوروه بصورة البيع، وأعاروه لفظة، ومن المعلوم أن الربا لم يحرم لمجرد صورته ولفظه، وإنما حرم لحقيقته ومعناه ومقصوده، وتلك الحقيقة والمعنى والمقصود قائمة في الحيل الربوية، كقيامها في صريحه سواء، والمتعاقدان يعلمان ذلك من أنفسهما، ويعلمه من شاهد حالهما، والله يعلم أن قصدهما نفس الربا، وإنما توسلا إليه بعقد غير مقصود، وسمياه باسم مستعار غير اسمه، ومعلوم أن هذا لا يدفع التحريم، ولا يرفع المفسدة التي حرم الربا لأجلها، بل يزيدها قوة، وتأكيدًا، من وجوه عديدة:

منها: أنه يقدم على مطالبة الغريم المحتاج بقوة، لا يقدم بمثلها لمرابي صريحًا، لأنه واثق بصورة العقد واسمه.

ومنها: اعتقاده أن ذلك تجارة حاضرة مدارة، والنفوس أرغب شيء في التجارة، فهو في ذلك بمنزلة من أحب امرأة حبًا شديدًا، ويمنعه من وصالها كونها محرمة عليه، فاحتال إلى أن أوقع بينه وبينها صورة عقد لا حقيقة له، يأمن من بشاعة الحرام وشناعته، فصار يأتيها آمنًا، وهما يعلمان في الباطن أنها ليست زوجته، وإنما أظهر صورة عقد يتوصلان به إلى الغرض، ومن المعلوم أن هذا يزيد المفسدة التي حرم الحكيم الخبير لأجلها الربا والزنا قوة،

فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حرم الربا لما فيه من ضرر المحتاج، وتعريضه للفقر الدائم، والدين اللازم الذي لا ينفك عنه، وتولد ذلك وزيادته إلى غاية تجتاحه وتسلبه متاعه وأثاثه، كما هو الواقع.

في الواقع: فالربا أخو القمار، الذي يجعل المقمور سلبيًا حزينًا محسورًا، فمن تمام حكمة الشريعة الكاملة المنظمة لمصالح العباد تحريمه، وتحريم الذريعة الموصلة إليه، كما حرم التفرق في الصرف قبل القبض، وأن يبيعه درهمًا بدرهم إلى أجل، وإن لم يكن هناك زيادة، فكيف يظن بالشارع مع كمال حكمته أن يبيح التحيل والمكر على حصول هذه المفسدة، ووقوعها زائدة متضاعفة بأكل المحتال فيها مال المحتاج أضعافًا مضاعفة؟، ولو سلك مثل هذا بعض الأطباء مع المرض لأهلكهم، فإن ما حرم الله تعالى ورسوله ﷺ من المحرمات، إنما هو حمية لحفظ صحة القلب، وقوة الإيمان، كما أن ما يمنع منه الطبيب مما يضر المريض حمية له، فإذا احتال المريض أو الطبيب على تناول ذلك المؤذي بتغيير صورته مع بقاء حقيقته وطبعه، أو تغيير اسمه، مع بقاء مسماه ازداد المريض مرضًا إلى مرضه، وترامى به الهلاك ولم ينفعه تغير صورته، ولا تبدل اسمه، وأنت إذا تأملت الحيل المتضمنة لتحليل ما حرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وإسقاط ما أوجب، وحلٍّ ما عقد، وجدت الأمر فيها كذلك، ووجدت المفسدة الناشئة منها أعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات الباقية على صورها، وأسمائها، والوجدان شاهد بذلك.

فتغير صور المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادة في المفسدة التي حرمت لأجلها، مع تضمنه لمخادعة الله تعالى ورسوله، ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه، وأنه يحرم الشيء لمفسدة ويبيحه لأعظم منها.

ولهذا قال أيوب السختياني: يخادعون الله، كأنما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون[١].

ومن صور اللامبالاة بأكل الربا:

تلك الصورة التي أضحت أمرًا عاديًا بين المسلمين إلا من رحم الله: بيع الذهب بالذهب متفاضلاً، وصورته بيع الذهب القديم بذهب جديد، ودفع فرق الوزن والصنعة، وهذه صورة من صور الربا المحرم، وحتى يخرج المسلم من تلك الصورة المحرمة التي لا يكاد يخلو منها محل من محلات الصاغة إلا من رحم الله، وهو أن يبيع الذهب الذي معه سواء كان سليمًا أو مكسورًا، ثم يقبض ثمنه أولاً، ثم إن شئت بعد ذلك اشتريت ذهبًا جديدًا، وبهذا العمل الذي لم يكلفك مشقة ولا عناء قد استبرئت لدينك واتبعت قول النبي ﷺ: **«لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا** - أي: لا تزيدوا - **بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق** - أي: الفضة - **بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز** - أي: حاضر»، وفي الحديث: **«لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق، إلا وزنًا بوزن مثلاً بمثل، يدًا بيد سواء بسواء»**[٢].

- قال البغوي: وفي الحديث دليل على أنه لو باع حليًا من ذهب بذهب لا يجوز إلا متساويين في الوزن، ولا يجوز طلب الفضل للصنعة، لأنه يكون بيع ذهب بذهب مع الفضل.

- وقال النووي: قال العلماء: هذا - يعني النهي عن المفاضلة - يتناول جميع أنواع الذهب والورق من جيد ورديء، وصحيح ومكسور، وحلي وتبر، وغير ذلك سواء الخالص أو المخلوط بغيره.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص٣٣٤-٣٣٦).

(٢) رواه مسلم.

.. إلى غيـر ذلك من صور اللامـبالاة بأكل الربا، سـواء أكان الأكل جلي ظاهر لكل ذي عينين، أو كان خفيًا أمثال تلك الحيل الربوية التي ذكرها العلماء، وبعد ذلك أقول لهؤلاء: أفيقوا واسـمعوا إلى حرمة الربا، وجزاء آكله في الدنيا والآخرة، لعل ذلك يكون سببًا من أسبـاب التوبة، وترك السلبية واللامبالاة التي اجتاحت الأمة، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٩).

يقول ابن كثير ـ رحمـه الله ـ: شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل، فأخبر عـنهم يوم خروجهم من قبورهم، وقيـامهم منها لبعثهم ونشـورهم، فقال: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قيامًـا منكرًا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق[١].

وحكي عن عبـد الله بن عباس وعكرمـة وسعيد بن جـبير والحسن وقـتادة ومقاتل أنهم قالوا في قوله: ﴿ لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، يعني: لا يقومون يوم القيامـة، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد والضحاك وابن زيد[٢]. اهـ.

واسمع إلى النبي ﷺ وهو يوضح لنا عقوبة آكل الربا عن جابر عن النبي ﷺ قال: **«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، هم فيه سواء»**[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم، ورُوي عن عوف بن مالك، وسعيد بن جـبير والسدي والربيع بن أنس، ومقاتل ونحو ذلك.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤٨٢).

(٣) رواه أحمد ومسلم.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن أبواب الربا اثنان وسبعون حوبًا - أي: إثمًا - أدناه كالذي يأتي أمه في الإسلام»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«أهون الربا كالذي ينكح أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»**(٢).

واسمع يا من لا تبالي بأكل الربا وتظنه هينًا وهو عند الله عظيم، اسمع يا من أكله ومشربه وملبسه ومركبه ومسكنه من الربا إلى فظاعة ذلك الأمر:

عن عبد الله بن حنظلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية»**(٣).

وهل ما حل بالأمة الإسلامية من ذلة وهوان وضعف وافتقار وما حل بها من أزمات اقتصادية وتسلط أحفاد القردة والخنازير، إلا بسبب اللامبالاة بتلك القضية قضية أكل الربا؟!.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله»**(٤).

أيا ذا الذي قلبه ميت ... بأكل الربا ازدجر وانتبه
فكم نائم في غبطة ... أتته المنية في نومه
وكم من مقيم على لذة ... دهته الحوادث في لذته
وكم من جديد على ظهرها ... سيأتي الزمان على جدته

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٢٧).
(٢) رواه أبو الشيخ في «التوبيخ»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٢٨).
(٣) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٧٠).
(٤) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٣٥).

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ :إنهم لا يقـومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممـسوس المضطرب القلق المتخبط، الذي لا ينال استـقرارًا، ولا طمأنينة، ولا راحة، وإذا كـان هناك شك في الماضي، أيام نشأة النظام الرأسمـالي الحديث في القرون الأربعة الماضية، فإن تجـربة هذه القرون لا تبقي مجالاً للشك أبدًا، إن العـالم الذي نعـيش فيـه اليـوم في أنحـاء الأرض هو عـالم القلق والاضطراب والخوف، والأمراض العصبية والنفسـية، باعتراف عقلاء أهله ومفكريه، وعلمائه ودارسيه، وبمشاهدات المراقبين والزائرين العـابرين لأقطار الحضارة الغربية، وذلك على الرغم من كل ما بلغـته الحضارة المـادية والانتاج الصناعي في مجمـوعة من الضخامة في هذه الأقطـار، وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ الأبصار، ثم هو عالم الحـروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المبـيدة، وحرب الأعصاب والاضطرابـات التي لا تنقطع هنا وهناك، إنها الشقوة البـائسة المنكودة التي لا تزيلها الحـياة المادية ولا الرخـاء المادي، ولا يُسْر الحيـاة المادية وخفضـها ولينها في بقاع كثيرة، وما قـيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضا والاستقـرار والطمأنينة، إنها حـقيقة تواجـه من يريد أن يرى ولا يضع على عينه غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى حقيـقة أن الناس في أكثر بلاد العالم رخاء في أمريكا وفي السويد، وفي غيرهمـا من الأقطار التي تفيض رخاءًا ماديًا، أن الناس ليسـوا سعداء، إنهم قلقـون يطل القلق من عيونهم وهـم أغنياء، وأن الملل يأكل حيـاتهم، وهم مسـتغـرقون في الإنتاج، وأنهـم يغرقوه هذا الملل فـي العربدة، والصخب تارة، وفي التقاليع الغـربية الشاذة تارة، وفي الشذوذ الجنسي تارة، ثم يحسون بالحـاجة إلى الهرب من أنفسـهم ومن الخواء الذي يعشعش فـيها، ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجـريانها، فيهربون بالانتحار، ويهربون بالجنون، ويهـربون بالشذوذ، ثم يطاردهم شبح القلق والخـواء والفراغ، ولا يدعهم يستريحون أبدًا، لماذا؟!.

السبب الرئيس هو خواء هذه الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة المنكوسة، على كل ما لديها من الرخاء المادي من زاد الروح، من الإيمان، من الاطمئنان إلى الله، وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها الإيمان بالله، وخلافة الأرض وفق عهده وشرطه، ويتفرع من ذلك السبب الرئيس الكبير بلاء الربا، بلاء الاقتصاد الذي ينمو ولكنه لا ينمو سويًا معتدلاً بحيث تتوزع خيرات نموه وبركاتها على البشرية كلها، إنما ينمو مائلاً جانحًا إلى حفنة الممولين المرابين، القابعين وراء المكاتب الضخمة في المصارف يقرضون وليس هدفهم سد مصالح البشر وحاجاتهم التي يسعد بها الجميع، والتي تكلف دعمًا منتظمًا ورزقًا للجميع، والتي تهيئ طمأنينة نفسية للجميع، ولكن هدفه إنتاج ما يحقق أعلى قدر من الربح، ولا حطم الملايين وحرم الملايين، وأفسد حياة الملايين، وزرع الشك والقلق في حياة البشرية جميعًا، وصدق الله العظيم: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)(١) .

إن السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية، وظله الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع، لا يعرفها المناكيد الناشئون في هجير الجاهلية المادية الحاضرة، ولا مذاق ولا طعم له في حسهم المتحجر البليد، إن وحوش المرابين القابعين في زوايا يتلمظون للفرائس من المحاويج والمنكوبين الذين تحل بهم المصائب فيحتاجون للمال: للطعام والكساء والدواء أو لدفن موتاهم، فلا يجدون في هذا العالم المادي الكز الضنين الشحيح من يمد لهم يد المعونة البيضاء، فيلجئون إلى أوكار الوحوش فرائس سهلة تسعى إلى الفخاخ بأقدامها، تدفعها الحاجة وتزجيها الضرورة، هؤلاء الذين كانوا حربًا

---

(١) «ظلال القرآن» (جـ١) ـ (ص٣٢٦-٣٢٧).

على الناس ماذا يكون جزاؤهم؟، حرب معلنة من الله ورسوله في صورة شاملة داهمة غامرة، حرب على الأعصاب والقلوب، حرب على البركة والرخاء، حرب على السعادة والطمأنينة، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض، حرب القلق والخوف وأخيرًا حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول، والحرب الساحقة الماحقة، التي تأكل الأخضر واليابس جزاءً وفاقًا بما أثقلوا كاهل الناس بالضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم فعمّ الفقر والسخط، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة، فتقوم الحرب، وأيسر ما يقع إن لم يقع هذا كله هو خراب النفوس، وانهيار الأخلاق، وانطلاق سعار الشهوات، وتحطم الكيان البشري من أساسه وتدميره بما لا تبلغه أفظع الحروب الذرية الرهيبة، أبعد هذا الإنذار الإلهي، وبعد ذلك البيان النبوي يليق بعد ذلك أن تتعامل بالربا؟! أبعد هذا يليق بك أن تظلم الناس شيئًا؟!.

يا من تتعامل بالربا، ألا أدلك على أبواب الخير؟، ألا أدلك على أبواب الخير؟، ألا أخبرك بأبواب السعادة، ألا أسرك بما يسرك؟، إذا أردت السعادة والهناء والمحبة والرخاء، فاسمع إلى ذلك الحديث واعمل به، لعلك تنجو من عقاب الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[1].

واسمع - يا من لا تبالي بأكل الربا - أما تريد رضا الله تعالى؟، أما تريد جنته؟، إن كنت تريد ذلك، فهيا لتكون من هؤلاء.

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عُري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم»**[1]

إنها التجارة الرابحة مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وصدق - جَلَّ جلاله - إذ يقول: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (الروم: ٣٩).

الصورة الثانية - من صور اللامبالاة في طلب الرزق «الغش»:

إن من صور اللامبالاة بأكل الحرام «الغش»، تلك الظاهرة التي أصبحت من الأمور التي لا يبالي بها كثير من طبقات الأمة، فانظر إلى تلك الصور التي إن دلت، فإنما تدل على ضعف الإيمان في القلوب، وضعف المراقبة في قلوب هؤلاء.

١- غش الراعي لرعيته.
٢- الغش في البيع والشراء[2].
٣- الغش في الامتحانات.
٤- الغش في الحياة الزوجية.

وهكذا إن شئت أن ترى أي صورة من هذه الصور في أي وقت لوجدتها ماثلة أمام عينيك، فمن هذه الصور:

الغش في البيع والشراء:

ويأخذ صورًا شتى، منها:

* ***بيع المصراة:*** فما إن تخل أسواق المواشي إلا وقعت عينيك على تلك الصورة من صور الغش: غش المصراة، وهو أن يترك البائع البقرة أو الإبل أو الغنم بدون حلب يوم أو يومين، حتى يجتمع اللبن، فيظن المشتري أن هذا لبن

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وضعفه الألباني.

(٢) والحديث في هذا المبحث عن الغش في البيع والشراء.

عادتها كل يوم، فيشتريها ويقع في فخ ذلك الغشاش الذي غشه في تلك السلعة، وهذا الفعل حرام منهي عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعًا من تمر»**[1].

* ***خلط اللبن بالماء:*** في زمن قل فيه وازع الإيمان، وفي زمن قل فيه أهل الخير والإحسان، في زمن الجشع والطمع، وفي زمن اللامبالاة، رأينا وسمعنا أحوال هؤلاء الذين يبيعون اللبن وقد أصابهم الطمع والجشع، فأصبحوا يخلطون اللبن بالماء من أجل الغنى والمال.

ولقد جلست مع أحد هؤلاء الذين يقومون بجمع اللبن بعد أن تاب ورجع إلى الله، وهو يحدث عن أحوال الناس، فيقول: إن هناك أكثر من ٩٠% من الذين يبيعون اللبن يقومون بغشه وخلطه بالماء، والذي يجمع يعرف ذلك، فإن صادف أن البعض لم يغش يقوم الجامع بمزجه بالماء، وما سمع هؤلاء قول النبي ﷺ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«من غش فليس منا»**[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من غشنا فليس منا»**[3].

قال ابن الجوزي: كان لبَّان يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت القطرات فصارت سيلاً، ولسان الجزاء يناديه: يداك أوكتا وفوك نفخ.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢١٥٠)، ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١)، وابن ماجه (٢٢٢٤)، وأحمد (٢/٤١٧).

❊ ***ومن صور الغش والخداع التي لا يبالي بها التجار «إخفاء عيوب السلعة»:*** فهو يبيع سلعته ويعلم أن بها عيوبًا تنقص من ثمنها، ولكنه لا يخبر بها سعيًا للحصول على الربح، وهذا مخالف لشرع الله تعالى.

عن أبي سباع قال: اشتريت من دار واثلة بن الأسقع، فلما خرجت بها أدركني وهو يجر إزاره، فقال: يا عبد الله اشتريت؟، قلت: نعم، قال: تَبَيَّنَ لك ما فيها؟، فقال: وما فيها؟، إنها لسمينة ظاهرة الصحة، قال: أردت بها سفرًا أو أردت بها لحمًا؟، قلت: أردت بها الحج، قال: فإن بخفها نقبًا، فقال صاحبها: ما أردت أي هذا - أصلحك الله - تفسد علي؟، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يحل لأحد يبيع شيئًا إلا بيَّن ما فيه، ولا يحل لمن علم ذلك إلا بَيَّنَه»**[(١)].

❊ ***ومن صور الغش تلك الصورة التي شاهدها النبي ﷺ:*** فعن أنس رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ إلى السوق، فرأى طعامًا مصبرًا، فأدخل يده، فأخرج طعامًا رطبًا قد أصابته السماء، فقال لصاحبه: **«ما حملك على هذا؟!»**، قال: والذي بعثك بالحق إنه لطعام واحد، قال: **«أفلا عزلت الرطب على حدته، واليابس على حدته، فيتابعون ما يعرفون، من غشنا فليس منا»**[(٢)].

وهناك صور كثيرة غير تلك التي ذكرتها، وهيا لنرى أثر الإيمان في قلوب الصحابة والتابعين، وكيف أنهم راقبوا الله في بيعهم وشرائهم، فضربوا لنا أروع الأمثلة في محبة الخير للآخرين:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢١٥٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٩٧٤).
(٢) رواه الطبراني في «الأوسط»، قال الألباني: حسن لغيره في «الترغيب» رقم (١٧٦٧).

جرير بن عبد الله رضي الله عنه: روى الطبري أن غلامًا ـ يعني جرير ـ اشترى له فرسًا بثلثمائة، فلما رآه جاء إلى صاحبه، فقال: إن فرسك خير من ثلثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة.

يونس بن عبيد ـ رحمه الله ـ: كان ـ رحمه الله ـ تاجرًا، وعنده حلل مختلفة الأثمان، منها نوع ثمن كل حلة منه أربعمائة درهم، ونوع كل حلة مائتا درهم، فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه، فجاء أعرابي إلى الدكان، وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين، فاستحسنها ورضيها فاشتراها بأربعمائة درهم، فمشى بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف حلته، فقال الأعرابي: بكم اشتريت؟، فقال: بأربعمائة درهم، فقال يونس: لا تساوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها، فقال الأعرابي: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها، فقال له يونس: انصرف معي، فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان، ورد عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك، وقال له: أما استحييت من الله؟ تربح مثل الثمن، وتترك النصح للمسلمين؟، فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها، فقال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك؟!.

الحسن بن صالح ـ رحمه الله ـ: باع جارية، فقال للمشتري: إنها تنخمت مرة عندنا دمًا مرة واحدة، ومع هذا يأبى ضمير المؤمن إلا أن يذكرها له، وإن نقص الثمن.

ابن سيرين ـ رحمه الله ـ: باع شاة، فقال للمشتري: أبرأ لك من عيب فيها، إنها تقلب العلف برجلها.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنة بائعة اللبن: روى ابن زيد عن جده أسلم، قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب ـ وهو يعس بالمدينة ـ، إذ هو قد أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: قومي إلى اللبن فامذقيه

بالماء، فقالت لها ابنتها: يا أمتاه، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ألا يشاب اللبن بالماء، قالت الأم: قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك في موضع لا يراك فيه عمر ولا مناد عمر، فقالت لأمها: والله ما كنت لأطيعه علانية، وأعصيه سرًا، وكان أمير المؤمنين في استناده إلى الجدار، يسمع الحوار فالتفت إليَّ يقول: يا أسلم ضع على هذا الباب علامة ثم مضى أمير المؤمنين في عسه فلما أصبح ناداني: يا أسلم امض إلى البيت الذي وضعت عليه العلامة، فانظر من القائلة، ومن المقول لها؟، انظر هل لهما من رجل؟، يقول أسلم: فمضيت فأتيت الموضع، فإذا ابنة لا زوج لها، وهي تقيم مع أمها وليس معهما رجل، فرجعت إلى أمير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر، فدعا إليه أولاده فجمعهم حوله، ثم قال لهم: هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟، لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى الزواج بهذه المرأة التي أعرف نبأها، والتي أحب لأحدكم أن يتزوجها، فقال عاصم: يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة، فأنا أحق بزواجها، فبعث عمر من يخطب بنت بائعة اللبن لابن أمير المؤمنين عاصم، فزوجه بها، فولدت به بنتًا تزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له خامس الخلفاء الراشدين[1] الزاهد عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وأخيرًا .. اسمع ـ يا من لا تبالي بغش المسلمين ـ إلى هذه الكلمات لعلها تكون زاجرًا لك عن ذلك الذنب العظيم، يقول الشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ: إن الأرزاق لا تكون بالخداع ولا بالمقدرة، وإنما هي كالآجال مقررة عند الله ومقدرة، فلا يفوت العاجز رزقه ولا يحصل فوق ما قسم له القادر القوي، يا أيها الغاش: هل يأتيك الغش بشيء سوى ما أراده لك الحي القيوم؟، كلا، والله

(١) الأولى أن خامس الخلفاء الراشدين هو ريحانة الرسول ﷺ الحسن بن علي ﷺ. والله أعلم.

لا يصيبك في الدنيا إلا ما قضاه الله عليك، ولا ينالك منها إلا ما قسمه الله لك، فما هذا التدليس الذي لا يكسبك إلا شكًا في قضاء الله تعالى، وما ذاك الغش الذي لا يفيدك إلا الوزر والخزي والعار، وما عاقبة ذلك كله إلا ضياع الثقة وغم المصائب وهم الخسائر، فوالله ما تقدم عامل خان في عمله، ولا نجح صانع دلس في صناعته، ولا ربح تاجر غش في تجارته، وما هي إلا أيام معدودة وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر.

أيها الناس .. إن الغش لذنب كبير ولا يكون إلا من نفوس خبيثة طاغية، وإن الأيمان الكاذبة لا تصدر إلا عن قلوب مظلمة قاسية، وكلاهما تغرير بالناس وتلاعب بالدين، وخسران مبين، ولقد أغضبت ربك أيها الحالف كذبًا لترويج الصنعة أو البيع والشراء، وأما أنت أيها الغاش فقد تبرأ منك الحبيب المصطفى لأكلك أموال الناس بالباطل، وإهمالك لدينه، وخروجك على ملته، برعت في ضروب النصب والاحتيال، وتفننت في أنواع الغش والخداع، لا تراعي مخلوقًا، ولا تخشى خالقًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله، يدخل الإنسان على الصانع أو يقف المشتري أمام البائع، فيسمع من الأيمان الكاذبة ما يخدعه به، ويوهمه أن هذا الشيء لا نظير له أجود من صناعة أو بضاعة فلان وفلان، وأرخص مما يباع في جميع الحوانيت، والله يعلم أنه لكاذب، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٥).

ولقد صار الغش في كل شيء حتى اللبن في الحيوان ولو أمكنهم أن يبيعوا التراب ذهبًا لفعلوا بلا مبالاة ولا حياء، ألا فليعلم الغاش أن كسبه سحت وحرام، وأن كل لحم نبت من حرام، فالنار أولى به[1].

---

(١) «هداية المرشدين» (ص٤٩١-٤٩٢).

الصورة الثالثة - من اللامبالاة بأكل الحرام «الرشوة»:

ومن صور اللامبالاة التي انتشرت واستشرى خطرها تلك الصورة التي تراها إذا وطأت قدميك أي مصلحة من المصالح، أو أي جهة من جهات العمل، فإذا أردت أن تقضي مصلحتك وجدت هناك ذئابًا بشرية، أصابها سعار المادة، والجشع والطمع، إنها صورة اللامبالاة بأخذ وأكل الرشوة، فلن تقضي حاجتك إلا إذا دفعت تلك الرشوة المحرمة، وهم لا يسمونها رشوة، ولكنهم يسمونها بغير اسمها تحايلاً على شرع الله، وتحليلاً لما حرم الله تعالى من وسائل أكل أموال الناس بالباطل، وقد ظهرت الرشوة في صور متغايرة، وإليك بعض صورها:

أولاً - المصانعة: وهي أن تصنع لغيرك شيئًا ليصنع لك مقابلاً له، ويكون الشيء في الحالتين متعلقًا بإحقاق باطل أو إبطال حق، وهذه رشوة فيها إضاعة الحق، وأكل أموال الناس بالباطل.

ثانيًا - العمولة: وفريقًا آخر لم يسميها رشوة، وإنما ألبسها ثوبًا جديدًا وسماها العمولة، وهي التي تكون لمن يتولى عقد الصفقات والاتفاقات على المشاريع، فإن تسبب في ضياع حق للمجتمع، كأن قدمت الأنواع الأقل جودة والأكثر سعرًا كانت في هذه الحالة لا تخرج عن كونها رشوة، يحرمها الشرع ويجرمها القانون.

ثالثًا - القهوة أو دخانه: فهو لا ينجز لك العمل وتقضي مصلحتك إلا إذا دفعت له قهوته أو دخانه، ومن لم يدفع يتردد على المصلحة الأيام والشهور ولا تقضى حاجته، لأن المسكين يأبى أن يتعامل مع هؤلاء الأوغاد بما حرم الله تعالى، فإذا وعظته قال لك بملأ فيه: «أعلى ما في خيلك اركبه، يا عم إحنا بنقبض قروش»، ومن هذا الباب استحل ما حرم الله تعالى، فإلى هؤلاء، ومن سار على دربهم هذا البيان من القرآن وسنة نبيه العدنان ﷺ.

اعلم - علمني الله وإياك - أن الإسلام قد حرم على أتباعه الرشوة بجميع صورها، وقال سبحانه: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** ﴾ (البقرة: ١٨٨).

يقول القرطبي - رحمه الله -: لا تصانعوا بأموالكم الحكام، وترشوهم ليقضوا لكم على أكثر منها.

يقول القرضاوي - حفظه الله -: ومن أكل أموال الناس بالباطل «الرشوة» وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ليحكم لهم على خصمه بما يريد هو أو ينجز له، أو يؤخر لغريمه عملاً، وهلم جرا. ويقول أيضًا: وقد حرم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم، كما حرم على هؤلاء أن يقبلوا إذا بذلت لهم، وحذر على غيرهم أن يتوسطوا بين الآخذين والدافعين، عن ثوبان ﷺ قال: **«لعن النبي ﷺ الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما»**[1].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ: **«لعن النبي ﷺ الراشي والمرتشي»**، والرشوة صفة من صفات المخالفين لأمر الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** ﴾ (المائدة: ٤٢)، قال سعيد بن جبير: **«السحت: الرشوة»**.

واعلم - علمني الله وإياك - أن اللامبالاة بالرشوة لها أثر خطير على الأمة الإسلامية في دينها ودنياها، منها:

أولاً - توسيد الأمر إلى غير أهله: فكم وكم رأينا أناسًا يعملون في وظائف هم ليسوا لها أهلاً، وليس لديهم علم أو دراية وخبرة بتلك الوظيفة، وما توصلوا إليها إلا عن طريق الرشوة، وإذا عملوا وضعوا في المكان غير المناسب لهم، فكان من أثر

---

(١) ضعيف بهذا التمام: انظر «الضعيفة» (١٢٣٥)، وهو صحيح دون الرائش، انظر «الإرواء» (٢٦٢٠).

ذلك ضياع الحقوق وتخلف الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة العصرية، وهذه الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ : «إذا وسِّد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة».

يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أيها المسلمون . . إن لعنة الله ورسوله لا تكون إلا على أمر عظيم ومنكر كبير، وإن الرشوة لمن أكبر الفساد في الأرض، لأنها بها تغيير حكم الله، وتضييع حقوق عباد الله، وإثبات ما هو باطل ونفي ما هو حق، إن الرشوة فساد في المجتمع وتضييع للأمانة، وظلم للنفس، يظلم الراشي نفسه ببذل المال لنيل الباطل، ويظلم المرتشي نفسه بالمحاباة في أحكام الله، يأكل كل منهما ما ليس من حقه، ويكتسب حرامًا لا ينفعه، بل يضره، ويسحت ماله أو بركة ماله إن بقي المال، إن الرشوة تكون في الحكم، فيقضي من أجلها لمن لا يستحق أو يمنع من يستحق أو يقدم مَنْ غيرُه أحق بالتقديم، وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم، فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة، سواء كان ذلك بالتراخي في التنفيذ أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة، إن الرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها، فيقدم من أجلها من لا ينجح أو تعطى له أسئلة المسابقة قبل الإمتحان، فيولى الوظيفة من غيره أحق، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استعمل رجلاً من عصابة، أي: طائفة، وفيهم من هو أرضى لله، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[1].

وإن الرشوة تكون في تنفيذ المشاريع، ينزل مشروع عمل في المناقصة، فيبذل أحد المتقدمين رشوة، فيرسو المشروع عليه، مع أن غيره أنصح قصدًا، وأتقن عملاً، ولكن الرشوة عملت عملها. وإن الرشوة تكون في التحقيقات الجنائية أو الحوادث

---

(١) رواه الحاكم، وصحح إسناده.

وغيرها، فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**»[١].

والغلول إثمه عظيم، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «استشهد مولاك - أو قال: غلامك - فلان»، قال: «**بل يجر إلى النار في عباءة غلها**»[٢].

وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم والثقافة، فينجح من أجلها من لا يستحق النجاح، أو تقدم له أسئلة الامتحان، أو يشار إلى أماكنها من المقررات، أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه، ويتأخر من هو أحق منه، لقوة مستواه العلمي.

ومن أثر الرشوة خيانة الأمانة، وخيانة الأمة، والله نهانا عن خيانة الأمانة، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٧)، ومن أثر الرشوة أيضًا: الفساد الذي يحل بالأمة، من أثر هؤلاء المرتشين الذين لم يراقبوا الله تعالى في أعمالهم.

* وهيا - يا من لا تبالي بالرشوة - لترى هاتين السورتين من الصحابة والتابعين، وكيف أنهم رفضوا الرشوة وحاربوها، لعلك تقتدي بهم، فتفوز برضى الله تعالى ومحبته:

أولاً - عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: روى الإمام مالك وغيره: أن الرسول ﷺ بعث عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من خراج، فعرضوا عليه شيئًا من المال يبذلونه له، فقال لهم: «**فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت وإنا لا نأكلها**».

---

(١) رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح.

ثانيًا ـ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أُهدي إلى عمر بن عبد العزيز هدية وهو خليفة، فردها، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، فقال: «**كان ذلك له هدية ولنا رشوة**».

مسألة حكم دفع الرشوة لدفع الظلم:

وهذه مسألة يسأل فيها كثير من الناس ممن ضاعت حقوقهم، ولا يجدون إليها سبيلاً إلا بالرشوة، أو من وقع عليه ظلم، ولا يستطيع دفعه إلا بالرشوة، فهيا لنرى رأي العلماء في تلك المسألة:

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولهذا قال العلماء: يجوز رشوة العامل لدفع الظلم، لا لمنع الحق، وإرشاؤه تحرام فيهما وكذل الأسير المعتق إذا أنكر سيده عتقه له أن يفتدي نفسه بمال يبذله يجوز له بذله، وإن لم يجز للمستولي عليه بغير حق أخذه، وكذلك المرأة المطلقة ثلاثًا، إذا جحد زوجها طلاقها فافتدت منه بطريق الخلع في الظاهر كان حرامًا عليه ما بذلته ويخلصها من رق استيلائه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إني لأعطي أحدكم العطية، فيخرج بها يتلظاها نارًا**»، قالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟، قال: «**يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل**»، إلى أن قال: «**فكل من أخذ المال لئلا يكذب على الناس، أو لئلا يظلمهم كان ذلك خبيثًا سحتًا**»، لأن الظلم والكذب حرام عليه، فعليه أن يتركه بلا عوض، يأخذه من المظلوم، فإن لم يتركه إلا بالعوض كان سحتًا. اهـ[1].

وقال في (الفتاوى الكبرى): ٣٣ مسألة في رجل أهدى لأمير هدية، لطلب حاجة، أو التقرب أو الاشتغال بالخدمة عنده، أو ما أشبه ذلك، فهل يجوز أخذ هذه الهدية على هذه الصورة أم لا؟، وإن أخذ الهدية انبعثت النفس إلى قضاء

---

(١) «مجموع الفتاوى» (جـ ٢٩) ـ (ص٢٥٩).

الشغل، وإن لم يأخذ لم تنبعث النفس في قضاء الشغل، فهل يجوز أخذها وقضاء شغله؟، أو لا يأخذ ولا يقضي؟، ورجل مسموع القول عند مخدومه إذا أعطوه شيئًا للأكل أو هدية لغير قضاء حاجة، فهل يجوز أخذها وإن ردها على المهدي انكسر خاطره، فهل يحل أخذها، أم لا؟.

الجواب: الحمد لله في (سنن أبي داود)، عن النبي ﷺ: أنه قال: **«من شفع لأخيه شفاعة، فأهدى له هدية فقبلها، اتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا».**

وسُئل ابن مسعود عن السحت، فقال: **«هو أن تشفع لأخيك شفاعة، فيهدي لك هدية، فتقبلها»**، فقال: أرأيت إن كانت هدية في باطل؟، فقال: **«ذلك كفر»**، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي أمر، ليفعل معه ما لا يجوز كان حرامًا على المهدي إليه، وهذه الرشوة التي قال فيها رسول الله ﷺ: **«لعن الله الراشي والمرتشي».**

والرشوة تسمى البرطيل، والبرطيل في اللغة: هو الحجر المستطيل فاه، فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه، أو ليعطيه حقه الواجب كانت هذه الهدية حرام على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه كما قال النبي ﷺ: **«إني لأعطي احدهم...»**، وقد تقدم الحديث، ومثل ذلك إعطاء من أعتق وكتم عتقه، أو أسرَّ خبرًا، أو كان ظالمًا للناس، فإعطاء هؤلاء جائز للمعطي، حرام عليهم أخذه، وأما الهدية الشفاعة مثل أن يدفع لرجل عند ولي أمر ليرفع عنه ظلمه أو يوصل إليه حقه، أو يوليه ولاية يستحقها، أو يستخدمه في الجند المقاتلة، وهو مستحق لذلك، أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء والفقهاء، التي فيها إعانة على فعل واجب، أو ترك محرم، فهذه أيضًا لا يجوز فيها قبول الهدية، ويجوز

للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه، أو دفع الظلم عنه، هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر، وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك، وجعل هذا من باب الجعالة، وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة، وهذا غلط لأن مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التي يكون القيام بها فرضًا، إما على الأعيان، وإما على الكفاية، ومتى شرع أخذ الجعل على مثل هذا لزم أن تكون الولاية وإعطاء أموال الفيء والصدقات وغيرها لمن يبذل في ذلك، ولزم أن يكون كف الظلم عمن يبذل في ذلك، والذي لا يبذل لا يولى ولا يعطى، ولا يكف عنه الظلم، وإن كان أحق وأنفع للمسلمين من هذا، والمنفعة في هذا ليست لهذا الباذل، حتى يأخذ منه الجعل، كالجعل على الآبق والشارد، وإنما المنفعة لعموم الناس أعني المسلمين، فإنه يجب أن يولي في كل مرتبة أصلح من يقدر عليها، وأن يرزق من رزق المقاتلة والأئمة والمؤذنين، وأهل العلم الذين هم أحق الناس وأنفعهم للمسلمين، وهذا واجب على الإمام وعلى الأمة أن يعاونوه على ذلك[1].

الصورة الرابعة - من صور اللامبالاة بأكل الحرام «العمل في الوظائف المحرمة»:

ومن صور اللامبالاة التي نراها أننا نجد البعض يعمل في الوظائف المحرمة التي حرمها الله تعالى، كالعمل في البنوك الربوية، لأن النبي ﷺ لعن كل من شارك في ذلك العمل، قال ﷺ: **«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه»**، فكل من شارك في هذه الجريمة حتى ولو بشهادة، فهو ملعون مطرود من رحمة الله، وكذلك العمل في المحلات التي تبيع الخمور والدخان ولحم الخنزير، فإنها محرمة وبعض الشباب يحتج بأنه لا يجد عملاً إلا في تلك الأماكن.

---

(١) «الفتاوى الكبرى» (جـ ٤) - (ص١٤٨-١٤٩).

وقد سألت اللجنة الدائمة للبحوث الإسلامية:

س ـ نحن هنا في هولاندا شباب مسلم، متمسك والحمد لله بدينه، ولكن الأعمال المتوفرة هنا كلها في الخمر والمطاعم التي تقدم لحم الخنزير إلى جانب اللحوم الأخرى، هل يجوز العمل في غسل الأواني التي فيها لحم الخنزير، كعمل لكسب الرزق، أفيدونا أفادكم الله ـ وفقنا الله وإياكم، وجزاكم الله خيراً ـ.؟

ج ـ أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بما يلي: لا يجوز أن تعمل في محلات تبيع الخمور أو تقدم للشاربين، ولا تعمل في المطاعم التي تقدم لحم الخنزير للآكلين أو تبيعه على من يشتريه، ولو كان مع ذلك لحوم وأطعمة أخرى، سواء كان عملك في ذلك بيعًا أو تقديمًا لها، أم كان غسلاً لأوانيها لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:٢)، ولا ضرورة تضطرك إلى ذلك، فإن أرض الله واسعة وبلاد المسلمين كثيرة، فكن مع جماعة المسلمين في بلد يتيسر فيها العمل الجائز، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣)، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الصورة الخامسة ـ القمار والميسر:

واعلم أن من الصور المحرمة التي لا يبالي بها بعض الناس تلك الصورة التي تتلون كما تتلون الحرباء، فهي تلبس لكل مجتمع لباسًا، ولقد حرمها الله تعالى في كتابه ألا وهي القمار والميسر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، ولقد كان أهل الجاهلية يتعاطون الميسر، ومن أشهر صوره عندهم أنهم كانوا يشتركون في بعير عشرة أشخاص بالتساوي، ثم يضرب بالقدح، وهو نوع من القرعة، فسبعة يأخذون بأنصبة متفاوتة معينة في عرفهم، وثلاثة لا يأخذون شيئًا.

وأما في زمـاننا فإن للميـسر عدة صور، منهـا: ما يعرف باليـانصيب، وله صور كثـيرة أبسطها شراء أرقـام بمال يجري السحب عليه، فـالفائز الأول يعطى جائزة، والثـاني وهكذا في جوائز متـعددة قد تتـفاوت، فهذا حـرام، ولو كانوا يسمونه بزعمهم خيرًا، ومنها: أن يشـتري سلعة بداخلها شيء مجهول أو يعطى رقمًا عند شرائه للسلعة يجري عليه السحب لتحديد الفائزين بالجوائز.

ومن صور الميسر في عـصرنا . . عقود التأمين الشامل التـجاري على الحياة والمركبات والبضائع وضد الحريق والتـأمين الشامل ضد الغير، إلى غير ذلك من الصـور المختلفـة حتى أن بعض المغنيـين يقومـون بالتأمين على أصـواتهم، هذا وجـميع صـور المقامـرة تدخل في الميـسر، وقـد وجد في زمـاننا أندية خاصـة بالقمار، وفيها ما يعـرف بالطاولات الخضراء الخاصة لمقارفة هذا الذنب العظيم، وما شـابهها، وهو أيضًا نوع من أنواع الميـسر، كمـا يوجد في بعض مـحلات الألعاب ومراكز الترفيه أنواع من الألعاب المشتملة على فكرة الميسر أما المسابقات والمغالبات، فهي على ثلاثة أنواع:

أولاً - ما كان ذا مـقصود شرعي، فهـذا مباح بجُعْل - أي جـوائز -، وبغير جُعْل كمسـابقات الإبل والخيل والرمي والتصويب، ويدخل فيـه مسابقات العلم الشرعي، كحفظ القرآن على الراجح.

ثانيًا - ما كان مباحًـا في نفسه كمباريات كرة القدم وسبـاقات الجري الخالية من المحرمات، كإضاعة الصلوات وكشف العورات، فهذه تجوز بلا جُعْل.

ثالثًا - ما كان محرمًا في نفسه أو يوصل إلى محرم كمسابقات الفساد المسماة بمسابقات الجمال، أو مباريات الملاكـمة المشتملة على ضرب الوجه، وهو حرام، أو ما يقام به من مباريات مناطحة الأكباش، ومناقرة الديوك ونحوها[١].

---

(١) «محرمات استهان الناس بها» (ص٤٨-٥٠).

ويقول القرضاوي ـ حفظه الله ـ: وما يسمى باليانصيب هو لون من ألوان القمار، ولا ينبغي التساهل فيه، والترخيص باسم الجمعيات الخيرية والأغراض الإنسانية، الذين يستبيحون اليانصيب لهذا كالذين يجمعون التبرعات لمثل تلك الأغراض بالرقص الحرام، والفن الحرام، ونقول لهؤلاء: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»، والذين يلجئون إلى هذه الأساليب يفترضون في المجتمع أن قد ماتت فيه نوازع الخير وبواعث الرحمة، ومعاني البر، ولا سبيل إلى جمع المال إلا بالقمار واللهو المحذور، والإسلام لا يفترض هذا في مجتمعه، بل يؤمن بجانب الخير في الإنسان، فلا يتخذ إلا الوسيلة الظاهرة للغاية الشريفة، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر واستثارة المعاني الإنسانية ودواعي الإيمان بالله واليوم الآخر[١].

الصورة السادسة ـ استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره:

ومن صور اللامبالاة بأكل الحرام: أن بعض الناس يستوفون من الأجير، فإذا طالب الأجير بحقه بخسه، ولم يعطه له كاملاً، ولقد رغَّب النبي ﷺ في سرعة إعطاء الأجير حقه، فقال: «قبل أن يجفَّ عرقه»[٢].

ومن أنواع الظلم الحاصل في مجتمعات المسلمين عدم إعطاء الأجراء والموظفين حقوقهم، ولهذا عدة صور منها: أن يجحده حقه بالكلية، ولا يكون للأجير بيِّنة، فهذا وإن ضاع حقه في الدنيا، فإنه لا يضيع في الآخرة عند الله يوم القيامة، فإن الظالم يأتي وقد أكل مال المظلوم فيُعطي المظلوم من حسنات الظالم، فإن فنيت أخذ من سيئات المظلوم فطرحت على الظالم ثم طرح في النار.

ومنها: أن يبخسه فلا يعطيه إياه كاملاً، وينقص منها دون حق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١)، ومن أمثلة ذلك: ما يفعله أرباب العمل إذا

---

(١) «الحلال والحرام» (ص٢٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه، وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٤٩٣).

استقدم عمالاً من بلدهم، وكان قد عقد معهم عقدًا على أجر معين، فإن ارتبطوا به وباشروا العمل عمد إلى العقود فغيرها بأجور أقل، فيقيمون على كراهية وقد لا يستطيعون إثبات حقوقهم، فيشكون أمرهم إلى الله وإن كان رب العمل الظالم مسلمًا، والعامل كافرًا، كان ذلك البخس من الصد عن سبيل الله فيبوء بإثمه، ومنها: أن يزيد عليه أعمالاً إضافية أو يطيل مدة الدوام ولا يعطيه إلا الأجرة الأساسية، ويمنعه أجره الإضافي، ومنها: أن يماطل فيه، فلا يدفعه إليه إلا بعد جهد جهيد، وملاحقة وشكاوى ومحاكم، وقد يكون غرض رب العمل من التأخير إملال العامل حتى يترك حقه، ويكف عن المطالبة أو يقصد الاستفادة من أموال العمال بتوظيفها، وبعضهم يرابي فيها، والعامل المسكين لا يجد قوت يومه، ولا ما يرسله نفقة لأهله وأولاده المحتاجين الذين تغرب من أجلهم، فويل لهؤلاء الظلمة من عذاب يوم أليم.

روى أبو هريرة ﵁ قال النبي ﷺ: **«قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلاً أعطى بي ثم غدر، ورجل باع رجلاً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه ولم يعطه»**[(١)(٢)].

الصورة السابعة ـ استيفاء الأجر، وعدم إتقان العمل:

فهذه الصورة من صور اللامبالاة والتي أضحت ظاهرة في هذه الأيام، فما تدخل هيئة من الهيئات إلا رأيت هذه الظاهرة، فهذا تأخر عن موعد العمل، وهذا جاء بطعام وشراب وحول مقر عمله إلى مطعم، فإذا جاءه إنسان لقضاء مصلحة كشَّر في وجهه، وعبس وبسر، وقال له: «فوت وتعالى بكرة يا سيد»،

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٧٢).
(٢) «محرمات استهان الناس بها» (٥٦-٥٨).

وهذا يخرج ويترك مكتبه، إما للجلوس على المقاهي أو لشراء لوازم البيت، وآخر ما يفكر فيه هو عمله، وآخر يجلس ليقرأ الأخبار ويحل الكلمات المتقاطعة وآخر لا يأتي إلى عمله إلا يوم تقاضي الراتب، فإذا تأخر الصراف قامت الدنيا ولم تقعد، وهو الذي ما أتقن عمله، وما راقب ربه، فهذا قد خان الأمانة التي جعلت في عنقه فويل لهؤلاء من رب الأرض والسماء.

يقول العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: وأما أداء الأمانة فيما بينكم وبين العباد، فأن تقوموا بما أوجب الله عليكم من حقوق بحسب ما يقتضيه العمل الذي التزم به الإنسان نحو غيره من الناس، فولاة الأمور صغارًا كانوا أو كبارًا، رؤساء أو مديرين أمانتهم أن يقوموا بالعدل فيما ولوا عليه وأن يسيروا في ولايتهم حسبما تقتضيه المصلحة في الدين والدنيا، وألا يحابوا في ذلك قريبًا ولا صديقًا، ولا قويـًا ولا ضعيفًا، ولا غنيًا ولا شريفًا، فقد أقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق بدون قسم: «**لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها**»، أقسم على ذلك علنًا، وهو يخطب حينما شُفع إليه في رفع الحد عن المرأة التي من بني مخزوم، أقسم على ذلك تشريعًا للأمة وتبيانًا للمنهج السليم الذي يجب أن يسير عليه ولاة الأمور، والموظفون أمانتهم في وظائفهم أن يقوموا بها على الوجه المطلوب وألا يتأخروا في أعمالهم أو يتشاغلوا بغيرها إذا حضروا مكان العمل، وألا يتعدوا في أمر لا يعنيهم، فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، إن بعض الموظفين يخدعون أنفسهم حينما يحدثونها إذا تأخروا عن واجبهم بأن الأنظمة ليست أمورًا دينية، وأن الأجرة والراتب الذي يأخذه من بيت المال ونحو ذلك، وهذه خدعة يغترون بها، وأما النظام فما دام ولاة الأمور قد نظموه وهو لا يخالف الشريعة، **فإن الواجب طاعتهم فيه، وطاعتهم فيه من طاعة الله، قال**

الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، وأما الراتب الذي تأخذه من بيت المال، فإنما تستحقه في مقابلة عمل، فإن قمت به كان الراتب حلالاً لك، وإلا فما الذي يحلله لك، ويحرمه على غيرك[1].

الصورة الثامنة - سؤال الناس من غير حاجة:

ومن صور اللامبالاة التي شاعت احتراف المسألة وسؤال الناس إلحافًا وتكثرًا، فتراهم على الأرصفة وعلى أبواب المساجد وفي السيارات وفي مواسم الحصاد، وتراهم وقد ازدحمت بهم الحقول، فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بما جمعوا من أموال، إنما هي حرام وسحت، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله، وليس في وجهه مزعة لحم»**[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال ﷺ: **«من سأل الناس بغير فاقة نزلت به، أو عيال لا يطيقهم جاء يوم القيامة بوجه ليس عليه لحم»**[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«من سأل الناس تكثرًا، فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر»**[4].



(١) «الضياء اللامع» (جـ٢) - (ص٦٠٦).
(٢) رواه البخاري رقم (١٤٧٤)، ومسلم رقم (١٠٤٠).
(٣) «صحيح الترغيب» رقم (٧٩٤).
(٤) رواه مسلم رقم (١٠٤١).

الباب السابع

اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١)

الفصل الأول ـ *اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.*

الفصل الثاني ـ *خطورة اللامبالاة بذلك.*

الفصل الثالث ـ *ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.*

الفصل الرابع ـ *فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.*

الفصل الخامس ـ *صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.*

الفصل السادس ـ *كيفية إنكار المنكر.*

الفصل السابع ـ *أسئلة وأجوبة حول الموضوع.*

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **«سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة الحمار، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر».**

اللامبالاة
وأثرها على
الفرد والمجتمع

---

(١) لقد أسهبت في هذا الباب لأن عليه مدار صلاح الدين والدنيا، ومتى قامت الأمة به تلاشت مظاهر اللامبالاة من المجتمع؛ لذا ذكرته بالتفصيل ـ فالله المستعان ـ.

الفصل الأول

اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن اللامبالاة التي أصابت نفوس كثير من الناس بالبلادة وتبلد الإحساس حتى أضحت أمرًا عاديًا: قضية اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذا يشرب الخمر ولا يجد من ينكر عليه، وذلك يتعامل بالربا ولا يجد من يقول له: اتق الله، وهذه متبرجة سافرة قد ضلت وأضلت ومالت، ولا تجد من يقول لها: اتقي الله، وهذا يشرب الدخان والمخدرات ولا يجد من ينبذه ويهجره حتى يرجع عن غيه وضلاله، وحدِّث عما يحدث في الأفراح من منكرات ومحرمات، ولا تسمع أحدًا يقول: هذا مخالف لأمر الله ولأمر رسوله، فالأفراح صارت مستنقعًا للرزيلة والفجور بدعوى الفرح والسرور، فيها غناء، وتبرج، وشرب دخان، وإسراف وتبذير، واختلاط بين الرجال والنساء .. وهلم جرا، ومآتمنا أصابها ما أصاب الأفراح من ابتداع في الدين واجتماع غير مشروع وإضاعة للصلوات.

ومع هذا البلاء لا نسمع من يقول لهم: اتقوا الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، وإذا أمر آمر، أو نهى ناهٍ، سمعت الضجر والغضب، وكأنه اقترف إثمًا عظيمًا، وصدق حذيفة بن اليمان ﷺ: **«سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة الحمار، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن، الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»**.

يقول العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أيها الناس .. لقد مرضت القلوب وكاد المرض يقضي على بعضها بالموت، حتى نُزعت الغيرة الدينية من كثير

منها، فأصبحت لا ترى المعروف معروفًا، والمنكر منكرًا، أصبح الإنسان من هؤلاء لا يتمعر وجهه ولا يتغير من انتهاك حرمات الله، وكأنه إذا حدث انتهاكها يحدث عن أمر عادي لا يؤبه له، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس والأولاد والأموال. اهـ[1].

ويقول أيضًا ـ وهو يصف تلك اللامبالاة التي انتشر خطرها واستفحل أمرها ـ: عباد الله . . لقد انتشرت المعاصي في مجتمع الأمة الإسلامية، وأصبح ما كان منكرًا بالأمس معروفًا، اليوم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، تعاملوا بالربا ومنعوا الزكاة وابتعدوا عن الحياء وانتهكوا الحرمات، صدوا عن سبيل الله، واتبعوا سبل الكافرين، زُين لهم سوء أعمالهم، فظنوا ذلك تحررًا وتقدمًا وتطورًا، وما علموا أن ذلك هو الرق تحت قيود الهوى، والتأخر عن الفضائل إلى الورى، والتدهور إلى الهاوية والردى.

أيها المسلمون .. المؤمنون بمحمد ﷺ، إن أسباب التدهور ترجع إلى أمرين:

أحدهما ـ ضعف الدين في النفوس، وقوة إلى الباطل.

والثانية ـ ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمداهنة في دين الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وإن حماية الدين لا تكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بما أمر الله به ورسوله، والنهي عما نهى الله عنه ورسوله، بقصد النصيحة لله ولعباد الله.

أيها المسلمون .. إن من المؤسف المروع أن نرى مجتمعنا الإسلامي أمة هكذا شعبًا متفككًا، لا يغارون لدين الله، ولا يخافون من وبال لا يتفقد الرجل أهله

---

(١) «الضياء اللامع» (ص٢٦٥).

وولده، ولا ينظر في جيرانه، بل تراه يرى المعاصي فيهم، لا ينهاهم عنها، ويرى التقصير في الواجب، فلا يتداركه، وهذا ـ أيها المسلمون ـ ينذر بالخطر، لا سيما مع كثرة النعم، والإنغماس في الترف، يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٦)، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٤)(١).



(١) «الضياء اللامع» (ص٥٩٦-٥٩٧).

الفصل الثاني

خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في هذا الفصل نوضح لكل مسلم ومسلمة يرجو النجاة لنفسه وأهله وأمته، خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علَّ وعسى أن يكون ذلك سبب من أسباب عودة الأمة إلى قطب الإسلام الأعظم، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ونجاة الأمة من تيه الغفلة، ونجاة سفينة الإسلام من خطر هؤلاء البطالين الذين ما فتئوا يخرقون تلك السفينة!.

*** وإليك - أخي المسلم .. أختي المسلمة - آثار اللامبالاة بتلك الفريضة:**

١ - *كثرة الخبث:*

روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ يومًا من نومه فزعًا، وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**»، وحلّق بين أصبعيه السبابة والإبهام، فقالت له زينب رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟!، قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

وكيف يكثر الخبث؟ إن المنكر إذا أعلن في مجتمع ولن يجد من يقف أمامه وفي وجهه يمتد، فإنَّ سوقه تقوم، وعوده يشتد، وسلطته تظهر، ورواقه يمتد، ويصبح دليلاً على تمكن أهل المنكر وقوتهم، وذريعة لاقتداء الناس بهم، وتقليدهم إياهم، وما أحرص أهل المنكر على ذلك، لهذا توعدهم الله - جَلَّ وعَلا -، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (النور:١٩)، وعند ذلك ينحسر المعروف بل يصبح منكرًا وتصير على العيون غشاوة، فلا ترى إلا ما أشربت من هواها.

ثانيًا - إن كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العام، والهلاك الشامل، كما ورد ذلك في حديث زينب السابق، ولقد بوب الإمام مالك في (الموطأ) على هذا الحديث بابًا سماه: «**باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة**»، وساق تحت الباب أثرًا عن عمر بن عبد العزيز، وهو قوله: «**كان يُقال: إن الله - تبارك وتعالى - لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمِلَ المنكر جهارًا استحقوا كلهم**»[1].

وقد قص الله تعالى علينا خبر بني إسرائيل حين نهاهم أنْ يعدوا في السبت، ولنا في تلك القصة عبرة: ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ (الأعراف: ١٦٤-١٦٦)، إذن فقد أنجى الله تعالى الذين ينهون عن السوء فقط، أما البقية فقد عذبهم كلهم - هذه سنته - في كل أمة حق عليها العذاب، فإن لم يكن في الأمة من ينهى عن السوء والفساد، فلا نجاة لأحد منها: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ** ﴾ (هود: ١١٦).

وفي حديث جرير الذي رواه أبو داود: «**ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا**»[2].

---

(١) «الموطأ» (جـ ١) - (ص٩٩١).

(٢) رواه أبو داود.

إن وجود المصلحين في الأمة هو صمام الأمان لها، وسبب نجاتها من الهلاك العام، فإن فقد هذا الصنف من الناس، فإن الأمة - وإن كان فيها صالحون - يحل عليها عذاب الله كلها، صالحها وفاسدها، لأن الفئة الصالحة سكتت عن إنكار الخبث، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت أن تشملها العقوبة.

وروى أبو داود والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه: قال: **«أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** (المائدة: ١٠٥)، **وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بالعقاب منه»**، وقد روي مرفوعًا كما روي موقوفًا على أبي بكر، لكن له حكم المرفوع لأنه مما لا يقال بالرأي، وروى حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب له»**[(١)].

يهز القلوب الحية، ويدفع أصحابها إلى أن يكونوا من أولي البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، لتكون سفينة المجتمع محمية من الغرق الذي يهددها عندما يترك السفهاء يخرقون فيها، كما روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأمد في «المسند» (جـ ٥) - (ص٣٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي رقم (١٧٦٢).

(٢) رواه البخاري (٢٣٦١).

فالمجتمع تمامًا كأصحاب سفينة هؤلاء، فإن الذين في أعلى السفينة إن تركوا الذين في أسفلها ليخرقوا في نصيبهم خرقًا، وقالوا: هذه حرية شخصية لهم، فليفعلوا ما شاءوا، فإن النتيجة غرق السفينة وهلاك الجميع، وإن يأخذ الذين في الأعلى على أيدي الذين في الأسفل، وقالوا لهم: ليس الإضرار بالملك العام من الحرية الشخصية، فالنتيجة نجاة الجميع، وهكذا حال المجتمع، فإن أهل الفساد الواقعين في حدود الله يخرقون بمعاول انحرافهم في سفينة المجتمع، فإن أخذ المصلحون على أيديهم ومنعوهم من الإضرار بالمجتمع نجا الجميع، وإن تركوهم في غيهم وتخاذلوا عن الإنكار عليهم، هلكوا قاطبة.

وقبل أن أترك الحديث عن هذه العقوبة أود أن أنبه إلى أمر لا يكاد ينقضي العجب منه، وهو أن بعض الناس يستغربون مثل هذا الكلام، يستغربون من قول الناصحين: إن المصلحين هم حماة سفينة المجتمع من الغرق، بل قد يستغربون من قول الناصحين: إن ما أصابنا وأصاب غيرنا من الأحداث الأخيرة المؤلمة، إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، يستغربون ذلك ويعزو بعضهم ما حدث إلى الأسباب المادية، ويقولون: كيف تكون المعاصي هي سبب ما حدث، والكفار مع كفرهم يعيشون في نعيم وسعادة عيش، وتمكين في الأرض؟!

هكذا يقولون ويظنون متناسين أو جاهلين سنن الله الثابتة والنصوص الصريحة الواضحة والوقائع التاريخية السالفة والخالفة، وهذا منطق الذين لا تتعدى نظرتهم الحياة الدنيا، ومنطق السطحيين الذين ينظرون إلى رقعة محدودة من المكان، في حيز محدود من الزمان، ومنطق الماديين الذين ينكرون وحي الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ

أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦-١٠٠)، ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٦-١٧)، ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٣٣-٣٥)[١].

وهكذا يتبين لكل ذي عينين أن الذنوب والمعاصي واللامبالاة بها من أخطر الأمور التي تهلك الأمم والشعوب، وإن كان بعض العصاة يظهر عليهم السعادة والنعمة في الظاهر، إلا أن هذا من حكمة الله تعالى، حيث أنه يستدرجهم، وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٤٤).

يقول أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث له النبيين أجمعين، ولو طُوى بساطه وأُهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعزَّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن

(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٣٢/ ٣٧).

سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها، أو متقلدًا لتنفيذها مجددًا لهذه السنة الدائرة، ناهضًا بأعبائها ومتشمرًا في إحيائها، كان مستأثرًا من بين الخلق، بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، وستبدأ بقربة تتضاءل درجات القرب دونها[١].

ثالثًا ـ عدم إجابة الدعوة: ومن آثار اللامبالاة بتلك الفريضة «عدم استجابة الدعاء»، الإنسان يلجأ إلى الله وحده عندما يمسه الضر، ويدعوه سبحانه أن يكشف عنه السوء، حتى المشرك يفعل ذلك: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣)، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧)، والمسلمون التاركون لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندما ينزل بهم العقاب يتجهون إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يدعونه ولكنه لا يستجيب لهم، كما جاء في حديث حذيفة الذي سبق ذكره أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليبعثن الله عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[٢].

بالله أوَ حقًا يدعو الناس فلا يستجيب الله لهم؟، الله الذي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، الله الذي يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، هل يمكن أن يحدث ذلك؟!، صدق الله، وصدق رسوله، وما يمكن أن يكون ذلك حقًا، وإنه لحق ترتجف له النفس ويقشعر الوجدان رعبًا، وماذا يبقى للناس إذًا؟، وما يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم أبواب الرحمة، ولمن يلجأون في هذا الكون العريض كله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سبق تخريجه.

وقد أوصد الباب الأكبر الذي توصد بعده جميع الأبواب، ويبقى الإنسان في العراء الكامل، الذي لا يستره شيء ولا يحميه من لفحة الهاجرة، وقسوة الزمهرير، ألا إنه لَلْهول البشع الذي يتحامى الخيال ذاته أن يتخيله، لأنه أفظع من أن يطيقه الخيال، فهل كتب الله ذلك الهول البشع على عباده المسلمين الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه؟.

نعم .. حين يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو بأضعف الإيمان . اهـ[١].

أجل لقد أوصدت الأبواب فها هي الأمة تدعو ولا يستجاب لها، فها هم المسلمون يذبحون في فلسطين الجريحة، ويشردون في العراق العريقة، والمسلمون يجأرون في مساجدهم ليل نهار، وما يزداد العدو إلا قسوة وظلمًا!!، أتدري لماذا يا عبد الله؟، لأن هؤلاء الذين يجأرون لم يبالوا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فما زال الولاء والبراء لغير الله ورسوله، وما زال التبرج والسفور منتشرًا، وما زالت الرذيلة لها في بيوتنا مكان وسوقًا قائمة، ولم تجد من يقول لها ولأتباعها: اتقوا الله ولا تخرقوا سفينة الأمة!!.

فأنت - يا من لا تبالي بتلك القضية - سبب من أسباب تسلط الأعداء على الأمة، وسبب من أسباب تأخر النصر، فهل بعد ذلك العقاب عقاب؟.

رابعًا - أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر شريك له في إثمه، وشريك له في الجزاء وفي العقاب يوم القيامة.

(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٤٣-٤٤).

قال رسول الله ﷺ : «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها، فرضيها كان كمن شهدها»[1].

خامسًا - أنه سبب من أسباب اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى، ولقد لعن الله كفار بني إسرائيل ولعنهم أنبياؤهم لتركهم هذه الفريضة، فقال سبحانه: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩).

يقول القرطبي - رحمه الله -: قوله تعاليك ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضًا، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾، ذمٌّ لتركهم النهي، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل أول ما يلقى الرجل، فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك، ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾، إلي قوله: ﴿ فَاسِقُونَ ﴾»[2].

الثانية - قال ابن عطية: والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه، ويهجر

---

(١) واه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٢).

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن، والحديث مختلف في إسناده، فمرة موصول ومرة مرسل، والمرسل أرجح، فالحديث ضعيف، وقال الألباني في «المشكاة» (٥٤١٨): ضعيف.

ذا المنكر، ولا يخالطه، وقال حُذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليمًا عن معصيته، بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا، وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضًا، واستدلوا بهذه الآية، لأن قوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي، وفي الآية: دليل على النهي عن مجالسة المجرمين، وأمر بتركهم، وهجرانهم وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المائدة: ٨٠)[١].



(١) «تفسير القرطبي» (جـ ٤) ـ (ص٢٢٥١١).

الفصل الثالث

ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهيا لنعـيش مع أئمة الإسلام، وهم يوضـحون لنا ضرورة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه أمر لابد للأمة منه بل لا حيـاة لها، ولا بقاء لعزتها إلا إذا اعتصمت بهذه الفريضة وأحيتها فيما بينها.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بيان الحـاجة إلى القيام بهذه الفريضة: وكل بشر على وجه الأرض، فلابد له من أمر ونهي، ولابد أن يأمر وينهى حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها، إما بمعروف أو بمنكر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف:٣)، فإن الأمر هو طلب الفـعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته، ولابد لكل حي من إرادة وطلب في نفـسه يقـتضي بهمـا فعل نفـسه، ويقتضي بهما فعل غـيره، إذا أمكن ذلك، فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته، وبنو آدم لا يعيشون إلا باجـتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان، فـصاعدًا، فلا بد أن يكون بينهمـا ائتمار بأمر، وتناهٍ عن أمر، وإذا كـان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فـمن لم يأمر بالمعروف الذي أمـر الله به رسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه رسوله، وإلا فـلابد أن يأمر وينهى ويؤمر ويُنْهى إمـا بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله. اهـ.

ولزيادة توضيـح ما ذكره ابن تيـمية نذكـر الأخ القارئ بما تقـدم من وجود أعداء كـثيـرين لابن آدم من الشيـاطين والكفار والمـنافقين، وإن لهـؤلاء الأعداء أعوانًا فـي الإنسان نفسـه من الأهواء والشـهوات، ولتعلـم أن هؤلاء الأعداء لا يفترون عن مـحاربة المؤمن، ومحاولة إخراجـه عن طاعة ربه، وأهل الإيمان في مواجهة هؤلاء الأعداء أصناف:

* فمنهم: من يستجيب لهم في الكفر والارتداد عن طريق الإيمان بالكلية ـ والعياذ بالله تعالى ـ ومنهم من يستجيب لهم في معصية الله في بعض الأمور، وإن لم يستجب لهم في الخروج عن دين الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وهؤلاء هم أهل المعاصي والمنكرات، ومنهم من لا يستجيب للأعداء في الكفر، ولا في المعصية، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون، وإذا كان أعداء المؤمنين دائبين في حربه وصده عن سبيل الله، فإن أعظم الخطر أن لا يجد هؤلاء الأعداء من يقف أمامهم من المؤمنين الصادقين، لأن حصيلة هذا الوضع ستكون نقصانًا مستمرًا في جانب أهل الإيمان، وزيادة مستمرة في جانب أهل المعاصي، حتى يصبح الصادقون من المؤمنين أنفسهم على خطر عظيم، غير أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف أمام المستجيبين للشياطين من الظالمين والفاسقين، وإعادتهم إلى حظيرة الطاعة لله بوسائل اللين والشدة.

كل ذلك يوقف من المد الشيطاني، ويقلل من معصية الله وأهلها في مجتمع الإيمان، وينجي هذا المجتمع من غضب الله والفتن العامة الطامة، التي لا ينجو منها إلا الذين ينهون عن السوء، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولذلك قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الأنفال: ٢٥)، وفي المقابل يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، فمن لا ينهى عن السوء لا ينجيه مجرد إيمانه وقيامه ببعض الطاعات عند حلول الفتن والمصائب، ولكن الذي ينجيه هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بعد إيمانه وطاعته لربه.

وقد ذكر الإمام أحمد أثرًا فيه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب، كيف وفيهم فلان العابد؟، فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعَّر وجهه في يوم قط!! وذكر أبو بعمرو في كتاب

(التمهيد): أن الله - سبحانه وتعالى - أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: **«أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إلى فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك»**، فقال: يا رب، وأي شيء لك علي؟، قال: **«هل واليت فيَّ وليًا، أو عاديت فيَّ عدوًا؟»**.

يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان خطر من يعطل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل التفرغ لأنواع العبادات من الذكر والقراءة والصيام: وقد غرَّ إبليس أكثر الخلق، بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام، والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينًا، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس - والله المستعان -.

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطانه أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم، فلا مبالاة بما يجري على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاث بحسب وسعه وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتَمَّ كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل[١].

---

(١) «أعلام الموقعين» (جـ ٢) - (١٧٧).

فهذا النوع من الجهاد تقوية لجبهة أهل الإيمان الداخلية والتنقية لها من كل فاسد مفسد، وتضييق على أهل النفاق وقصم لظهورهم، يروي أبو بكر الخلال عن سفيان أنه قال: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر راغمت أنف المنافق، وأما العزوف عن هذا الجهاد فيكون فيه تقوية للمنافقين وإعلاء لشأنهم، وإمداد لشرهم، وفسادهم.

روى الخلال عن أحمد بن حنبل، أنه قال: يأتي على الإنسان زمان يكون المؤمن فيه مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، قيل: وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟، فقال: صيَّروا أمر الله فضولاً، المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، لم يصبر حتى يأمر وينهى، فيقولون: هذا فضول، والمنافق كل شيء يراه بيده على فمه[1]، فيقولون: نعم الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل[2].

وعندما يغدو حال المجتمع الإسلامي، كما وصفه ابن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ تتبدل القيم وتنتكس النظرة الإسلامية إلى الأمور، فيصير الآمر بالمعروف فضوليًا، والمنافق مهذبًا ومؤدبًا، فيؤول الأمر إلى انتشار المعاصي، كما قال بعض العلماء (المعصية بريد الكفر) فإذا كثرت ولم يجد العصاة مَنْ يحدُّ من فسوقهم عن أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، كثر بالتالي المرتدون عن دين الله، والداخلون في ولاية الشيطان والكفار، إلى أن ترجع الحال إلى ما كانت عليه في الجاهلية الأولى، فيعطل شرع الله، ويتخذ ظهريًا، ويهجر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتتحكم الأهواء في العباد، ويكون ذلك كله ثمرة التقاعس عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أي: أغلق فمه، فلم ينه عن منكر، ولم يأمر بمعروف.

(٢) كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص١١٢).

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في بيان قدر هذه الفريضة وخطورة هذا النوع من الجهاد ووجوبه على المؤمنين: واعلم أن هذا الباب ـ أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولاسيم وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لهذا، وكانت الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أولياء المؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها[1].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (جـ ٢) ـ (ص٢٤).

ويقـول ابن العـربي المالكي: الأمـر بالمعروف والنـهي عن المنكر، أصل في الدين، وعمـدة من عمد المسلمين، وخلافـة رب العالمين، والمقصود الأكـبر من بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه[١].

ويقول ابـن تيميـة ـ رحمـه الله ـ: ويجب على أولي الأمر، وهم علـماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فيأمروهم بما أمر الله ورسـوله، مثل شرائع الإسلام، وهي الصلوات الخمس في مواقـيتها، وكـذلك الصدقات المفـروضة والصوم المشروع وحج البـيت الحرام، ومثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومثل الإحسـان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فـإنه يراك، ومثل ما أمر الله به ورسله من الأمـور الباطنة والظاهرة، ومثل إخـلاص الدين لله، والتوكل على الله، وأن يكون الله ورسـوله أحب إليـه مما سواهمـا، والرجـاء لرحمـة الله، والخشيـة من عذابه، والصبـر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، ومثل صـدق الحديث والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبر الوالدين وصلة الأرحام ..[٢].



(١) «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» (١٣٨-١٤٣).
(٢) «الاستقامة» (٢٠٩١٢) ـ (٢١٠).

الفصل الرابع

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واعلم - علمني الله وإياك - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الفريضة التي فضل الله بها هذه الأمة على سائر الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فبيَّن الله - سبحانه وتعالى - أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم وأعظمهم إحسانًا إليهم، لأن كل أمورهم خير ونفع للناس، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك الجهاد في سبيل الله بأنفسهم، وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق؛ كما أن الأمر بالمعروف هو من صفات المؤمنين، يقول - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١).

وأمر الله تعالى المسلمين بأن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، كما تشمل المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، ثم قال: **«الخير: اتباع القرآن وسنتي»**[(١)].

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متوجهة لهذا الشأن، وأن يكون واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده،**

---

(١) رواه ابن مردويه.

فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لَتَدْعُنَّهُ فلا يُسْتَجَابُ لكم**»[١]، ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة حسنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فبالرسول ﷺ أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وإحلال كل طيب، وتحريم كل خبيث، وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر، كما أن إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف.

ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة، لأن الله تعالى قد أخبر أنهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم، أو إسقاط واجب، أو تحريم حلال، أو إخبار عن الله تعالى أو خلقه بباطل، كانوا متصفين بالأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف.

وقد تأسى الصحابة بالرسول ﷺ، واقتدوا به، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتناصحوا فيما بينهم ووفوا بما بايعوا عليه رسول الله ﷺ، تلك البيعة التي حدث عنها الوليد عبادة بن الصامت، فقال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**»[٢].

(١) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٣٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (١٧٦٢).
(٢) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦).

وإذا كان المجتمع الإسلامي قد قام ومن قواعده الهامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه ينبغي التنبيه إلى أنه كان مجتمعًا نقيًا سليم الفطرة، ولذلك كان ما تراه عقول أفراده من منكر حقًا، وما يرونه معروفًا هو معروف في حقيقته، أما إذا فسدت الضمائر في المجتمع واختلت الأمور، فإن الحكم على المعروف والمنكر قد يغدو مقلوبًا، وغير سديد، والمعروف هو ما تتفق العقول على عدم إنكاره، أما المنكر فهو كل جريمة اجتماعية، أي: كل جريمة تتجاوز آثارها الشخص الذي ارتكبها إلى المجتمع الذي يعيش فيه، كالزنا والقتل والسرقة والغيبة والنميمة والكذب والوشاية وشهادة الزور، وإذا اقترنت الفاحشة بالمنكر، كما في قوله تعالى: ﴿لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (النور: ٢١)، كأن القصد من الفحشاء أو الفاحشة هو جريمة الزنا وحدها، أما المنكر فيبقى عامًا يشمل الجريمتين الأخيرتين القتل والسرقة، كما يشمل المنكر كل ما تستنكره العقول السليمة، وتأباه النفوس الزكية والفطرة النقية[١].



(١) «الأخلاق في الإسلام» (ص٢٠٠-٢٠٣).

الفصل الخامس

صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* وهيا لنقف مع تلك الصور المشرقة التي نالت الخيرية بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، أقدمها إلى هؤلاء الذين أصابتهم عدوى اللامبالاة لعلهم إذا وقفوا عليها حركت فيهم الغيرة على دين الله تعالى، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر:

المشهد الأول:

- **لأبي الدرداء** رضي الله عنه: مرَّ أبو الدرداء برجل قد أصاب ذنبًا، وكانوا يسبونه، فقال لهم: «**أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟**»، قالوا: بلى، قال: «**فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم**»، قالوا: أفلا نبغضه؟، قال: «**إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي**».

في هذا المشهد رأينا الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فينبغي للآمر بالمعروف أن يلطف في قوله، وفي أمره، وفي نهيه، وصدق الله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤).

المشهد الثاني:

قال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران، وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت، فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه، فقال للناس: «**تنحوا عن ابن أخي**»، ثم قال: «**إليَّ ابن أخي**»، فاستحى الغلام، فجاء إليه، فضمه إليه، ثم قال له: «**امضِ معي**»، فمضى معه، حتى صار إلى منزله، فأدخله الدار، فقال لبعض غلمانه: «**بَيِّته

عندك، فإذا أفاق من سكره، فأعلمه بما كان منه، ولا تتركه ينصرف حتى تأتيني به»، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه، وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه، فأدخله عليه، فقال له ابن عائشة: **«أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله وانزع مما أنت فيه»**، فبكى الغلام منكسًا رأسه، ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أن لا أعود للشرب، ولا لشيء مما كنت فيه، وأنا تائب، فقال ابن عائشة: **«ادن مني»**، فقبل رأسه، وقال: **«أحسنت يا بني»**، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث، وكان ذلك ببركة الرفق[1].

المشهد الثالث:

من الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشهد رجل في سياق الموت، ولكنه لم يشغله جُرحه الغائر عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يقول ابن الجوزي: فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: «أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة»، قال: «وددت أن ذلك كان كفافًا لا لي، ولا علي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض»، قال: «ردوا علي الغلام»، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك».

---

(١) «الدعوة قواعد وأصول» (١٤٢).

تأمل - يا من لا تبالي - عمر في سياق الموت، ولم يشغله ما هو فيه من ألم، ومن سكرات الموت، أن يأمر ذلك الفتى؛ إنهم بايعوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المشهد الرابع:

إنه الحرص على تبليغ هذه الرسالة، إنه الإيمان بثقل المسئولية الملقاة على كل مسلم نحو فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم الأذى، رغم الأسى، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٢).

يقول محمد الحريف في رسالة «هل طرقت الباب» تحت عنوان «أما زوجها فقد جاوز الأربعين»: مدمن خمر يسكر فيضربها هي وبناتها ويطردهم .. جيرانهم يشفقون عليهم، ويتوسلون إليه ليفتح لهم، يسهر ليلة سكرًا، وتسهر هي بكاءًا ودعاءًا، كان سيء الطباع .. سكن بجانبهم شاب صالح، فجاء لزيارة هذا السكِّير، فخرج إليه يترنح، فإذا شاب ملتحٍ وجهه يشع نورًا، فصاح به: «ماذا تريد؟»، قال: «جئتك زائرًا»، فصرخ: «لعنة الله عليك يا كلب .. هذا وقت زيارة»، وبصق في وجهه .. مسح صاحبنا البصاق، وقال: «عفوًا آتيك في وقت آخر، مضى الشاب كسابقتها، حتى جاء مرة، فخرج الرجل مخمورًا، وقال: «ألم أطردك، لماذا تصر على المجيء؟»، فقال: «أحبك أريد الجلوس معك»، فخجل وقال: «أنا سكران»، قال: «لا بأس، أجلس معك وأنت سكران»، دخل الشاب وتكلم عن عظمة الله، والجنة والنار، وبشره أن الله يحب التوابين، كان الرجل يدفع عبراته ثم ودعه الشاب ومضى، ثم جاءه فوجده سكران فحدثه أيضًا بالجنة والنار والشوق إليها، وأهدى إليه زجاجة عطر فاخر ومضى، حاول أن يراه في المسجد، فلم يأت، فعاد إليه فوجده سكران،

فحدثه، فأخذ الرجل يبكي ويقول: «لن يغفر الله لي أبدًا .. أنا حيوان .. سكير لن يقبلني الله .. أطرد بناتي وأهين زوجتي وأفضح نفسي»، وجعل ينتحب، فانتهز الشاب الفرصة، وقال: «أنا ذاهب للعمرة مع مشايخ فرافقنا»، فقال: «أنا مدمن»، قال: «لا عليك هم يحبونك مثلي»، ثم أحضر الشاب ملابس إحرام من سيارته، وقال: «اغتسل والبس إحرامك»، فأخذها ودخل يغتسل والشباب يستعجله حتى لا يعود في كلامه، خرج يحمل حقيبته، ولم ينس أن يدس فيها خمرًا، انطلقت السيارة بالسكير والشاب، واثنين من الصالحين، تحدثوا عن التوبة، والرجل لا يحفظ الفاتحة، فعلموه، اقتربوا من مكة ليلاً، فإذا الرجل تفوح منه رائحة الخمر، فتوقفواليناموا، فقال السكير: «أنا أقود السيارة، وأنتم ناموا»، فردوه بلطف، ونزلوا وأعدوا فراشه، وهو ينظر إليهم حتى نام، فاستيقظ فجأة، فإذا هم يصلون، أخذ يتساءل: يقومون ويبكون وأنا نائم سكران، أذن الفجر فأيقظوه، وصلوا ثم أحضروا الإفطار، وكانوا يخدمونه كأنه أميرهم، ثم انطلقوا، بدا قلبه يرق اشتياقًا للبيت الحرام، دخلوا الحرم، فبدأ ينتفض، سارع الخطى .. أقبل إلى الكعبة .. وقف يبكي: «يارب .. ارحمني .. إن طردتني فلمن ألتجأ، لا تردني خائبًا» .. خافوا عليه .. الأرض تهتز من بكائه .. مضت خمسة أيام بصلاة ودعاء، وفي طريق عودتهم فتح حقيبته وسكب الخمر، وهو يبكي .. وصل بيته .. بكت زوجته وبناته .. رجل في الأربعين .. ولد من جديد .. استقام على الصلاة، لحيته خالطها البياض، ثم أصبح مؤذنًا ومع القراءة بين الأذان والإقامة حفظ القرآن. اهـ.

هكذا تكون الدعوة إلى الله تعالى، وإذا كانت تلك المشاهد السابقة مع آحاد الرعية، فهيا لنرى صورًا مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الطغاة

الجبارين مع الحكام والأمراء، لنرى في وضوح حقيقة قول النبي ﷺ حيث قال عندما سُئل: «ما أفضل الجهاد؟»، قال: «**كلمة عدل عند سلطان جائر**»[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[(٢)].

المشهد الأول:

بين أبي جعفر المنصور وابن طاووس ـ رحمه الله ـ: رُوي أن أبا جعفر المنصور استدعى ابن طاووس أحد علماء عصره، ومعه مالك بن أنس، فلما دخلا عليه أطرق ساعة، ثم التفت إلى ابن طاووس، فقال له: حدثني عن أبيك طاووس بن كيسان التابعي، فقال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل أشركه في حكمه، فأدخل عليه الجور في عدله**»، فأمسك ساعة، قال مالك: «فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه»، ثم التفت إليه أبو جعفر، فقال: «عظني يا ابن طاووس»، قال: «نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ (الفجر: ٦-١٤)، قال مالك: «فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه، فأمسك، ثم قال: «ناولني الدواة»، فأمسك ساعة حتى اسود بيننا وبينه، ثم قال: «يا ابن طاووس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه»، فقال: «ما يمنعك أن تناولنيها؟»، فقال: «أخشى أن تكتب بها معصية، فأكون شريكك فيها»، فلما

---

(١) رواه الترمذي (٢١٧٤)، وأبو داود (٤٣٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».
(٢) رواه الترمذي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

سمع ذلك قال: «قوما عني»، قال ابن طاووس: «ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم»، قال مالك: «فمازلت أعرف لابن طاووس فضله»[1].

وهكذا تجلى الإيمان وتجسد في ذلك الموقف الذي يفيض قوة وشجاعة، نابعة من قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

المشهد الثاني:

وهذا مشهد آخر مع الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ، ومع ذلك الطاغية الذي سفك دماء الأبرياء، وهتك أعراض المؤمنات، وسلب ديارهم وأموالهم، إنه عبد الله بن علي العباسي، لما قدم عبد الله بن علي العباسي الشام، وقتل من قتل من بني أمية بعد ذهاب دولتهم، استدعى الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهو في جنده وحشمه، وقال له: «ما تقول في دماء بني أمية؟»، قال الأوزاعي: «قد كان بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفي بها»، قال الأمير: «ويحك جعلني وإياهم لا عهد بيننا»، قال الأوزاعي: «فأجهشت نفسي، وكرهت القتل، فتذكرت مقامي بين يدي الله تعالى، فلفظتها وقلت: دماؤهم حرام عليك، فغضب عبد الله بن علي، وانتفخت عيناه وأوداجه، فقال: «ويحك ولِمَ؟»، قلت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه»**، قال: «ويحك، أليس الأمر لنا ديانة؟»، قلت: «كيف ذلك؟»، قال: «أوليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟ قلت: لو أوصى لعلي ما حكم الحكمين؟»، فسكت وقد اجتمع

(١) «الجهاد.. ميادينه وأساليبه» (ص١٨٤)

غضبه، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه، فأشار بيده هكذا، وأومأ أن أخرجوه، فخرجت[١].

وصدق الشافعي ـ رحمه الله ـ حيث يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة حق عند من يرجى ويخاف[٢].

المشهد الثالث:

بطل هذا المشهد شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، ولكن استقر الإيمان في قلبه، إنه حطيط الزيات مع الحجاج سفَّاك الدماء، كان يقتل بالظنة، ولندع المشهد يعبر عن نفسه:

رُوي أن حطيطًا جيء به إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال: «أنت حطيط؟»، قال: «نعم، سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئلت لأصدقنَّ، وإن ابتليت لأصبرنَّ، وإن عوفيت لأشكرنَّ»، قال: «فما تقول فيَّ؟»، قال: «أقول: إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة»، قال: «فما تقول في عبد الملك بن مروان؟»، قال: «أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه»، فقال الحجاج: «ضعوا عليه العذاب»، فانتهى له العذاب إلى أن شقق له القصب[٣]، ثم جعلوه على لحمه، وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئًا، فقيل للحجاج: «إنه في آخر رمق»، فقال: «أخرجوه فارموا به في السوق»، قال جعفر ـ وهو الراوي ـ:

---

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (ص١٨٢). (٢) «التبصرة» (ص٦٥٩).
(٣) القَصَب: عظام اليدين والرجلين والأصابع، «المعجم الوسيط» (جـ٢) ـ (ص٧٦٦).

«فأتيتـه أنا وصاحب له»، فقلنا له: «حطيط ألك حاجة؟»، قـال: «شربة ماء»، فأتوه بشربة ثم مات، وكان ابن ثماني عشرة سنة ـ رحمه الله ـ[1].

المشهد الرابع:

وهو مشهد يصوره لنا الله في كتابه، ذلك المشهد الذي يحمل في طياته العظات، والعبر والدروس والحكم، إنه لداعية فصيح باع نفسه لله تعالى ووقف بين يدي أطغى مجرم عرفته البشرية ليدافع عن رسول بني إسرائيل، ويأمر ذلك الطاغية وتلك الحاشية بالمعروف والإيمان بما جاء به موسى عليه السلام، فهيا لنرى المشهد في أبدع أسلوب وأحلى عبارة، وأزكى إشارة لاتباع طريق النجاة، والبعد عن طريق الهلكة والشقاء.

أهل الباطل لا يناقشون الحجة بالحجة، ولا البينة بالبينة، إنما منطقهم عجيب، اسمع إليهم في قصة فرعون، ماذا يقولون: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴾ (غافر: ٢٥)، هذا قولهم، أما قول زعيمهم فرعون: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾ (غافر: ٢٦)، فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى عليه السلام: ﴿ **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾، أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد؟، أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟، أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث، لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي؟، إنه منطق واحد يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والإصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة، تُفرض بين الحين والحين[2].

---

(١) «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» (ص١٨٣).   (٢) «ظلال القرآن» (جـ ٥/ ٣٠٧٨).

فهذا هو منطق الباطل: استهزاء، سخرية، مجادلة بالباطل، اعتداء حتى يصل إلى الإخراج من الأرض، ومع هذا فإننا نرى في هذا الظلام الحالك، النور الذي يحمله الداعي بين يديه، والحرص على الناس من أن يلقوا في النار، والرحمة التي ينشرها عليهم، وهو يلوذ بحمى ربه ويعوذ به من كل متكبر، لا يؤمن بيوم الحساب، ومع هذا فإنه لا يقول لهم إلا خيرًا، ليت الدعاة يعون هذا الدرس ويستشعرون حرص الداعي على من يدعوه الذي نقله لنا القرآن، كما رأيت، واسمع إليه وهو يدافع عن موسى، فما سب ولا لعن، ولكنه يتسلل إلى قلوبهم بالنصيحة التي تسيل رقة ممزوجة بالتخويف والإقناع: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ (غافر: ٢٨).

وتأمل ذكاء هذا الرجل وبعد نظره، تأمل الألفاظ التي اختارها، والكلمات التي تكلم بها، والأسلوب الحكيم الذي يقنع به من يخاطبهم، إنه نوع من أنواع علم البيان الذي يسميه علماؤنا «استدراج المخاطب»، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى أراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة، فقال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً** ﴾، ولم يذكر اسمه، بل قال: رجلاً، ليوهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿ **أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** ﴾، ولم يقل: رجلاً مؤمنًا بالله أو هو نبي إذ لو قال ذلك، لعلموا أنه متعصب، ولن يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله: ﴿ **وَإِن يَكُ كَاذِبًا** ﴾، فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه، ثم تلا بقوله: ﴿ **وَإِن يَكُ صَادِقًا** ﴾، ولم يقل: هو صادق، وكذلك قال: ﴿ **يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** ﴾، ولم يقل: كل الذي يعدكم، ولو قال ذلك، لعلموا أنه متعصب له، وأنه يزعم نبوته، وأنه يصدقه، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له، وهو قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ**

كَذَّابٌ ﴾، وفيه تعريض بفرعون إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذ ادعى الألوهية والربوبية، ثم كرر النصح مع التلطف: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴾ (غافر: ٢٩)، أنتم غالبون على بني إسرائيل في أرض مصر، قد قهرتموهم، وقد استعبدتموهم اليوم، ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ (غافر: ٢٩)، قال الرازي: إنما قال: ﴿ يَنصُرُنَا ﴾ و﴿ جَاءَنَا ﴾، لأنه كان يظهر لهم أنه منهم، وأن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه، أي ذكاء هذا يتحلى به هذا الداعي إلى الله، وأي بصيرة وحكمة رزقها؟!

ليت الشباب يتدبر ويفقه الأسلوب الأمثل للدعوة، إنها ليست استعراضًا للقوة، ولا تطاولاً على أحد، ولكن مسلك الحكمة الذي يوصلنا للغاية التي تنجي، فليست انتصارًا لرأي بقدر ما هي إحقاق حق، وإظهار حجة وبينة، وتكرار موعظة حسنة، وإشعار بالحرص الشديد على من ندعوهم، فأنت ترى هذا الرجل المؤمن الذي كتم إيمانه لا يمل من تكرار الموعظة والمحاولة مع سفه وتكبر فرعون، واسمع إليه وهو يقول لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ (غافر: ٤٠)، إلى أن يقول: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤١-٤٤).

ماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة؟، إنه أخيرًا كشف عن نفسه كموقف إشهاد، ولكن بأسلوب حكيم، وثبات كريم، ولا يبقى بعد ذلك إلا أن يفوِّض أمره إلى الله ليقيه سيئات ما مكروا، وقد وقاه

﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٥)، هل نظرت إلى هذا المؤمن من آل فرعون، وكيف يخاطب فرعون ومن معه، إنه يشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، يهمه أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم ويدوم لهم مجدهم: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ (غافر:٢٩)، فبعد أن طمأنهم على ملكهم ليجد آذانا تسمعه بدأ يخوفهم مما أصاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى، وطاعة رسوله: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (غافر:٣٠-٣١)، هذا ما يخافه عليهم في الدنيا، ثم انتقل إلى تخويفهم من عذاب الآخرة: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر:٣٢-٣٣)، ويستمر المؤمن المخلص في دعوته إلى قومه بهذا الأسلوب[1].



(١) «الدعوة قواعد وأصول» (١٣٠-١٣٢).

الفصل السادس

آداب وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن رأينا خطورة اللامبالاة بتلك الفريضة وعرفنا أن التقصير فيها عاقبته وخيمة على الفرد والمجتمع، ثم تعرفنا على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه ضرورة حتمية لخيرية الأمة الإسلامية، ثم وقفنا مع فضل تلك الفريضة وفضل أهلها، ثم وقفنا مع صور مشرقة مع الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وكأني بك - أخي المسلم - قد اشتاقت نفسك لتنال أجر وثواب الخيرية، وكأني بصدرك قد انشرح وقد زالت عن بصيرتك غشاوة اللامبالاة، وها أنت قد عزمت وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، لتكون من هؤلاء المجاهدين، ومن هؤلاء الناصحين، ولكن قبل أن تأمر وتنهى لابد أن تتعرف على آداب وقواعد تلك الفريضة كما بينها العلماء والحكماء:

أولاً - الإخلاص:

يقول ابن عثيمين - رحمه الله -: الإخلاص لله تعالى في عمله، بحيث يقصد بدعوته التقرب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ونصر دينه وإصلاح عباده بإخراجهم من ظلمات الجهل والعصيان إلى نور العلم والطاعة، فتكون دعوته نابعة عن محبة الله ولدينه، ومحبة الخير لكافة البشر، والدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة، والاعتماد على الله، لابد أن تؤثر وتعمل عملها، ألا ترى إلى قصة موسى ﷺ، حين حُشر الناس له ضحى يوم زينتهم وجمع له فرعون كيده، ثم أتى بأبهته وعزته وكبريائه، قال لهم موسى: ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (طه: ٦١)، فماذا فعلت هذه الكلمة؟، إنها فرقت كلمتهم وشتت شملهم في الحال بدون تأخير، ﴿فَتَنَازَعُوا

أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ (طه: ٦٢)، والتنازع أكبر أسباب الفشل، وذهاب الريح، كما قال سبحانه: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها، وثوابه عليها، أما قصد مراءاة الناس بذلك، أو أراد شيئًا من الدنيا مالاً أو جاهًا أو رئاسة فعمله حابط، ونفعه قليل، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٥-١٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه**»، فذكر الحديث وفيه: «**ورجل تعلم العلم وعلمه، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت القرآن وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال: عالم، وقرأت ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[1].

ثانيًا ـ أن يكون الآمر عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، وتلك هي البصيرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه:

يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أن يكون الداعي عالمًا بشريعة الله التي يدعو إليها، وعالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية، عالمًا بشريعة الله ليدعو إلى الله على بصيرة وبرهان، حتى لا يَضل أو يُضل، وليكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨)، وليستطيع أن يدافع عن دعوته ويقنع خصمه، وكم من داعٍ كان جاهلاً فحصل من المضرة عليه، وعلى من يدعو إليه شيء كبير، لأنه يهزم أمام الباطل، لقلة ما

(١) «رسالة في الدعوة إلى الله» (ص١٥-١٦)، والحديث رواه مسلم.

معه من العلم بالحق، ولهذا لا يجوز تمكين مثل هؤلاء الجهال من الدعوة كما لا يجوز تمكين الصبيان من الجهاد؛ عالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية ليستعد لهم، ويسلك في دعوتهم ما يليق بأحوالهم، ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فأخبر بحال من بعثه إليهم من أجل الغرضين السابقين، فإن الداعي إذا دعاهم، وهو لا يعرف حالهم، قد ينعكس عليه هدفه، وقد يبدأ بغير المهم أو بغير الأهم، ويترك ما هو أولى منه[1]، ويقول سليمان بن فهد العودة:

وأما الذي ينكر عن جهل، فقد يفسد أكثر مما يصلح، وإنك لترى كثيرًا من الجهال ينكرون ما لم يألفوه، وإن كان معروفًا في الحقيقة، ومن أمثلة ذلك، أني صليت الفجر يومًا من الأيام إلى جوار أحد العوام، فبعد أن تنفَّلت راتبة الفجر، وتناولت المصحف لأقرأ شيئًا من القرآن، قال لي: لا ما يصلح هذا، لابد إذا انتهيت من النافلة أن تسلم على من هو على يمينك، ثم تسلم على الذي على يسارك، ثم ترفع يديك وتدعو بما تريد، ثم تقرأ القرآن، فقلت له: سبحان الله، هل تعلم دليلاً على مشروعية سلام الإنسان بعد النافلة؟، قال: لا ما أعلم، فقلت: لماذا تنكر إذًا؟، فقال: علمني جزاك الله خيرًا، فأخبرته أن هذه الأمور ليست ينكر على تاركها بل هي في هذا الموضع بالذات ـ بعد الصلاة أو النافلة ـ غير مشروعة، ومن أهل العلم من حكم ببدعيتها، وأما السلام فمشروع، وأصل رفع اليدين بالدعاء مشروع، ولكن التزامه بعد الصلوات هو محل نظر، إذن فلابد أن يكون المنكر عالمًا على الأقل بما ينكر، وبما يأمر به[2].

---

(١) «رسالة في الدعوة إلى الله» (ص١٩). (٢) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٧٦-٧٧).

ثالثًا - أن يبدأ بالأهم بالواجبات قبل النوافل:

يقول الدكتور محمـد نعيم ياسين: بما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جهاد فيه بذل جهد ومشقـة، فينبغي على المسلم أن يوجه هذا الجهد إلى إصلاح القضـايا الأكثر أهمـية، والخرق الأعظم اتسـاعًا، وأصول الفـساد والمنكر، ولا يحـسن به أن يصرف همـه وجـهده ووقـته كله فـي علاج الجـزئيات والفـروع البسيطة، إذا كان فسادها ناشئًا عن فساد أصل من الأصول.

وعندمـا يصطلح الناس أو يربون على أن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر فضول، وتعدٍّ على حريات الآخرين، ويجد هذا الاتجـاه دعمًا واضحًا، وحماية كاملة من الحكام، فيحاسب ويجازي بالشر كل مسلم، يدعو إلى الخير، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحجة التعـدي على حريات الآخرين، فإنه لا يجدي كثيرًا معالجة الفروع والجـزئيات، ولابد أن تتوجه الجهود إلى إزالة المنكر الأكبر، وهو عـزوف الناس، وخـاصة حكـامهم عن حكـم ربهم، وطاعتـه، وضـعف عقيـدتهم، ويقينهم بالله واليوم الآخر، وإسناد أمورهم إلى جـهّالهم وضلالهم، وعندما يجهل الناس معنى الركن الأول من أركان الدين، ولا يعـرفون مقتضيات «**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**»، ولا حقوقـها، فينبغي أن تصرف مـعظم الجهود إلى تجلية معنى هذه الكلمة الطيبة، وبيان حقوقها، ومقتضياتها في حياة الناس، ويؤيد ذلك أن بعض المفسـرين قد فسروا المعروف الذي يـجب على أمة الإسلام أن تأمر به بأنه الإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه، وفسروا المنكر الذي يجب على أمـة الإسلام أن تنهى عـنه بأنه الشرك وتكذيب رسـوله، والعـمل بما نهى عنه، فقد روى أبو جعفر الطبري عن ابن عباس ﷺ في معنى قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران: ١١٠).

أنه ﷺ قال: «**تأمرونهم بالمعروف، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر**»؛ ففي هذه الأحوال التي يتخذ فيها الإسلام مهجورًا، لا يجدي إلا الجهاد بالدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلى الشهادتين، وإلى حكم الإسلام وطاعة الله واتباع الرسول ﷺ، وتوحيد الله في الربوبية والألوهية وفي أسماء الجلال، وصفات الكمال».

على أن هذا لا يعني إهمال الجزيئات والفروع، ولكن عملية الإصلاح فيها، تأتي بعد إصلاح العقيدة، فلا يبدأ بها مع الناس الذي فسدت عقائدهم وهو أكثر بكثير ممن بقي لهم عقائد سليمة في المجتمعات الجاهلية، ولكن المطلوب من الغيورين على دينهم أن يوجهوا جهودهم لما يكون أكثر جدوى في سد منافذ المنكر، وأن يشتغلوا بالأهم، ويمنحوه النصب الأكبر من اهتمامهم.

يقول العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - في بيان درجات الوسائل الموصلة إلى المصالح: يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد، أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات، والتوسل بالسعي إلى جماعات المكتوبات، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ الرسالات من أفضل الوسائل لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل

المأمور بـه، وكذلك الأمر بالفـرائض أفضل من الأمـر بالنوافل، والأمر بـإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف.

ويقول أيضًا في بـيان درجات الوسائل المؤدية إلي المفاسـد، وهكذا تختلف رتب الوسائل باختلاف قوة أدائهـا إلى المفاسد، وكذا النهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفـسدة ذلك المنكر المنهي عنه، ورتبتـه في الفضل والثواب مـبنية على درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاسد ثم تترتب رتبة على رتب المفاسد إلى أن تنتهي إلى أصغر الصغائر، النهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهي عن المنكر.

ويضرب الإمام أبو حامد ـ رحمه الله ـ مـثلاً لمن يشتغل بالأقل أهمية ويترك الأمور الخطيرة، فيقول: فمن غصب فرسه ولجام فرسه، فاشتغل بطلب اللجام، وترك الفرس، نفرت عنه الطباع ويرى مسيئًا[١].

رابعًا ـ ومن آداب وأخلاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «الصبر وتحمل الأذى»:

يقول الدكتور محمد رجب الشتيوي: من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية الصبر على الإيذاء وتحمل البـلاء فالدعوة طريق صعب وشاق، إنه طريق الأنبياء والمرسـلين الذين يدعون إلى الطريق المستقـيم، وطريق الدعوة الحق ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل هو طريق وعر شاق، ممتلئ بالشوك من المعاندين والمعـارضين، وما ذاك إلا لأن النفس البـشريـة دائمًا تقف أمـام الحق بالجحـود والإنكار خاصة إذا كان يتعلق بالعقيدة، فتحويل الناس من عقيدة إلى أخرى أمر عسير على النفوس صعب القول، لأن العقـيدة مهما كانت فاسدة لابد وأن تترك أثرًا في قلب معتنقيـها، لا يزول بسهولة، ولا يتمكن صاحبـه أن ينساه بسرعة، ومن هنا كان جهـاد الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ مع أقوامـهم، وكان الأمر

---

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (ص١٥٣-١٥٦).

من الله للأنبياء والرسل بالصبر الجميل على تحمل الإيذاء الذي يقع لهم من الشر، ولذا يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وأولو العزم من الرسل ما نالوا هذا الوصف الكريم وسموا بأولي العزم إلا أنهم صبروا وصابروا على تحمل الإيذاء وشدة البلاء[١].

واعلم - علمني الله وإياك - أن الصبر قرين اليقين، واليقين هو المحرك الذي يحرك صاحبه على الدعوة إلى الله تعالى، فإذا صبر المسلم نال اليقين، وإذا نال اليقين نال الإمامة في الدين، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)، ولذلك قال سفيان: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين[٢].

فإن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر معرَّض للأذى، فلا يليق أن ينزعج ويجزع، ويترك مهمته أو يتبرم بها، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧)، ذلك أن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل هو مليء بالأشواك والصخور والمصاعب الجمة، فمن لم يتذرع بالصبر خليق به أن يستطيل الطريق، ويستثقل العمل، فيتخلى عن المهمة الربانية الكريمة التي انتدب نفسه إليها، عجيب أمر بعضنا!، يقول: عندي أخ أو زميل أو قريب لا يصلي أو يشرب الخمر أو .. أو ..

فإذا قيل له: انصحه واجتهد في نصحه قال: عجزت عنه، أو قال: ما فيه فائدة، سبحان الله!، أين ذهبت: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت: ١٤)،

(١) «الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» (٢٠٧-٢٠٨).
(٢) «أخلاق الداعية» (ص٢١).

عن عـقلك؟، أيـن الصـبـر الجـمـيل؟، أين طول النـفس؟، أين دأب الدعـاة وإصرارهم؟، أمِنْ مـرة أو مرتين أو عشـر مرات تقول: عجـزت أو لا فائدة؟، وربما أن الكلمة التي جعل الله نجاة هذا العاصي بسببها لم تصل إلى أذنه بعد . . وربما تبذر أنت البذرة، ويأتي غيـرك فيسقيها فـتنبت وتثمر، لكن إياك أن تكون كالكسعى الذي يضرب به المثل في الندامة حين رمى بسـهامه ليلاً، فظن أنها لم تصب، فكسر القـوس، فلما أصـبح وجدها كلها قـد أصابت الغرض، فـاغتم لكسر القوس غمًا لا يوصف، فاحذر أن تكونه.

إن للقلوب إقـبالاً وإدبارًا، وللنفـوس قتـامة وإشـراقًا، ومن المصلـحة أن تتعاهد الدعوة وقت إقباله وارتياحه بالكـلمات الطيبة وتهاديه وتلاطفه، وتحتال للوصول إلى قلبه بكل حيلة لا تذم، ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم[(١)(٢)].

خامسًا - الرفق والحـلم:

الحلم صفة هامة للداعية تجمع القلوب وتذيب الإحن، وتعطي له قدرًا كبيرًا من الصلابة في مواجهة أشد المواقف، وأحلكـها، والحلـم سيـد الأخلاق، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤).

والحلم ليس دليل ضعف أبدًا، بل هو الدليل على القوة، والمالك لنفسه عند الغضب هو القوي في الحقيقة، يقول ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٣).
(٢) «حتى لا تغرق السفينة» ص (٨٠-٨١).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٣).

والحلم معناه: أن يكتم المؤمن غيظه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

والداعية إلى الله هو أولى من غيره في ضرورة التحلي بخلق الحلم، والعفو وكظم الغيظ، حتى يستطيع أن يجذب القلوب إليه، وأن يحبب الناس فيه، وأن يدفع أبناء الأمة الإسلامية إلى الدين الحق، والتزام هدى الله ـ جَلَّ جلاله ـ.

يقول الشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ: فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادي النفس مطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، وحسبك في هذا قول الله تعالى لإمام الداعين ﷺ: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فلو كان الداعي سيء الخلق جافيًا قاسي القلب، فأغلظ لهم في القول، تفرقوا عنه وانصرفوا من حوله، فحرموا الهداية بأنوار دينهم، فعاشوا وماتوا جهلاء، وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته. اهـ.

ويقول عبد الله ناصح علوان: وكم يخطئ الذين يأخذون الناس بالشدة، ويعاملونهم بالقسوة، ويسلكون معهم سبيل الفظاظة والعنف، عدا أنهم أعطوا الصورة المشوشة عن أخلاق الدعاة، وجانبوا سبيل التأسي بالنبي ﷺ في مرآة حلمه وعفوه الجميل، فإنهم أيضًا أحدثوا ردود الفعل في نفوس من يدعونهم، وربما أدت بهم هذه الردود النفسية إلى أسوأ المسالك، وأخطر الانحرافات، ولضرورة هذه الصفة للداعية أمر الله رسوله بها، فقال له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال له: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ١٣).

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولابد في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من الرفق، ولابد أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لابد أن يحل له أذى، فإن لم يصبر ويحلم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وينقل ما قاله أبو ليلى: لا يأمر ولا ينهى إلا من كان رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه[1]. اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (لقمان:١٧)، وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه، لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالرفق والصبر، وقد صرح به في قوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ (لقمان:١٧)، ومن كونه فاعلاً لما يأمر به كافًا لما ينهى عنه، فتضمن هذا تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك بأمره ونهيه، ولما علم أنه لابد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في النهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، الذي وعظ به لقمان ابنه، ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)، أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم. اهـ[2].

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة إلا رجلاً معلنًا بالفسق والردى، فيجب عليك نهيه وإعلانه، لأنه يُقال: ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له، وقال أيضًا: كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون فيهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله. ومن الرفق أن يراعي القائم بهذه الفريضة حرمة

---

(١) «الحسبة في الإسلام».

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» (جـ ٦) ـ (ص٧٩).

الناس ومشاعرهم، فلا يفضحهم، وإنما يأمرهم وينهاهم بالرفق واللين، وبدون تشهير بهم، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[١].

سادسًا ـ القدوة الحسنة:

بمعنى أن يعمل بما علم، وأن يأتمر بما يأمر، وأن ينتهي عما ينهى، وينبغي للمجاهد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يتخلق بما يدعو إليه، وأن يتجنب ما ينهى الناس عنه، حتى يكون لكلامه أثر فيمن يأمرهم وينهاهم، فقد قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤)، وقال أيضًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢-٣).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»**[٢].

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم إلى أهله ويقول: **«لا أعلمن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه، إلا أضعفت له العقوبة»**[٣].

إلا أنه ينبغي أن يلاحظ في هذا المقام أنه لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون عاملاً في الحال، وأن عدم امتثاله لما يقول ومخالفة قوله عمله لا يسقط

(١) «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» (ص١٥٧-١٥٦). (٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) «الجهاد ميادينه وأساليبه» (١٦٠-١٦١).

عنه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المعصية لا تبرر ترك الواجبات مهما كانت تلك المعصية، ومهما كانت الواجبات.

نعم .. ويجب على المرء أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر قبل أمر الناس ونهيهم، حتى لا يواجه الناس بحال نفسه، ويقولون له: هلاَّ أمرت نفسك قبل أن تأمرنا ونهيتها قبل أن تنهانا، ولكن عدم قيامه بهذا الواجب لا يجعل له عذر في ترك غيره من الواجبات التي من أهمها أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فقد يكون لكلامه أثر في بعض الناس أكثر مما يكون لكلام غيره، فإن النفوس تختلف في تقبل الوعظ باختلاف الواعظين[1].

* يقول بعض الشباب: أنا عاصٍ، فكيف أغير المنكر وأنا كذلك؟

فنقول: غَيِّر المنكر، وإن كنت عاصيًا، فقد قال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (المائدة: ٧٩)، مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار، وهذا مذهب عامة العلماء بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد!

ووقوعك في معصية لا يسوغ لك الوقوع في معصية أخرى، أعني: معصية السكوت عليها، وعدم إنكارها[2].

سابعًا ـ أن يغلب على ظنك أن المصلحة أرجح من المفسدة في أمرك ونهيك:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إنما هو تحصيل المصالح ودرء المفاسد، بل إنما بعث الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

(١) كتاب «حتى لا تغرق السفينة» (ص٩٨). (٢) «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» (١٦٠-١٦١).

من أجل جلب المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها، ولهذا إذا علم المسلم أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر سيترتب عليه مفسدة في موقف من المواقف، فإنه يمنع من الأمر، ومما روي في هذا الباب أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ خرج مع بعض تلاميذه من دمشق وفي طريقهم مروا ببعض التتر وهم يشربون الخمر، فهمَّ بعض التلاميذ بالإنكار عليهم، فقال شيخ الإسلام: دعوهم وما هم فيه، فقالوا: نتركهم ـ رحمك الله ـ على هذا المنكر؟، قال: نعم، إن هؤلاء القوم لو أفاقوا من سكرهم لدخلوا دمشق فهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال، وقتلوا الرجال[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة، فيما يجب ترجيح الراجح منها، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته. اهـ[2].



(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٨٢).

(٢) «الحسبة في الإسلام» (ص٦٦).

الفصل السابع

كيفية إنكار المنكر[1]

كيفية الإنكار على من يفعل المنكر يختلف باختلاف حال الفاعل وما يناسب حاله، فينبغي للمحتسب أن يستعمل في إنكاره الكيفية التي تكون أنسب وأجدى في زوال المنكر، وذلك بأن يراعي مقامه ومنزلتـه، ثم يسلك معه أقرب الوسائل إلى حصـول المقصـود، وهو الصلاح، فيـكون قد أتى بالأمر والنهـي بالصراط المستـقيم الذي أمر به، ومـثله في ذلك كالطبيب الذي يعـطي المريض ما يناسب حاله ومزاجه، وسـأستعرض أنواعًا من الناس، وأبين كيفـية الإنكار عليهم على النحو التالي:

١ - الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر.

٢ - العالم بأن ما يرتكبه منكر.

٣ - الوالد بالنسبة لولده.

٤ - العبد بالنسبة لسيده.

٥ - الزوجة بالنسبة لزوجها.

٦ - السلطان بالنسبة لرعيته.

٧ - الفاسق والعاصي الذي يحتاج إلى الهجر.

أولاً - كيفية الإنكار على الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر:

من أقـدم على منكر جـاهلاً أنه منكـر بحيـث لو علم أنه منكر لما قـدم عليه، فـإنه يعلم برفق ولطف وسيـاسة، وليحذر من الـطيش والعجلة، بل يستعمل التأني والتثبت والملاطفـة في الدعوة، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، وإن كان يعلم منه أنه لو سمع الكلام من غيره، رجع عن فعله، فإنه ينبغي له أن

---

(١) هذا الفصل للأمانة العلمية من كتـاب «القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» تأليف الدكتور: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، بتصرف وزيادة واختصار.

يطلب من غيره ممن لا يشق عليه أن يبين له ما هو عليه من المخالفة ليكون ذلك أدعى إلى القبول والاستجابة.

ومثال ذلك: لو رأى من يسيء في صلاته لجهله، وهو يعلم منه أنه لو علم أن هذه الصلاة باطلة، لم يرض لنفسه ذلك، أو رأى من يجمع الصلوات ليلاً مثلاً لأنه مشتغل عنها، فإن المنكِر يستعمل معه التلطف في موعظته وتعليمه، مثل أن يقول: أنا أعلم أنك مشغول بما أنت فيه، ولكن لابد من الطمأنينة في الصلاة، ولابد من أداء كل صلاة في وقتها، ولاشك أنك ترى كثيرًا من الناس يسيئون في صلاتهم، والناصح لهم قليل، ولكن - يا أخي - لا يعذر أحد في ترك أمور دينه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٧).

ويا أخي .. العلماء كلهم متفقون على أن الإنسان لا يجوز له أن يؤخر الصلاة عن وقتها عمدًا، وأنت قريب من الخير، ولاشك أنك تريد براءة ذمتك وإحسان عملك، والصلاة رأس مال المسلم، فلابد من الإحسان فيها، وأدائها في وقتها .. ونحو هذه العبارات التي يحصل بها المقصود.

ثانيًا - كيفية الإنكار على العالم بأن ما ارتكبه منكر:

من أقدم على فعل منكر مع علمه أنه منكر، إما لأنه يعلم ذلك، أو لأنه عرف أنه منكر، ومثال ذلك: من يواظب على الغيبة أو أكل الربا أو الرشوة، مع علمه أنه حرام، فالمنكر يستعمل معه الوعظ والتخويف، وبيان رتبة تحريم تلك المعصية، وبيان ما جاء فيها من الوعيد والتهديد، ويسوق له الأخبار الواردة في تلك المعصية، فإن ذلك أجدى وأنجع في التأثير في العالم بالحكم.

ثالثًا - كيفية الإنكار على الوالد من قبل ولده:

إذا فعل الوالد منكرًا، فللولد أن يأمر والده وينهاه بالوعظ والنصح مع الرفق والتلطف في الكلام، وليس للولد مقابلة والده بالتخويف ولا بالتهديد، ولا بالضرب، ولا بالسب، ولا بالتعنيف، ولا بتخشين الكلام، وذلك لأن الوالد له على ولده حق عظيم، وقد قرن الله حقه بحق الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، وأمر بالإحسان إلى الوالدين إن كانا كافرين مع عدم طاعتهما في الشرك، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، وللولد تغير المنكر على والده بيده إن لم يحصل بسبب ذلك مفسدة أكبر، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالولد يغير المنكر على والده، بيده مع القدرة وعدم المفسدة، ومع ذلك يستعمل التلطف في الخطاب والترحم عليه بالدعاء له، وبيان ضرر المعصية حتى يهدأ والده ويسكن إليه، ويعلم أن قصد ابنه محض النصح له، والشفقة عليه، والغيرة لله ولمحارمه.

قلت[1]: ولقد ذكر الله تعالى لنا ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم ﷺ وأبيه الذي يحمل في طياته العطف والرفق والرأفة والرحمة والأدب الجم، مع ذلك الوالد المعاند الكافر، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٢-٤٧).

---

(١) المؤلف: أبو همام.

قال أبو السعود: ولقد سلك ﷺ في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل، لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد[1].

وقال الزمخشري: ثنى ﷺ بدعوته إلى الحق مترفقًا متلطفا، فلم يسمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم، وشيئًا منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير، وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه[2]، وهكذا تكون دعوة الآباء والأمهات بلطف ورفق ولين وخفض للجناح.

رابعًا ـ كيفية الإنكار على السيد من قبل عبده:

إذا فعل السيد منكرًا، فللعبد أن ينكر عليه برفق ولطف ولين، إذا لم يخش من سطوته، فإن كان يخشى من سطوته طلب من غيره أن يناصحه ممن يؤثر نصحه فيه، وبذلك تبرأ ذمة العبد.

قلت[3]: ومن جميل ما ذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما فعله ذلك العبد مع سيده، يُروى أن رجلاً قال لعبده: ازرع هذه الأرض برًا، ثم سافر وكان مسرفًا على نفسه مفرطًا في جنب الله تعالى، فلما سافر قام العبد وزرع الأرض شعيرًا، فلما عاد سيده من سفره، وجد الأرض مزروعة شعيرًا ولم تُزرع بُرًا، فنادى على عبده وقال له: ألم أقل لك ازرعها بُرًا، فلِمَ زرعتها شعيرًا؟،

---

(١) نقلاً من «محاسن التأويل» (جـ ٧) - (١٢٨-١٢٩).
(٢) «الكشاف» (جـ ٣) ـ (١٩).
(٣) المؤلف: أبو همام.

قال: يا سيدي رجوت من الشعير أن يكون بُرًا، فقال له: يا أحمق ترجو من الشعير أن يكون بُرًا؟، قال: يا سيدي وأنت تعصي الله وترجو رحمته، فعندها قال سيده: تبت إلى الله، وأَعْتقه.

وهذه من فقه وفطنة ذلك العبد وحكمته في دعوة سيده.

خامسًا - كيفية الإنكار على الشيخ من قبل تلميذه:

إذا فعل الشيخ منكرًا، فللتلميذ أن ينكر عليه، ويعامله بموجب علمه، ويبين له مغبة المعصية وعاقبتها الوخيمة، ويخوفه بالله وسطوته وعقوبته ويبين له أن العالم قد قامت عليه الحجة بخلاف الجاهل، وأن من لم يعمل بعلمه ولم يأتمر بالأوامر وينزجر عن النواهي، فقد شابه أهل الكتاب الذين شبههم الله بالحمار الحامل للأسفار في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٥)، وقد غضب الله عليهم، وأن من فسد من علماء هذه الأمة، فهو داخل في المغضوب عليهم، فلعل ذلك أنجع في إقلاعه عن ذنبه، ورجوعه إلى جادة الحق والصواب.

سادسًا - كيفية الإنكار على الزوج من قبل زوجته:

إذا فعل الزوج منكرًا فإن الزوجة تنكر عليه بالرفق واللين والموعظة الحسنة، وتبين له أنها مطيعة له، ومعترفة بما له عليها من حق، ولكن عليه هو أن يطيع الله ويجتنب محارمه، وأنها لن تسكت على فعله المنكر، وأنها مشفقة عليه من العقوبة، وليست عاصية له ولا مؤذية له، وإنما هي مشفقة ناصحة، فإن أفاد ذلك في إقلاعه عن الذنب ورجوعه عنه، وإلا فتطلب من أقاربه أو أقاربها ممن له تأثير فيه أن يناصحه حتى يزول المنكر، ويحل محله المعروف، فيحصل الخير والصلاح.

سابعًا ـ كيفية الإنكار على السلطان من قبل رعيته:

لاشك أن من أعظم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة حق عند سلطان جائر، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[1].

وعن طارق بن شهاب ﷺ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟، قال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[2]، وإذا ارتكب السلطان منكرًا، فللرعية معه ثلاث حالات:

الأولى ـ أن يقدر على نصحه، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، ولا منكر أعظم من الأول، ففي هذه الحالة يجب نصحه، وكيفية النصح يجب أن تكون بالموعظة الحسنة مع اللطف، لأن هذا هو مظنة، وناصحه وآمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه.

الثانية ـ أن لا يقدر على نصحه لأنه يبطش بمن يأمره، أو لأن نصحه يؤدي إلى حصول منكر أعظم، وضرر أكبر، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب وكراهة منكرة والسخط عليه، وهذه الحالة من أضعف الإيمان.

الثالثة ـ أن يكون راضيًا بالمنكر الذي يفعله السلطان، ومتابعًا له عليه، وفي هذه الحالة يكون شريكه في الإثم والوزر.

وقد دل الحديث الصحيح على هذه الحالات الثلاثة للرعية مع السلطان، وهو حديث أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية ﷺ: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه النسائي بإسناد صحيح.

«إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، وقالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟، قال: **«لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»**[(١)].

فقوله ﷺ: **«فمن كره»**، أي: بقلبه، ولم يستطع إنكارًا بيد ولا لسان، فقد برئ من الإثم، وأدى وظيفته، وقوله: **«ومن أنكر فقد سلم»**، أي: من أنكر بحسب طاقته، فقد سلم من هذه المعصية، وقوله: **«ولكن من رضي وتابع»**، أي: رضي بالمعصية وتابع عليها، فهو عاصٍ كفاعلها، ولا يجوز الإنكار على السلطان بالخروج عليه ومقاتلته.

قلت[(٢)]: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: لا يعرف لطائفة من طوائف المسلمين خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من المفاسد أعظم من المصالح التي حصَّلتها.

وقال أيضًا: ما تواتر عن رسول الله ﷺ في نهيه عن الخروج عن الأئمة الظلمة أصحاب المنكرات مع أنه قد يخطر لبال الخارج أنه يحصل مصلحة، وزوال المنكر، وظهور السنة، ولكن لما كان الغالب في الخروج إزهاق الأرواح وهتك الأعراض، وإباحة الأموال، نهى رسول الله ﷺ عنه[(٣)].

كيفية الإنكار بالهجر

نتكلم على الهجر في حدود المباحث التالية:

١ ـ معنى الهجر.

٢ ـ تقسيم الهجر وبيان الهجر الشرعي من غيره.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه». (٢) أبو همام.

(٣) «الدرة المرضية شرح منظومة القواعد الفقهية» تأليف: جمعة صالح محمد (ص٤٧).

٣ـ الحكمة من الهجر الشرعي.

٤ـ بيان من يشرع معه الهجر من الناس ومن لا يشرع.

٥ـ بيان نهاية ووقت الهجر للمهجور.

٦ـ بيان هل يفرق بين الأحوال والأشخاص والأزمان في الهجر.

٧ـ بيان هل يجتمع في الشخص الواحد سبب الموالاة وسبب المعاداة، فيكون فيه خير وشر، وبر وفجور، وطاعة ومعصية، فيحَب من وجه، ويُبغَض من وجه وبيان الشخص الذي يُحب من وجه، ويُبغض من وجه.

أولاً ـ معنى الهجر والمراد به:

الهجر في اللغة: الترك، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر:٥)، والمراد به هنا: هجر العاصي ومقاطعته وترك تكليمه والسلام عليه، وعدم إجابة دعوته والسلام عليه.

ثانيًا ـ تقسيم الهجر:

الهجر نوعان: **أحدهما:** هجر لحقِّ النفس وحفظها، **والثاني:** هجر لحقِّ الله.

فالأول ـ غير مشروع ولا مأمور به، بل منهي عنه، لأن المؤمنين إخوة.

والثاني ـ هجر لحق الله، وهذا هو الهجر الشرعي المأمور به، فهو طاعة، والطاعة لابد أن تكون خالصة لله، صوابًا، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجرًا غير مأمور به، لم يكن مشروعًا.

والهجر الشرعي نوعان:

الأول ـ هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات، كما قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر:٥).

---

(١) متفق عليه.

الثاني - هجر المقام بين من يفعل المنكرات، فلا يشهد المنكرات مثل قوم يشربون الخمر لا يجلس عندهم، أو دُعي إلى وليمة فيها خمر، أو زمر لا يجيب دعوتهم إلا لحاجة كم حضر عندهم للإنكار عليهم، أو حضر بغير اختياره، ولهذا يُقال: «حاضر المنكر كفاعله»، وفي الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يُشرب عليها الخمر**»[1]، ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به.

وهذا النوع المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٠).

والنوع الثاني من أنواع الهجر الشرعي: هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها، وهذا الهجر على وجه التأديب، فهو بمنزلة التعزير والعقوبة لمن يفعل المنكرات، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات، وفعل المحرمات، فإن المنكرات الظاهرة يجب إنكارها، بخلاف الباطنة، فإن عقوبتها على صاحبها خاصة، ومثال ذلك من السنة: هجر النبي ﷺ والمسلمين الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير، وإن كان منافقًا، ولهذا فرق السلف والأئمة بين الداعية إلى البدعة وغير الداعية، فالداعي لا تقبل له شهادته، ولا يُصلَّ خلفه، ولا يؤخذ عنه العلم، ولا ينكح، لأنه أظهر المنكرات فاستحق العقوبة، بخلاف

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه.

الكاتم، فإنه ليس شرًا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم.

ثالثًا - الحكمة من الهجر الشرعي:

الهجر شرع لحكمة ومصلحة ورحمة كسائر ما شرعه الله، فإن الله الحكيم يفعل لحكمة، ويخلق لحكمة، ويشرع لحكمة، والحكمة من الهجر هي زجر المهجور، وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، إذ المقصود به بيان الحق، ورحمة الخلق.

رابعًا - بيان من يشرع معه الهجر من الناس:

الهجر يشرع في حق العصاة والمذنبين، أما الكافر فلا يشرع في حقه الهجر، إذ أن عقوبته على كفره أعظم من الهجر، وليس الهجر مشروعًا في حق جميع العصاة والمذنبين من أهل الإسلام، بل يراعي المهاجر المصلحة الراجحة في الهجر أو الترك، فإن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر أو خفته، كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر . . . إلى إن قال:

درجات الإنكار:

* درجات الإنكار: إنكار المنكر ثلاثة، وهي:

١ - الإنكار باليد.

٢ - الإنكار باللسان.

٣ - الإنكار بالقلب.

فيجب على من رأى منكرًا، أن ينكره وأن يغيره بحسب الاستطاعة والقدرة من هذه الدرجات الثلاث، فيغيره بيده، فإن كان لا يستطيع غيَّر بلسانه، فإن كان لا يستطيع أنكره بقلبه، دليل ذلك قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[١].

فالإنكار فرض باليد واللسان والقلب مع القدرة، فأما فرضه باليد واللسان فهو من فروض الكفايات، وإذا قام به طائفة سقط عن الباقين من الناس، وإن تركوه كلهم أثموا، وأما القلب فلا يسقط عن المنكر بحال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: **«وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**، وقيل لابن مسعود: «من ميت الأحياء؟»، فقال: **«الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا»**، وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان: بأنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا[٢].

قال ابن النحاس: وأما الإنكار بالقلب، وهو كراهة تلك المعصية، وبغضها فلا يسقط عن مكلَّف بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه. اهـ.

وقال ابن المفلح في الآداب الشرعية: فصل: النهي عن المنكر فرض كفاية على من لم يعيَّن عليه، وهو فرض كفاية على من لم يعين عليه، وسواء في ذلك الإمام، والحاكم، والجاهل، والعدل، والفاسق، إلى أن قال: وأعلاه باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، وفي الحديث الصحيح: **«ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل»**

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم «جامع الأصول» (جـ ١٠) - (ص٢١).

قال الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله ـ: مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان، ليس مراده من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: «ليس وراء ذلك»، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، قال: وعُلِمَ بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم. اهـ.

وقال ابن القيم: وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما، وتكلم يحيى بن معاذ الرازي في الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقالت له امرأة: هذا واجب، قد وضع عنا، فقال: هو أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان، فلم يوضع عنكن سلاح القلب، فقالت: صدقت ـ جزاك الله خيرًا ـ.

مرتبتا تغيير المنكر أو طريقا الدعوة إلى الله:

للدعوة إلى الله طريقان: طريق اللين، وطريق الغلظة والقسوة، ولتغيير المنكر مرتبتان: مرتبة اللين، ومرتبة الشدة.

الطريق الأول ـ طريق اللين:

وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب، وألطفه، قد أرشد القرآن الكريم إلى هذه الطريق، وأمر بها في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم، وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم والعمل الصالح بالحكمة، أي: ليكن بالوجه الحسن برفق ولين، وحسن خطاب فأمرهم تعالى بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، ومن الحكمة مراعاة حال المدعوين كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة البدء بالأهم فالأهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطريق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود بشرط: أن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة المرجوة منها، وليكن قصد الداعية هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها.

الطريق الثاني - طريق الغلظة والشدة والقسوة:

إذا لم ينفع اللين واللطف، ولم يجدِ الوعظ والتذكير والرأي الراشد الحليم، فإنه يصار إلى الغلظة والشدة بالكلام الخشن أو الضرب أو السيف في جهاد أعداء الله، فإن لم تنجح طرق اللين تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتُقام حدوده وتمتثل الكفار والمنافقون، وتجتنب نواهيه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٤)،

ففي الآية إشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، ولا تسلك هذه الطريق إلا عند الضرورة، حيث لم تثمر طريق اللين ثمرتها المرجوة، كما قيل: آخر الطب الكي، وإن لم تنفع الكتب، تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ولابد لسلوك هذه الطريق في تغيير المنكر، والدعوة إلى الله من الشروط التالية:

١ ـ القدرة على ذلك، فإن كان لا يقدر على الشدة سقط عنه، وسلك طريق اللين.

٢ ـ أن لا يترتب عليه مفسدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨)، وقد أخذ من الآية أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهي مسألة مقررة في الأصول.

٣ ـ أن لا يفيد اللين، ولا يجدي شيئًا في حصول المعروف وزوال المنكر، وقد وجدت هذه الشروط لما نزلت آية الغلظة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، فإن الآية مدنية، وذلك بعد تمكن الرسول ﷺ وأصحابه من الجهاد باليد، وظهور الاستمرار على الكفر من أعدائهم، ولم يجدِ اللين فيهم شيئًا، فوقعت الغلظة في مركزها[1].



(١) «القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٧٤-٩٧)، بتصرف واختصار في بعض المواطن وزيادة.

الفصل الثامن

أسئلة وأجوبة حول الموضوع

السؤال الأول - هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاة الأمر، أو من الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الإجابة: الله المستعان - مع الأسف - هذا السؤال منبعث من واقعنا المريض، نحن مسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ورسوله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا**»، فما الذي يربط الدعوة بولي الأمر؟، وما الذي يربط إنكار المنكر بولي الأمر، أما الأمور الظاهرة فهذه يعالجها المختصون، ولكن الأمور الداخلية أو الأمور الفردية أو ما إلى ذلك، فالمسلم يدعو إلى الله ممتثلاً أمر الله الذي يقول: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ (النحل: ١٢٥)، ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فصلت: ٣٣)، فليتعامل مع الله، ويدعو لولاة الأمور بالدعوات الصالحة، وبالهداية لهم، وبأن يعدل الله حالهم، ويصلحها أو يخلص المسلمين منهم، ويبدلهم بأفضل منهم، على كل حال إذا كان هناك تنظيمات ودعوته تستدعي أن يتصدر في منبر أو أن يتصدر في مؤتمر أو ما إلى ذلك، وهذا الأمر لا يصل إليه إلا عن طريق من يملك هذا الوضع وله إشراف عليه، فلا بأس، ويكون هذا من باب التنظيم، أما أصل الدعوة، فلا إذن فيه، الإذن في التشكيلات التي يملكونها كما وضحت ذلك؟.

* * *

السؤال الثاني - *هل تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، أم أن الواجب الاستمرار؟*

الإجابة: لا تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، إلا إذا كان منكرًا واحدًا، ولم يتكرر ولم يقع مرة ثانية، فالمطلوب المواصلة في الإنكار فيما تكرر أو جد أو أصر عليه صاحبه، وقوله ﷺ : «**من رأى منكم منكرًا فليغيره**»، الحديث عام يشمل من رآه أول مرة، ومن تكررت رؤيته للمنكر.

السؤال الثالث - *هل يلزمني لإنكار منكر أو لأمر بمعروف أن أعرف الدليل، وإن كان ذلك المنكر واضحًا عندي؟*

الإجابة: الداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، وكلمة على علم، تعني: أن عنده من الله فيه برهان، فتكون على علم بما تنكره، وتكون عارفًا لدين الله، وعارفًا للدليل، بحيث لو نوقشت يكون عندك في هذا برهان، أما أن تقول: هذا منكر، وتسكت دون معرفة للدليل، ثم إن سئلت عن الدليل قلت: أنا ما أدري، سمعت فلانًا يقول: أنه منكر، فأنكرت!.

وقد يناقشك فاعل المنكر وينقدك، خاصة إذا كان صاحب حجة ويبين لك أنه معروف، فالعلم لابد منه، والدليل أيضًا في مثل هذه الأمور التي يواجه بها الناس، أرى أنه من الضروري معرفتها.

السؤال الرابع - *هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم؟*

الإجابة: لا يجوز ذلك، واسمع قول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤)، وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣)[١].

* * *

السؤال الخامس - *هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة؟*

الإجابة: نقول: لا، لأن الاستجابة أمر لله، وليس لك، إن عليك إلا البلاغ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: الأمر عليك، والنهي عليك، هداية الدلالة التي أمر الله رسوله ﷺ بها عليك الأمر بها في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، فلا يلزم ألا تأمر فلان بمعروف، ولا تنهاه عن منكر، إلا إذا غلب على ظنك أنه يستجيب، وهذا حجر عثرة في الدعوة إلى الله، وحجر عثرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنت عليك العمل، وعليك هداية الدلالة، وعليك البلاغ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: أما كون المأمور أو المنهي يقبل أو لا يقبل، فهذه من الأمور المنفية عنك، وعن من هو أفضل منك، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦)، ولا ينبغي القول بمظنة الاستجابة، لأنه يعطل الدعوة إلى الله، ويعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لو قام اثنان بمنكرين وأحدهما

---

(١) «أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة» باختصار (ص٥٠-٥٦).

يغلب على الظن استجابتـه، والآخر بضد ذلك، ولا طاقة لك إلا بالإنكار على أحدهما، فبداءتك بمن تظن استجابته أولى وأحرى، وكذا لو كان بك طاقة على الإنكار عليهمـا فبداءتك بمن تظن استجـابته خير وأجمل لتـقليل فاعلي المنكر، وإضعاف المنكر قبل الإنكار على من قد يشتد في البقاء على منكره[١].

توهم مردود: قد يتـوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة:١٠٥)، عدم وجـوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا الواجب يسقـط إذا أدى الإنسان الواجبات التي عليه، لظاهر قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١ - أن من ترك الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر لم يهـتد، وممن قـال بهذا حذيفة وسعيد بن المسيب كما نقله الألوسي عنهما في تفسيره وابن جرير، ونقله القرطبي عن سعيد بن المسيب.

٢ - أن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده، فلم يقبل منه المأمـور، فمن العـلماء من قـال: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، أي: إذا أمرتم، فلم يـسمع منكم، ومنهم من قال: يدخل الأمر بالمعروف في المراد بالاهتداء في الآية، وهو ظاهر جدًا، ولا ينبغي العدول عنه لمنصف.

٣ - أن الله تعالـى أقسم أن الإنسان لـفي خسر، إلا مـن استثناه فـي قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر)، فالحق وجوب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدل ذلك على أن من لم يأمر بالمعـروف ولم ينه عن المنكر، ولم يتواص بالحق، ولم يؤدِّ الواجب فهو غير مهتدٍ، فيضره ضلال من ضل، لأنه غير مهتد.

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢-٣٣).

٤- أن النصوص دلت على أن الناس تعمهم العقوبة والعذاب، إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥)، وقوله ﷺ: **«إن الناس إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»**[١].

٥- أن صدِّيق هذه الأمة أبا بكر رضي الله عنه دفع هذا الوهم، حينما قرأ هذه الآية وأوضح معناها، وبين أنها لا تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: **«يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** (المائدة: ١٠٥)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»**[٢].

وفي رواية لأبي داود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيرون ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب»**، وعند النسائي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن القوم إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه عمهم الله بعقاب»**.

قال ابن النحاس في (تنبيه الغافلين ص٨٢): ولا نعلم أحدًا من العلماء ذهب إلى أن معنى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، أنه لا يلزمكم أن تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر، لأن ضلال غيركم لا يضركم، معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجهلة العوام الهمج الرعاع، أتباع كل ناعق، إذا أمرت أحدهم بمعروف أو نهيته عن منكر قال: قال الله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فيتأول الآية إلى غير تأويلها، كما

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

قال سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، ويُرْدفُ إثم المعصية بإثم تفسير القرآن برأيه، وهو من الكبائر كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وما علم المسكين أن شؤم العاصي وعقوبته في الدنيا والآخرة تعم المداهن الذي لم ينكر المنكر قطعًا. اهـ.

وبهذا تبين الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في قوله تعالى: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، ويؤيده كثرة الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وَهْمٌ آخَرُ وَرَدُّهُ

قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، أن من جهر بكلمة الحق، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر عند سلطان جائر، أو أمير مسلط، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وأن هذه الآية الكريمة تشتمله، وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١ ـ أن من جهر بكلمة الحق عند السلطان والأمير الجائر، فإنه من أفضل المجاهدين كما في حديث أبي سعيد الخدري: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر**»[1]، فكيف يكون ملقيًا بنفسه إلى التهلكة، وهو من أفضل المجاهدين؟!.

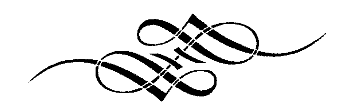
٢ ـ أن هذه الآية جارية على ألسنة كثير من الناس في مثل هذا لما غلب عليهم الجهل، بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما استولى على قلوبهم من الركون إلى مداهنة الخلق وإيثار مودتهم وبقاء صحبتهم، وثقل كلمة الحق على ألسنتهم، وما يلقيه الشيطان في قلوبهم من الخوف والجبن واعتقاد أن

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

السكوت عن المنكر واجب، وما علموا أن التهلكة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تدل على ذلك النصوص الكثيرة.

٣ - أن أبا أيوب الأنصاري ﷺ دفع الوهم حينما أولها بعض الناس بالمجاهد الذي يحمل على صفوف الكفار، فبين أبو أيوب الأنصاري سبب نزولها، وأنه ترك الغزو وإصلاح الأموال، فخرَّج الترمذي عن أبي عمران، قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صنعًا عظيمًا من الروم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل بينهم فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري، فقال: أيها الناس إنكم لتأولون هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعزَّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزَّ الإسلام، وكثر ناصروه، فلو قمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب ﷺ شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1].



---

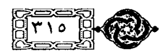
(١) «القول البين الأظهر إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٣٥-٣٩).

المراجع

* «تفسير ابن كثير».
* «تفسير القرطبي».
* «الكشاف» للزمخشري.
* «محاسن التأويل».
* «تفسير الرازي».
* «تيسير الكريم المنان».
* «ظلال القرآن».
* «فتح الباري بشرح صحيح البخاري».
* «صحيح مسلم» بشرح النووي.
* «سنن الإمام أحمد».
* «سنن أبي داود».
* «سنن ابن ماجه».
* «موطأ الإمام مالك».
* «صحيح الجامع».
* «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.
* «شرح السنة» للبغوي.
* «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية.
* «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية.
* «مجموع الفتاوى» لابن تيمية.
* «زاد المعاد» لابن القيم.
* «أعلام الموقعين» لابن القيم.

* «طريق الهجرتين» لابن القيم.
* «الداء والدواء» لابن القيم.
* «مدارج السالكين» لابن القيم.
* «إغاثة اللهفان» لابن القيم.
* «كتاب الروح» لابن القيم.
* «البداية والنهاية» لابن كثير.
* «التبصرة» لابن الجوزي.
* «صيد الخاطر» لابن الجوزي.
* «صفة الصفوة» لابن الجوزي.
* «بحر الدموع» لابن الجوزي.
* «لطائف المعارف» لابن رجب.
* «التخويف من النار» لابن رجب.
* «رسالة الخشوع في الصلاة» لابن رجب.
* «أدب الدين والدنيا» لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي.
* «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي.
* «أسرار الصلاة» لأبي حامد الغزالي.
* «الحلال والحرام» لأبي حامد الغزالي.
* «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للإمام الدمياطي.
* «الزهد» لابن المبارك.
* «الكبائر» للذهبي.
* «العزلة» للخطابي.
* «حلية الأولياء» لأبي نعيم.
* «التذكرة» للقرطبي.

* «**الرسالة**» للإمام الشافعي.
* «**الرسالة**» للقشيري.
* «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» للقاضي عياض.
* «**نصب الراية**» للزيلعي.
* «**حياة الصحابة**» للكاندهلوي.
* «**الضياء اللامع**» لابن عثيمين.
* «**رسالة في الدعوة**» لابن عثيمين.
* «**الحسبة ودور الفرد فيها**» عبد الله مبروك النجار.
* «**أصول الدعوة**» عبد الكريم زيدان.
* «**الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة**» محمد رجب الشتيوي.
* «**الدعوة قواعد وأصول**» جمعة أمين عبد العزيز.
* «**هداية المرشدين**» علي محفوظ.
* «**تذكرة الدعاة**» البهي الخولي.
* «**حتى لا تغرق السفينة**» سليمان فهد العودة.
* «**من أخلاق الداعية**» سليمان فهد العودة.
* «**الجهاد .. ميادينه وأساليبه**» محمد نعيم ياسين.
* «**الأخلاق في الإسلام**» يعقوب المليجي.
* «**القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» عبد العزيز عبد الله الراجحي.
* «**أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» عبد الله بن حسن آل قعود.
* «**هل طرقت الباب**» محمد العريفي.
* «**الدرة المرضية شرح منظومة القواعد الفقهية**» جمعة صالح محمد.
* «**السنة النبوية الشريفة**» أحمد كريمة.



* «**الجزاء من جنس العمل**» سيد حسين العفاني.
* «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» محمد بن عبد الله با موسى.
* «**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**» سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.
* «**شأن الكلمة**» محمد بن سعيد بن رسلان.
* «**محرمات استهان بها الناس**» لمحمد المنجد.
* «**السلوك الاجتماعي**» حسن أيوب.
* «**أربعين خطأ للسان**» وحيد عبد السلام بالي.
* «**العذر بالجهل**» الشريف محمد فؤاد هزاع.
* «**الحلال والحرام**» يوسف القرضاوي.
* «**رسالة تعظيم قدر الصلاة**» لأحمد فريد.
* «**الصلاة لماذا؟**» محمد بن إسماعيل.
* «**فتاوى اللجنة الدائمة**».
* «**الويل لك يا تارك الصلاة**» لمحمد عبد الملك الزغبي.





الفهرس

الموضـــوع	صفحة
المقــدمـة	٣
الباب الأول	
اللامبالاة بترك السنة	٧
▪ مظاهر اللامبالاة بترك السنة:	٨
القسم الأول ـ قسم سمى نفسه القرآنين	٨
ـ أدلة حجية السنة	٩
ـ علماء الأمة يردون على منكري السنة	١٦
القسم الثاني ـ (أ) قسم أقر بها، ولكنه تهاون بشأنها	٢٧
ـ بيان فوائد السنن والنوافل	٣١
(ب) قسم أقر بها، ولكنه تكبر تهاون بشأنها	٣٧
الباب الثاني	
اللامبالاة بالكلمة	٤٧
اللامبالاة بالكلمة وأثرها	٤٨
خطورة اللامبالاة بالكلمة	٥١
خوف السلف من اللامبالاة بالكلمة	٥٤
صور من اللامبالاة بالكلمة:	٥٦
أولاً ـ في مجال الاعتقاد:	٥٧
١ ـ سب الديـن	٥٧
٢ ـ سب الدهـر	٥٨
٣ ـ اللامبالاة بكلمة «لـو»	٦١

الموضـــوع	صفحة
٤ ـ قول: «ما شاء الله وشئت»	٦٣
٥ ـ الحلف بغير الله	٦٦
ثانيًا ـ من صور اللامبالاة بالكلمة:	٦٩
(أ) اللعـن	٦٩
(ب) النكتـة	٧٢
(جـ) الكذب في الرؤيا	٧٣
(د) الكذب على رسول الله ﷺ	٧٤
(هـ) الانشغال بعيوب الناس	٧٦
(و) كثرة الكلام في غير الحق	٧٩
(ز) الغيبــة	٨٠
(حـ) النميمة	٨٥
(ط) الاستهزاء والسخرية	٨٧
(ي) الكلام فيما لا يعني	٩٤
(ك) المراء والجـدل	٩٨
(ل) إفشــاء الســر	١٠٠
(م) إفشاء الأسرار الزوجية	١٠١
الباب الثالث	
اللامبالاة بالذنوب والمعاصي	١٠٣
اللامبالاة بالذنوب والمعاصي	١٠٤
خطورة اللامبالاة بالذنوب والمعاصي	١٠٥
الباب الرابع	
اللامبالاة بالصلاة وأحكامها	١٢٥
الفصل الأول ـ ***اللامبالاة بترك الصلاة***	١٢٦
الفصل الثاني ـ ***اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها***	١٣٧

الموضوع	صفحة

الفصل الثالث ـ *اللامبالاة بصلاة الجماعة* ١٤١

الفصل الرابع ـ *اللامبالاة بأحكام الصلاة* ١٥٠

■ الطريق إلى الخشوع ١٦٩

الباب الخامس

اللامبالاة بالموعظة ١٧٩

اللامبالاة الموعظة ١٨٠

الموعظة وأنواعها ١٨٢

الموعظة بالمسموع ١٨٣

الموعظة بالمشهود ١٨٨

الباب السادس

اللامبالاة بأكل الحرام ٢٠١

المبحث الأول ـ *المال في القرآن والسنة* ٢٠٢

المبحث الثاني ـ *آثار أكل الحرام* ٢٠٦

■ قاعدة عامة في مسائل الكسب ٢١١

المبحث الثالث ـ *صور من اللامبالاة في طلب الرزق:* ٢١٣

ـ الصورة الأولى ـ التعامل بالربا ٢١٤

ـ بيع الذهب بالذهب متفاضلاً ٢١٩

ـ الصورة الثانية ـ الغش ٢٢٥

ـ الصورة الثالثة ـ الرشوة ٢٣١

ـ الصورة الرابعة ـ العمل في الوظائف المحرمة ٢٣٧

ـ الصورة الخامسة ـ القمار والميسر ٢٣٨

ـ الصورة السادسة ـ استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره ٢٤٠

ـ الصورة السابعة ـ استيفاء الأجر وعدم إتقان العمل ٢٤١

ـ الصورة الثامنة ـ سؤال الناس من غير حاجة ٢٤٣

الموضـــوع **صفحة**

الباب السابع

اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الأول ـ *اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ١٤٦

الفصل الثاني ـ *خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ٩

الفصل الثالث ـ *ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ٨

الفصل الرابع ـ *فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ١٠٤

الفصل الخامس ـ *صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ٢٦٧

الفصل السادس ـ *آداب وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* ٢٧٨

الفصل السابع ـ *كيفية إنكار المنكر* ٢٩١

الفصل الثامن ـ *أسئلة وأجوبة حول الموضوع* ٣٠٥

المراجــع ٣١٢

الفهـرس ١١٧



فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمـول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠